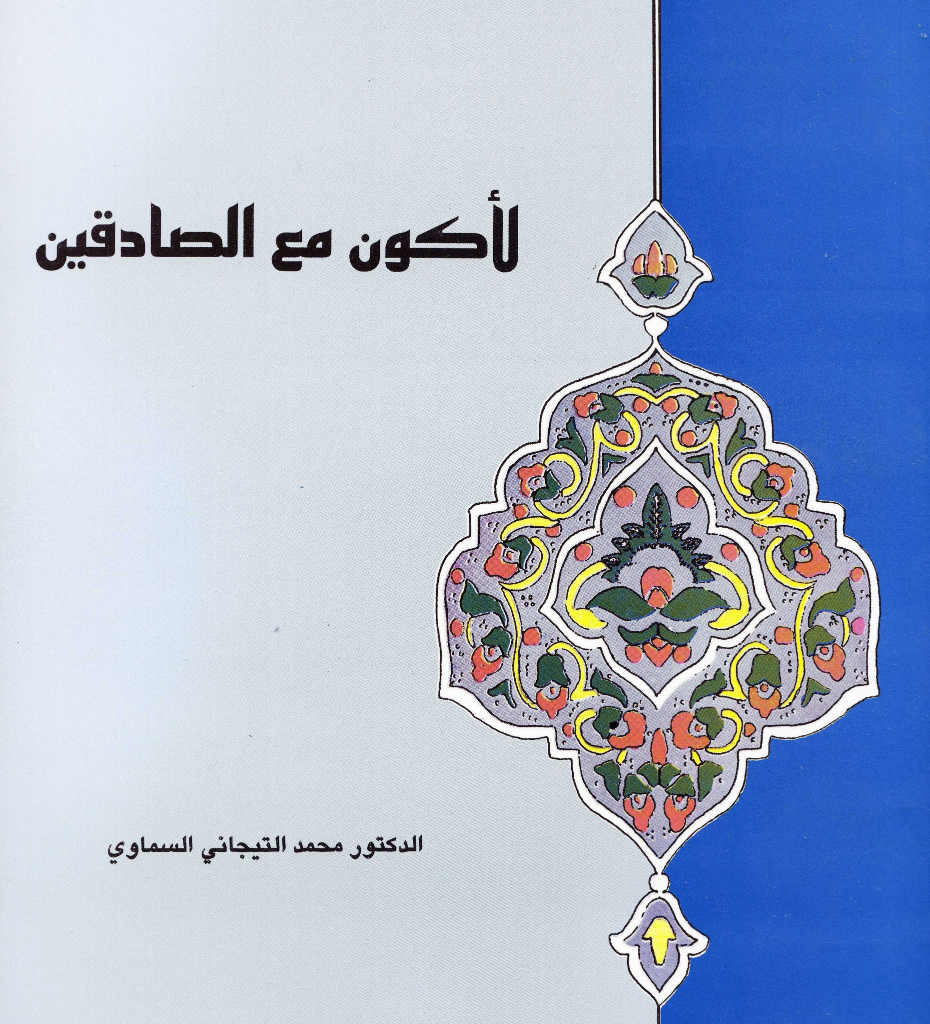
لأكون مع الصادقين



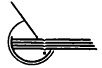
الدكتور محمد التيجاني السماوي

لأكون مع
الصادقين

سماوي، محمد تيجاني، ١٩٣٦ -
لأكون مع الصادقين/ تأليف محمد التيجاني السماوي.- قم: انصاريان، ٢٠٠٧.
٢٤٨ ص.
مصادر: ص. ٢٤١-٢٤٥.
ISBN: 978-964-438-265-9
١. شيعه - احتجاجات.	٢. شيعه - دفاعيه ها ورديه ها.
الف. عنوان.	ب. عنوان: مع الصادقين.
BP٢١٢/٥/٢ل٨٥س	٢٩١/٤١٧٢

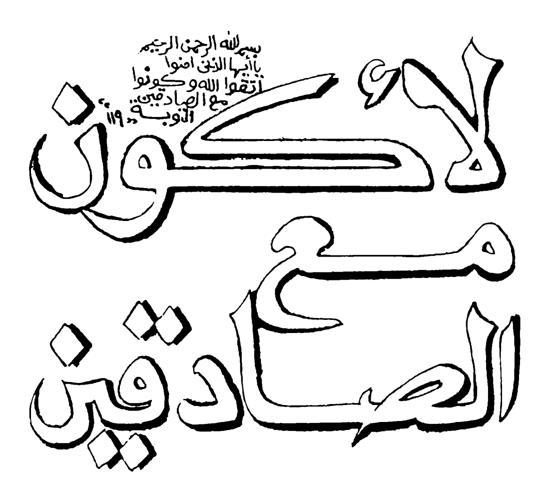
لأكون مع الصادقين

المؤلف: محمد التيجاني السماوي
الناشر: مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر
الطبعة الخامسة ١٣٧٩ - ٢٠٠٠ - ١٤٢١
الطبعة السادسة والسابعة ١٣٨٢ - ٢٠٠٣ - ١٤٢٤
الطبعة الثامنة ١٣٨٣ - ٢٠٠٥ - ١٤٢٥
الطبعة التاسعة ١٣٨٥ - ٢٠٠٦ - ١٤٢٧
الطبعة العاشرة ١٣٨٦ - ٢٠٠٧ - ١٤٢٨
المطبعة: افق
الكمية: ٣٠٠٠ نسخة
عدد الصفحات: ٢٤٨ ص.
حجم الغلاف: كبير
رقم الإيداع الدولي: ٩-٢٦٥-٤٣٨-٩٦٤-٩٧٨ (ISBN)



مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر
جمهورية ايران الإسلامية
قم - شارع الشهداء — فرع ٢٢
ص.ب ١٨٧
هاتف :٧٧٤١٧٤٤ (٢٥١) (٩٨) فاكس: ٧٧٤٢٦٤٧
البريد الالكتروني: ansarian@noornet.net
www.ansariyan.org & www.ansariyan.net

الدكتور محمد التيجاني السماوي



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾

(التوبة : 119)

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، المتفضّل علينا بالهداية والعناية والتمكين ، والمنعم علىٰ عبادة بكل خير وسعادة ليكونوا صالحين ، من توكّل عليه كفاه وحفظه من كيد الشياطين ، ومن تنكّب عن صراطه فهو من المخذولين .

والصلاة والسلام علىٰ المبعوث رحمة للعالمين ، ناصر المستضعفين والمظلومين ، وحبيب المساكين الذين آمنوا بالله رغبة فيما أعدّه سبحانه لعباده الصادقين . .

وعلىٰ آله الطيّبين الطاهرين ، الذين أعلا الله مقامهم علىٰ سائر المخلوقين ، ليكونوا قدوة العارفين ، ومنار الهدىٰ وسفينة النجاة التي من تخلّف عنها كان من الهالكين . .

. . ثم الرضا والرضوان على أصحابه الميامين الذين بايعوه وناصروه ولم يكونوا من الناكثين ، وثبتوا بعده على العهد وما بدّلوا وما انقلبوا وكانوا من الشاكرين . . وعلى من تبعهم باحسان وسار علىٰ هديهم من الأولين والآخرين إلى قيام يوم الدين .

رب اشرح لي صدري ويسّر لي أمري واحلل عقدةً من لساني يفقه قولي .

رب وافتح بصيرة كل من يقرأ كتابي على الحقيقة التي تهدي بها عبادك المخلصين .

أما بعد ؛ فقد لقي كتابي « ثم آهتديت » قبولاً حسناً لدىٰ القرّاء الأعزّاء الذين أبدوا بعض الملاحظات الهامّة حول موضوعات متفرقة في الكتاب المذكور وطلبوا المزيد من التوضيح في المسائل التي اختلف في فهمها كثير من المسلمين سنّةً وشيعة ؛ ومن أجل رفع اللبس والغموض عن ذلك لمن أراد التحقيق والوقوف على جليّة الأمر فقد ألّفت هذا الكتاب بنفس الأسلوب الذي اتبعته هناك ، ليسهل على الباحث المنصف الوصول إلى الحقيقة من أقرب سبلها ، كما وصلتُ إليها من خلال البحث والمقارنة ؛ وقد اسميته ـ على بركة الله ـ « مع الصادقين » اقتباساً من قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ .

ومَنْ مِنَ المسلمين يرفض أو يزهد في أن يكون مع أولئك الصادقين ؟!

هذا ما آقتنعتُ به شخصياً ، وما أحاول توضيحه لغيري ما استطعتُ إلى ذلك سبيلاً ، دون فرضٍ لرأيي بل ومع احترامي لرأي غيري ، فالله وحده الهادي وهو الذي يتولىٰ الصالحين . .

وقد اعترض البعض على عنوان الكتاب السابق « ثم اهتديت » لانطوائه على غموض قد يبعث على التأمل والتساؤلِ حول ما إذا كان الآخرون على ضلالة ؛ وما مدلول تلك الضلالة إن قُصد هذا المعنىٰ ؟ وعلى هذا الإعتراض أجيب موضحاً :

أولاً : جاء في القرآن الكريم لفظ الضلالة بمعنىٰ النسيان ؛ قال تعالى : ﴿ قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسىٰ ﴾[1] . وقال عزّ وجلّ : ﴿ أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرىٰ ﴾[2] . كما ورد في القرآن الكريم

(1) طه 52 .

(2) البقرة 282 .

لفظ الضلالة تعبيراً عن حالة التحقيق والبحث والتفتيش ؛ قال تعالى مخاطباً رسوله الكريم : ﴿ ووجدك ضالاً فهدىٰ ﴾[1] أي وجدك تبحث عن الحقيقة فهداك إليها ؛ والمعروف من سيرته صلىٰ الله عليه وآله وسلّم أنه قبل نزول الوحي عليه كان يهجر قومه في مكّة ليختلي في غار حرّاء الليالي العديدة باحثاً عن الحقيقة .

ومن هذا المعنىٰ أيضاً قوله صلىٰ الله عليه وآله وسلّم :

« الحكمةُ ضالّة المؤمن أين ما وجدها أخذها » .

فعنوان كتابي الأول يتضمن هذا المعنىٰ . .

ثانياً : وعلىٰ فرض أن العنوان يتضمن معنىٰ الضلالة التي تقابل الهداية فيما نقصده على المستوىٰ الفكري من إصابة المنهج الإسلامي الصحيح الذي يضعنا علىٰ الصراط المستقيم ، كما عقّب بعض القرّاء بذلك ؛ فليكن كذلك ، وهو الواقع الذي يتهيّب مواجهته البعض بروحٍ رياضية بنّاءة ، ونَفَسٍ موضوعيٍّ خلّاق . . ينسجم في الفهم مع قول الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم :

« تركتُ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما أن تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً » .

فالحديث واضح وصريح في الإشارة إلى ضلال من لم يتمسك بهما معاً (الكتاب والعترة) .

وعلىٰ كل حال فأنا مقتنع بأنني اهتديت بفضل الله سبحانه وتعالى إلى التمسك بكتاب الله وعترة الرسول صلىٰ الله عليه وآله وسلّم ؛ فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، لقد جاءت رسل ربّنا بالحق .

فكتابي الأول والثاني يحملان عناوينَ من القرآن الكريم وهو أصدق الكلام وأحسنه ، وكل ما جمعته في الكتابين ـ إن لم يكن الحق فهو أقرب ما يكون إليه ـ

---

(1) الضحى 7 .

لأنه مما اتفق عليه المسلمون سنةً وشيعة وما ثبت عند الفريقين أنّه صحيح . فكانت النتيجة ولادة هذين الكتابين بحمد الله «ثم إهتديتُ ولأكون مع الصّادقين»

والله أسأل أن يهدي أمة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم أجمعهم حتى يكونوا خير أمةٍ ويقودوا العالم بأسره إلى النور والهداية تحت لواء الإمام المهدي المنتظر الذي وعدنا به جدّه صلّى الله عليه وآله وسلّم ليملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً وليتم نور الله ولو كره الكافرون .

المقدمة

بسم الله الرحمٰن الرّحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيّدنا ومولانا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين .

أما بعد فإن الدين يعتمد بنحو أساسي على العقائد التي تكون منه مجموعة الأصول والمرتكزات التي يؤمن بها معتنقو هذ الدين أو ذاك . والتي لا بد أن يقوم إيمانهم بها علىٰ الدليل القاطع والبرهان الجلي الذي ينطلق من المسلّمات العقلية التي يؤمن بها جميع الناس ، ليتسنىٰ له إقناعهم بما يدعوهم إليه ، ورغم ذلك فإنه ثمة أفكار يصعب على العالم تفسيرها . . مثلما يصعب علىٰ العقل التصديق بها عند الوهلة الأولىٰ ، من ذلك مثلاً أن تكون النار « برداً وسلاماً » في حين أن العلم والعقل يتفقان علىٰ أنها حرارةٌ مهلكة ، أو أن تقطّع الطير إلى أجزاء متناثرة فوق الجبال ثم تُدعىٰ فتأتي تسعىٰ ، في حين أن العلم والعقل يستبعدان ذلك ؛ أو أن يُشفىٰ الأعمىٰ والأبرص والأكمه بمجرد مسح عيسىٰ (ع) ، بل وإحياء الموتىٰ ، في حين أن العلم والعقل لا يجدان تفسيراً لهذا . . وهي أمور تندرج في باب المعجزات التي أجراها الله تعالى على أيدي أنبيائه (عليهم السلام) ، وهي موجودة لدىٰ المسلمين واليهود والنصارىٰ . .

وإنما أجرىٰ الله سبحانه وتعالى تلك المعجزات والخوارق على أيـدي أنبيائـه ورسله عليهم أفضل الصلاة وأزكىٰ السلام ، ليُفهم العباد بأن عقولهم قاصرة عن الإدراك والإحاطة بكل شيء ، لأنه سبحانه لم يؤتهم من العلم إلا قليلاً ، ولعلّ في ذلك صلاحهم وكمالهم النسبي ، فقد كفـر الكثير بنعمـة الله وأنكر الكثـير وجوده سبحانه ، واعتز الكثير منهم بالعلم والعقل حتىٰ عبـدوهما من دون الله ، هـذا مع قلة العلم وقصورُ العقل ، فكيف لو أعطاهم علم كل شيء ؟ !

ونظراً لأهمية العقيدة ومركزيتها في إيمان المسلم فإن كتابي هذا قد تناول جملة من العقـائد الإسـلامية التي وردت في القـرآن الكريم والسنـة النبويـة الشريفة ، والتي كانت مسرحاً لاختلاف فـرق المذاهب الإسلامية ؛ فَعَقدتُ فصـلاً خاصـاً بمعتقدات أهل السنة والشيعة في القرآن الكريم والسنة النبويـة ؛ ثم تطرقت بعـد ذلـك لسائـر المسائـل التي اختلفوا فيهـا وشنّع بعضهم عـلى البعض الآخر بـدون مبرر ؛ هادفـاً من ذلك بيـان ما رأيتـه الحق ، راغباً في مسـاعدة من يـريد البحث عنه ، آملاً أن يساهم ذلك في قيام الوحدة الإسلامية علىٰ اسـاسٍ فكريٍّ متـين ، والله أسأل أن يوفقنا جميعاً لما يحب ويرضىٰ ويجمع كلمة المسلمين علىٰ الصـواب إنه عزيز قدير . .

القرآن الكريم عند أهل السنة والجماعة وعند الشيعة الامامية الإثني عشرية

هو كلام الله المنزل علىٰ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ، وهو القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو المرجع الأعلىٰ للمسلمين في أحكامهم وعباداتهم وعقائدهم ؛ من شكّ فيه أو أهانه فقد بريء من ذمة الإسلام ، فهم ـ المسلمون كافة ـ متفقون علىٰ تقديسه واحترامه والتعبّد بما ورد فيه . .

ولكنهم اختلفوا في تفسيره وتأويله ، ومرجع الشيعة في التفسير والتأويل يعود إلىٰ النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم وشروحات الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) ، ومرجع أهل السنة والجماعة يعود إلى أحاديث النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم أيضاً ولكنهم يعتمدون علىٰ الصحابة ـ دون تمييز ـ أو أحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المعروفة في نقل الأحاديث وشرحها وتفسيرها . .

وبطبيعة الحال نشأ من ذلك اختلاف في العديد من المسائل الإسلامية وخصوصاً الفقهية منها ، وإذا كان الإختلاف بين المذاهب الأربعة من مدرسة أهل السنة والجماعة ظاهراً ، فلا غرابة في أن يكون بينهم وبين مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) أظهر . .

وكما ذكرت في مستهلّ الكتاب فإنني سوف لن أتطرّق إلا إلى بعض الأمثلة بغية الاختصار ، وعلىٰ من يريد البحث والاستزادة أن يغوص في أعماق البحر لاستخراج ما يمكنه من الحقائق الكامنة والجواهر المخفيّة !

يتفق أهل السنة مع الشيعة في القول بأن رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلّم بيّن للمسلمين كل أحكام القرآن وفسّر كل آياته ، ولكنهم اختلفوا فيمن ينبغي الرجوع إليه بعد وفاة الرسول صلىٰ الله عليه وآله وسلّم بغية التعرّف إلىٰ ذلك البيان والتفسير ، فذهب أهل السنة إلى الإعتماد علىٰ الصحابة ـ دون تمييز ـ ومن بعدهم الأئمة الأربعة وعلماء الأمة الإسلامية ؛ أما الشيعة فقالوا : أن الأئمة من أهل بيت النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلّم هم المؤهلون لذلك وصفوة من الصحابة المنتجبين ؛ فأهل البيت (عليهم السلام) هم أهل الذكر الذين أمرنا الله تعالىٰ بالرجوع إليهم في قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾[1] وهم الذين اصطفاهم الله تعالى وأورثهم علم الكتاب في قوله عزَّ وجلّ : ﴿ **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا** ﴾[2] ، ولكل ذلك جعلهم رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلّم عِدْلَ القرآن والثقل الثاني الذي أمر المسلمين بالتمسك به فقال صلىٰ الله عليه وآله وسلّم :

« تركتُ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً »[3] .

وفي لفظ مسلم كتاب الله أهل بيتي ـ اذكّركم الله في أهل بيتي قالها ثلاث مرات[4] .

---

(1) النحل : آية 43 ؛ تفسير الطبري ج 14 ص 109 وتفسير ابن كثير ج 2 ص 570 .

(2) فاطر آية 32 .

(3) أخرجه الترمذي في صحيحه ج 2 ص 329 والنسائي والإمام أحمد .

(4) صحيح مسلم ج 2 ص 362 باب فضائل علي بن أبي طالب .

ومن المعلوم أن أهل البيت (عليهم السلام) كانوا أعلم الناس وأورعهم وأتقاهم وأفضلهم ؛ وقد قال فيهم الفرزدق :

إن عُـدّ أهـل التقىٰ كـانـوا أئمتهم   أو قيل من خيرُ أهـل الأرض قيل هُمُ

وأسوق هنا مثالاً واحداً للتذكير بطبيعة الرابطة بين أهل البيت (عليهم السلام) والقرآن الكريم ؛ فقد قال تعالى : ﴿ **فلا أُقسم بمواقع النجوم . وإنه لقَسَم لو تعلمون عظيم . إنه لقرآن كريم . في كتاب مكنون . لا يمسه إلا المطهّرون** ﴾[1] .

فهذه الآيات تشير بدون لبس إلى أن أهل البيت (عليهم السلام) ـ وعلىٰ رأسهم رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ هم الذين يدركون معاني القرآني الغامضة ، لأنا لو أمعنّا النظر في القَسَم الذي أقسَم به رب العزّة والجلالة لوجدنا ما يلي : إذا كان الله تعالىٰ يُقسم بالعصر وبالقلم وبالتين وبالزيتون فعظمة القسم بمواقع النجوم بيّنة لما تنطوي عليه من أسرار وتأثير علىٰ الكون بأمره سبحانه ، ونلاحظ تعزيز القسم في صيغة النفي والإثبات ؛ فبعد القَسَم يؤكد سبحانه : أنه لقرآن كريم . في كتاب مكنون ، والمكنون ما كان باطناً ومستتراً ، ثم يقول عزّ وجلّ : ﴿ **لا يمسه إلا المطهّرون** ﴾ ؛ و (لا) هنا للنفي ، ويمسه تعني يدركه ويفهمه وليس المقصود بها لمس اليد ، فهناك فرقٌ بين اللمس والمسّ . قال تعالى : ﴿ **إن الذين آتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكّروا فإذا هم مبصرون** ﴾[2] ، وقال أيضاً عزّ من قائل : ﴿ **والذي يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المسّ** ﴾[3] ، فالمس هنا يتعلق بالعقل والإدراك لا بلمس اليد ؛ وكيف يُقسم الله سبحانه وتعالى بأن لا يلمس القرآن (باليد) إلا من تطهّر ، والتاريخ يحدثنا بأن بعض الجبّارين قد عبثوا به ومزّقوه ، وقد شاهدنا الإسرائيليين يدوسونه بأقدامهم ـ نستجير بالله ـ ويحرقونه عندما

---

(1) الواقعة : آية 75 ـ 79 .

(2) الأعراف : آية 201 .

(3) البقرة : آية 275 .

احتلّوا بيروت في اجتياحهم سيء الصيت ، وقد نقلت أجهزة التلفزة عن ذلك صوراً بشعة ومذهلة . فالمدلول لقوله تعالىٰ هو أنه لا يدرك معاني القرآن المكنون إلا نخبة من عباده الذين اصطفاهم وطهّرهم تطهيراً ، والمطهَّرون في هذه الآية اسم مفعول أي وقع تطهيرهم ، وقد قال عزّوجلّ : ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾[1] .

فقوله تعالى : ﴿ لا يمسّه إلا المطهّرون ﴾ معناه : لا يدرك حقيقة القرآن إلا الرسول صلىٰ الله عليه وآله وسلّم وأهل بيته (عليهم السلام) ، ولذلك قال فيهم رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلّم :

« النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق ، وأهل بيتي آمان لأمتي من الإختلاف فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس »[2] .

وما يذهب إليه الشيعة في ذلك يستند إلى القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلىٰ الله عليه وآله وسلّم المرويّة حتىٰ في صحاح أهل السنّة كما وجدنا .

---

(1) الأحزاب : آية 33 .

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك ج 3 ص 149 عن ابن عباس وقال هذا حديث صحيح الإسناد .

هي كل ما قاله رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أو فعله ، أو أقرّه . وهي المرجع الثاني عندهم بعد القرآن الكريم في أحكامهم وعباداتهم وعقائدهم .

يضيفُ أهل السنّة والجماعة إلى السنّة النبوية سنة الخلفاء الراشدين الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وذلك لحديث يروونه :

« عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الرّاشدين المهديين من بعدي عضّوا عليها بالنواجذ »[1] .

وليس أدلّ على ذلك من إتباعهم سنّة عمر بن الخطاب في صلاة التراويح التي نهى عنها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم[2] . والبعض منهم يضيفون إلى سنّة الرسول سنّة الصّحابة بأجمعهم (أي صحابي كان) وذلك لحديث يروونه :

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج 4 ص 126 .
(2) صحيح البخاري ج 7 ص 99 باب ما يجوز من الغضب والشدّة لأمر الله .

« أصحابي كالنجوم بأيّهم إقتديتم إهتديتم » وحديث « أصحابي أمنةٌ لأمتي »[1]

أما حديث أصحابي كالنجوم فهو لا ينسجم مع العقل والمنطق والحقيقة العلمية إذ أن العرب لم يكونوا ليهتدوا في مسيرهم الصحراوي لمجرد اقتدائهم بأي نجم من النجوم وإنما كانوا يهتدون بأتباع نجوم معيّنة محدّدة معروفة لها اسماؤها ، كما أن هذا الحديث لا تؤيده الأحداث اللاحقة والممارسات التي بدت من بعض الصحابة بعد وفاة رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلّم فإن منهم من ارتد[2] ، كما أنهم اختلفوا في كثير من الأمور التي سببت الطعن (بعضهم في بعض)[3] ، ولعن بعضهم بعضاً[4] ، وقتل بعضهم بعضاً[5] ، وأقيم الحد علىٰ بعض (الصحابة ؛) لشرب الخمر والزنا والسرقة وغير ذلك ؛ فكيف يقبل عاقلٌ بهذا الحديث الذي يأمر بالإقتداء بمثل هؤلاء ؟ وكيف يكون من يقتدي بمعاوية الخارج على إمام زمانه أمير المؤمنين في حربه للإمام علي (عليه السلام) مهتدياً ؟ وهو يعلم أن الرسول صلىٰ الله عليه وآله وسلّم سمّاه إمام الفئة الباغية[6] ؟ وكيف يكون من المهتدين من يقتدي بعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وبسر بن أرطأة وقد قتلوا الأبرياء لتدعيم ملك الأمويين . وأنت أيها القارىء اللبيب إذا قرأت حديث أصحابي كالنجوم يتبينّ لك أنه موضوع لأنه موجّه إلىٰ الصحابة فكيف يقول الرسول صلىٰ الله عليه وآله وسلّم يا أصحابي اقتدوا باصحابي ؟! . .

أما حديث يا أصحابي عليكم بالأئمة من أهل بيتي فهم يهدونكم من بعدي فهو أقرب إلى الحق لأنه له شواهد عديدة تؤيده في السنة النبوية . . .

---

(1) صحيح مسلم في كتاب فضائل الصحابة ومسند أحمد بن حنبل ج 4 ص 398 .

(2) كالذين حاربهم أبو بكر وسُمّوا بأهل الردة .

(3) كما طعن أكثر الصحابة في عثمان حتىٰ قتلوه .

(4) كما فعل ذلك معاوية الذي كان يأمر بلعن علي .

(5) كحروب الجمل وصفين والنهروان وغيرها .

(6) حديث « ويح عمار تقتله الفئة الباغية » .

والشيعة الإمامية يقولون بأنّ المقصود بحديث « عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الرّاشدين المهديين من بعدي » هم الأئمة الإثنا عشر من أئمة أهل البيت سلام الله عليهم وهم الذين أوجب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، على أمّته أن تتمسك بهم وتتبعهم كما تتمسّك وتتبع كتاب الله[1] .

ولمّا أليتُ على نفسي فإني لا أستدلّ إلاّ بما يحتجّ به الشيعة من صحاح أهل السنّة والجماعة فإني قد إقتصرت على ذلك ، وإلاّ فإن في كتب الشيعة أضعاف ذلك وبعبارات أكثر صراحة ووضوحاً[2] .

على أنّ الشيعة لا يقولون بأن أئمّة أهل البيت سلام الله عليهم لهم حقّ التشريع بمعنى أنّ سنّتهم هي إجتهادٌ منهم ، بل يقولون بأنّ كل أحكامهم هي من كتاب الله وسنّة رسوله التي علّمها رسول الله علياً وعلّمها علي أولاده فهو علمٌ يتوارثونه ولهم في ذلك أدلّةٌ كثيرة نقلها علماء أهل السنّة والجماعة في صحاحهم ومسانيدهم وتواريخهم . ويبقى السؤال دائماً يعود بإلحاح : لماذا لم يعمل أهل السُنة والجماعة بمضمون هذه الأحاديث الصحيحة عندهم . . ؟؟؟

ثم بعد ذلك يختلفُ الشيعة والسنّة في تفسير الأحاديث الثابتة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كما سبق لنا توضيحه في فقرة إختلافهم في تفسير القرآن ، بالنسبة لمعنى الخُلفاء الرّاشدين الذي ورد في حديثه صلّى الله عليه وآله وسلّم وصحّحه كلٌّ من الفريقين ، ولكن يفسّره السنّة على أنهم الخلفاء الأربعة

---

(1) صحيح الترمذي ج 5 ص 328 صحيح مسلم ج 2 ص 362 النسائي في الخصائص كنز العمال ج 1 ص 44 ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل ج 5 ص 189 الحاكم في المستدرك ج 3 ص 148 الصواعق المحرقة لابن حجر ص 148 الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 194 الطبراني ج 1 ص 131 .

(2) أضرب لذلك مثلاً واحداً : أخرج الصدوق في الإكمال بسنده إلى الإمام الصادق عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله (ص) الأئمة من بعدي إثنا عشر . أولهم علي وآخرهم القائم ، هم خلفائي وأوصيائي .

الـذين اعتلوا منصّة الخـلافة بعـد رسول الله ، ويفسّره الشيعـة على أنّهم الخلفـاء الأثنا عشر وهم أئمة أهل البيت سلام الله عليهم .

ذلـك إنا نـرى هذا الإختـلاف شائعـاً في كل مـا يتعلّق بالأشخـاص الذين زكّاهم القرآن والـرسول أو أمـر باتّبـاعهم ، مثال ذلـك قولـه صلىٰ الله عليـه وآله وسلّم :

« علماء أمّتي أفضل من أنبياء بني إسرائيل » أو « العلماء ورثةُ الأنبياء »[1] .

فأهل السنّة والجماعة يعمّمون هذا الحديث على كل علماء الأمّة بينما يخصّصهُ الشيعـة بالأئمـة الإثني عشر ومن أجل ذلـك يفضّلونهم على الأنبيـاء ما عـدا أُولي العزم من الرسل .

والحقيقة أن العقل يميل إلى هذا التّخصيص .

أولاً : لأن القـرآن أورث علم الكتـاب للذين إصـطفى من عبـاده وهـو تخصيص ، كما أن رسول الله صـلىٰ الله عليه وآلـه وسلّم خصّ أهل بيتـه بأمـور لم يُشركهم فيها بأحـد ، حتى سمّاهم سفينـة النجاة وسمّاهم أئمة الهـدى ومصابيـح الدّجى والثقل الثاني الذي يعصم من الضلالة .

فـظهر من هـذا ، أن قول أهـل السنّة والجـماعة يعـارض هـذا التخصيص الذي أثبته القرآن والسنّة النبوية ، وإن العقل لا يرتـاح إليه لما فيهَ من الغمـوض وعدم المعرفة بالعلماء الحقيقيّين الذين أذهب الله عنهم الـرجس وطهّرهم ، وعـدم تمييزهم عن العلماء الذين فرضهم على الأمّة الحكّام الأمـويّون والعبّـاسيّون ، ومـا أبعد الفرق بين أولئك العلماء وبين الأئمة من أهل البيت الذين لا يـذكر التـاريخ لهم أستاذاً تتلمذوا على يديـه سوى أن يتلقّى الإبن عن أبيـه ومع ذلـك فقد روى علماء أهـل السنّة في علومهم روايـات عجيبة وخصـوصـاً الإمـام البـاقـر والإمـام الصادق والإمام الرضا الذي أُفحم بعلومه أربعين قاضياً جمعهم إليه المـأمون وهـو

(1) صحيح البخاري ج 1 كتاب العلم . صحيح الترمذي كتاب العلم أيضاً .

لا يزال صبيّاً[1] .

ومما يؤكد تميز أهل البيت عن غيرهم ما يظهر لنا من إختلاف أصحاب المذاهب الأربعة عند أهل السنّة والجماعة في كثير من المسائل الفقهية بينما لا يختلفُ الأئمة الإثنا عشر من أئمة أهل البيت في مسألة واحدة .

ثانياً : لو أخذنا بقول أهل السنّة والجماعة في تعميم هذه الآيات والأحاديث على كلّ علماء الأمّة لوجب أن تتعدّد الآراء والمذاهب على مرّ الأجيال ولأصبح هناك آلاف المذاهب ولعلّ علماء أهل السنّة والجماعة تفطّنوا لما لهذا الرأي من سخافة وتفريق لوحدة العقيدة فأسرعوا إلى غلق باب الإجتهاد منذ زمن بعيد .

أمّا قول الشيعة فهو يدعو إلىٰ الوحدة والإلتفاف حول أئمة معروفين خصّهم الله تعالى والرسول بكل المعارف التي يحتاجها المسلمون في كل العصور ، فلا يمكن لأي مدّع بعد ذلك أن يتقوّل على الله وعلى الرسول ويبتدع مذهباً يُلزم الناسَ باتّباعه ، فاختلافهم في هذه المسألة كاختلافهم في المهدي الذي يؤمن به الفريقان ، ولكنّ المهدي عند الشيعة معلوم معروف أبوه وجدّه ، وعند أهل السنّة والجماعة لَا يزالُ مجهولاً وسيولد في آخر الزمان ولذلك ترى كثيراً منهم إدّعى المهدية ، وقد قال لي شخصياً الشيخ إسماعيل صاحب الطريقة المدنية بأنّه هو المهدي المنتظر ، وقالها أمام صديق لي كان من أتباعه ثم إستبصر فيما بعد .

أمّا عند الشيعة فلا يمكن لأي مولود عندهم أن يدّعي ذلك وحتّى لو سَمّى أحدهم إبنه بالمهدي فهو تيمُّناً وتبركاً بصاحب الزمان كما يُسمّي أحدُنا إبنهُ محمداً أو عليًّا ، ولأن ظُهور المهدي عندهم هو في حدّ ذاته معجزة لأنّه وُلِد منذ إثني عشر قرناً وتغيّبَ .

ثم بعد كل هذا قد يختلف أهل السنّة والجماعة في معنى الحديث الثابت

---

(1) العقد الفريد لابن عبد ربّه ـ والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ج 3 ص 42 .

الصحيح عند الفريقين حتى لو كان الحديث لا يتعلّق بالأشخاص ومن ذلك مثلاً حديث :

« إختلاف أمّتي رحمة » .

الذي يفسّره أهل السنّة والجماعة : بأنّ إختلاف الأحكام الفقهية في المسألة الواحدة هو رحمة للمسلم الذي بإمكانه أن يختار أي حكم يناسبه ويتماشى مع الحلّ الذي يرتضيه ففي ذلك رحمة به ، لأنّه إذا كان الإمام مالك مثلاً متشدّداً في مسألة ما ، فإن بإمكان المسلم أن يُقلّدَ أبا حنيفة المتساهلَ فيها .

أمّا عند الشيعة فهم يفسّرون الحديث على غير هذا المعنى ويروون أنّ الإمام الصادق (عليه السلام) لمّا سُئل عن هذا الحديث « إختلاف أمّتي رحمة » قال صدق رسول الله ! فقال السائل إذا كان إختلافهم رحمة فاجتماعهم نقمة ! فقال الصادق : ليس حيثُ ذهبتَ ويذهبون (يعني في هذا التفسير) إنّما قصد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : إختلاف بعضهم إلى بعض يعني يسافر بعضهم إلى بعض وينفر إليه ويقصده لأخذ العلم عنه واستدلّ على ذلك يقول الله تعالى : **﴿ فلولا نَفر من كل فرقة منهم آية طائفةٌ ليتفقّهوا في الدّين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلّهم يحذرون ﴾**[1] .

ثم أضاف قائلاً فإذا إختلفوا في الدّين صاروا حزب إبليس .

وهو كما نرى تفسير مقنعٌ ولأنّه يدعو لوحدة العقيدة لَا للإختلاف فيها[2] .

ثم إنّ الحديث بمفهوم أهل السنّة والجماعة غير معقول لأنّه يدعو للإختلاف والفُرقة وتعدّد الآراء والمذاهب وكل هذا يعارض القرآن الكريمَ الذي يدعونا للوحدة والإلتفاف حول شيء واحدٍ : يقول سبحانه : **﴿ وإن هذه أمتكم أمةً**

---

(1) سورة التوبة : آية 122 .

(2) البسملة في الصلاة مكروهة عند المالكية وواجبة عند الشافعية ومستحبة عند الحنفية والحنابلة قالوا : بإخفاتها صلّ في الصلاة الجهرية .

واحدة وأنا ربكم فاتقونِ ﴾[1] ويقول : **﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا ﴾**[2] ويقول : **﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾**[3] .

فأي نزاع وأية تفرقة هي أكبر من تقسيم الأمّة الواحدة إلى مذاهب وأحزاب وفرق يخالف بعضهم بعضاً ويسْخر بعضهم من بعضٍ بل ويكفّر بعضهم بعضاً حتى يستحلّ بعضهم دم البعض الآخر ، وهو ما وقع بالفعل على مرّ العصور ، والتاريخ أكبر شاهد على ذلك ، هذا وقد حذّرنا سبحانه من النتائج الوخيمة التي تصير إليها أمّتنا إذا تفرّقت فقال سبحانه : **﴿ ولا تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا من بعدما جاءهم البينات ﴾**[4] **﴿ إنّ الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء ﴾**[5] **﴿ ولا تكونوا من المشركين . من الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً ، كلّ حزبٍ بما لديهم فرحون ﴾**[6] .

وتجدر الإشارة هنا بأنّ معنى شِيعاً لَا علاقة لها بالشيعة كما توهّم بعض البُسطاء عندما جاءني ينصحني على زعمه قائلاً : يا أخي بالله عليك دعنا من الشيعة فإن الله يمقُتهم وحذّر رسوله أنْ يكون منهم ! قلتُ وكيف ذلك ؟ قال : **﴿ إن الّذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً لستَ منهم في شيء ﴾** وحاولتُ إقنَاعه بأنّ شِيَعاً معناها أحزاباً ولا علاقة لها بالشيعة ولكنّه ومع الأسف الشديد لم يقتنع لأن سيّده إمام المجسد هكذا علّمه وحذّره من الشيعة فلم يعدْ يتقبّل غير ذلك .

أعود إلى الموضوع فأقول بأني كنتُ في حيرة قبل استبصاري عندما أقرأ حديث « إختلاف أمّتي رحمة » وأقارنه مع حديث :

---

(1) سورة المؤمنون آية 52 .

(2) سورة آل عمران آية 103 .

(3) سورة الأنفال آية 46 .

(4) سورة آل عمران آية 105 .

(5) سورة الأنعام آية 159 .

(6) سورة الروم آية 21 ـ 22 .

« ستفترق أمّتي إلى أثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلاّ واحدة »[1] .

وأتساءل كيف يكون إختلاف الأمة رحمة وفي نفس الوقت يوجب دخول النار ؟؟

وبعد قراءتي لتفسير الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) لهذا الحديث زالت الحيرة وانحلّ اللّغْزُ وعرفتُ بعد ذلك بأنّ الأئمة من أهل البيت ، هم أئمة الهدى ومصابيح الدّجى وهم بحق ترجمان القرآن والسنّة وحقيق بالرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يقول في حقّهم :

« مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح ، من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق ، لاَ تتقدموهم فتهلكوا ولاَ تتخلّفوا عنهم فتهلكوا ، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم »[2] .

وكان حقيق بالإمام علي (عليه السلام) أن يقول :

« أنظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا أثرهم فلن يخرجوكم من هدى ، ولن يعيدوكم في ردى ، فإن لبدوا فالبدوا ، وإن نهضوا فانهضوا ، ولا تسبقوهم فتضلّوا ، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا »[3] .

وقال (عليه السلام) في خطبة أخرى يعرف بها قدر أهل البيت (عليهم السلام) :

« هم عيش العلم وموتُ الجهل ، يخبركم حلمهم عن علمهم ، وظاهرهم

---

(1) سنن ابن ماجة كتاب الفتن ج 2 رقم الحديث 3993 مسند أحمد ج 3 ص 120 والترمذي في كتاب الإيمان .

(2) الصواعق المحدقة لابن حجر ص 136 وص 227 الجامع الصغير للسيوطي ج 2 ص 132 مسند أحمد بن حنبل ج 3 ص 17 وج 4 ص 366 حلية الأولياء ج 4 ص 306 مستدرك الحاكم ج 3 ص 151 تلخيص الذهبي ـ المعجم الصغير للطبراني ج 2 ص 22 .

(3) نهج البلاغة للإمام علي ج 2 ص 190 .

عن بـاطنهم ، وصمتهم عن حكم منطقهم ، لا يخـالفون الحق ولا يختلفـون فيـه هم دعائم الإسـلام ، وولائج الإعتصـام ، بهم عاد الحق إلى نصـابه ، وانزاح الباطـل عن مقامـه ، وانقطع لسـانه عن منبتـه ، عقلوا الدّين عقـل وعـايـة ورعـايـة لا عقـل سـماع وروايـة . فـإن رواة العلم كثـير ورعـاتـه قليل »[1] .

نعم ، صدق الإمام علي فيما بيّنه فهو بـاب مدينـة العلم ، فهناك فـرق كبير بين من عقل الدّين عقل وعاية ورعاية وبين من عقله عقل سماع ورواية .

والـذين يسمعـون ويـروون كثـيرون ، فكم كـان عـدد الصحـابـة الـذين يجالسون رسول الله صلّىٰ الله عليـه وآله وسلّم ويسمعـون منه الأحـاديث وينقلونها بغير فهم أوْ علم فيتغيّر معنى الحديث وقد يؤدّي إلى العكس الذي قصده الـرسول صـلّىٰ الله عليه وآلـه وسلّم وقد يؤدّي بعض الأحيـان إلى الكفـر لصعـوبـة إدراك الصحابي للمعنى الحقيقي[1] .

أمّـا الذين يعـون العلم ويرعـونه فقليلون جـدًّا وقد يُفني الإنسـانُ عمره في طلب العلم ولا يحصـل منه إلاّ عـلى اليسير ، وقـد يتخصّص في بـاب من أبـواب العلم أو فنّ من فنونه ولا يمكنه أن يحيط بكل أبوابه ، ولكن المعروف أنّ أئمة أهل البيت (عليهم السلام) كانوا ملمّين وعارفين بشتّى العلوم ، وهذا ما أثبتـه الإمام علي كما يشهد المؤرخون وكذلك محمد الباقر وجعفر الصادق الذي تتلمذ على يديه آلاف الشيـوخ في شتّى العلوم والمعـارف من فلسفـة وطب وكيميـا وعلوم طبيعيـة وغيرها .

---

(1) نهج البلاغة للإمام علي ج 3 ص 439 .

(2) مثـال ذلك مـا رواه أبو هـريرة من « أنّ الله خلق آدم عـلى صورتـه » ولكن الإمـام جعفـر الصادق عليه السـلام أوضح الأمـر فقال إن رسـول الله صلى الله عليـه وآله وسلّم سمـع رجلين يتسابان فقال أحدهما للآخر قبح الله وجهك ووجه من يشبهك فقال لـه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم « إن الله خلق آدم على صـورته » أي أنـك بسبّك من يشبهـه قد سببت آدم لأنه يشبهه .

العقائد عند الشيعة وعند
أهل السنة والجماعة

ممّا زاد قناعتي بأنّ الشيعة الإمامية هي الفرقة الناجية هو أنّ عقائدهم سمحة وسهلة القبول لكل ذي عقل حكيم وذوق سليم ، ونجد عندهم لكل مسألة من المسائل ولكل عقيدة من العقائد تفسيراً شافياً كافياً لأحد أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ، قد لا نجد لها حلاّ عند أهل السنّة وعند الفرق الأخرى .

وسأتتبّع في هذا الفصل بعض العقائد وأهمّها عند الفريقين ، وأحاول إبراز ما اقتنعتُ به ، وأترك للقارىء حرية الفكر والإختيار والنقد والتجريح .

وألفت النظر إلى أن العقيدة الأساسية هي بالنسبة للمسلمين كافّةً عقيدة واحدة ، وهي الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله ، لا يفرّقون بين أحد من رسله كما يتفقون في أن النّار حق والجنة حق وأنّ الله يبعث من في القبور ويحشرهم جميعاً ليوم الحساب .

كما أنهم يتفقُون على القرآن ويؤمنون بأن نبيّهم محمد رسول الله ، وقبلتهم واحدة ولكن وقع الإختلاف في مفهوم هذه العقائد ، فأصبحت مسرحاً للمدارس الكلامية يرون فيها شتىّ الآراء والمذاهب .

العقيدة في الله تعالى
(عند الطرفين)

وأهمّ ما يذكر في هذا الموضوع هي رؤية الله تعالى فقد أثبتها أهل السنّة والجماعة لكل المؤمنين في الآخرة وعندما نقرأ صحاح السنّة والجماعة كالبخاري ومسلم مثلاً نجد روايات تؤكد الرؤية حقيقة لا مجازاً[1] . بل نجد فيها تشبيهاً لله سبحانه ، وأنه يضحك[2] ويأتي ويمشي وينزل إلى سماء الدنيا[3] بل ويكشف عن ساقه التي بها علامة يُعرف بها[4] . ويضعُ رجله في جهنّم فتمتلىء وتقول قط قط إلى غير ذلك من الأشياء والأوصاف التي يتنزّه الله جلّ وعلا عن أمثالها[5] .

وأذكر أنّي مررت بمدينة لآمو في كينيا بشرق أفريقيا ووجدت إماماً من الوهّابية يحاضر المصلّين داخل المسجد ويقول لهم بأنّ لِلّه يدين ورجلين وعينين ووجهاً ، ولمّا استنكرتُ عليه ذلك قام يستدلّ بآيات من القرآن قائلاً ﴿ وقالت

---

(1) صحيح البخاري ج 2 ص 47 ج 5 ص 179 وج 6 ص 33 .

(2) صحيح البخاري ج 4 ص 226 وج 5 ص 47 ـ 48 صحيح مسلم ج 1 ص 114 ـ 122 .

(3) صحيح البخاري ج 8 ص 197 .

(4) صحيح البخاري ج 8 ص 182 .

(5) صحيح البخاري ج 8 ص 187 وفي صفحة 202 يثبت أن لله يد وأصابع .

اليهود يد الله مغلولة غُلّتْ أيديهم ولعنوا بما قالوا بلْ يداه مبسوطتان . . . ﴾[1] وقال أيضاً ﴿ **واصنع الفلك بأعيننا . . . ﴾**[2] وقال : ﴿ **كلّ من عليها فانٍ ويبقى وجه ربك . . . ﴾**[3] .

قلتُ : يا أخي ، كلّ هذه الآيات التي أدليتَ بها وغيرها إنما هي مجازٌ وليستْ حقيقة !

أجاب قائلاً : كل القرآن حقيقة وليس فيه مجازاً ، قلتُ : إذن ما هو تفسيركم للآية التي تقول : ﴿ **ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى . . . ﴾**[4] ، فهل تحملون هذه الآية على المعنى الحقيقي ؟ فكلّ أعمى في الدنيا يكون أعمى في الآخرة ؟ أجاب الشيخ نحن نتكلّم عن يد الله وعين الله ووجه الله ، ولاَ دخل لنا في العميان !

قلتُ : دعنا من العميان فما هو تفسيركم في الآية التي ذكرتَها : ﴿ **كلّ من عليها فانٍ ويبقى وجه ربّك . . . ﴾** التفتَ إلى الحاضرين وقال لهم : هل فيكم من لم يفهم هذه الآية ؟ إنّها واضحة جليّة كقوله سبحانه ﴿ **كل شيء هالك إلا وجهه ﴾**[5] . قلتُ : أنت زدت الطينَ بلّةً ! يا أخي نحن إنّما اختلفنا في القرآن ، إدّعيتَ أنتَ بأن القرآن ليس فيه مجاز وكلّه حقيقة ! وادّعيتُ أنَا بأنّ في القرآن مجازاً وبالخصوص الآيات التي فيها تجسيم لله تعالى أو تشبيه ، وإذا أصررتَ على رأيك فيلزمك أن تقول ، بأنّ كل شيء هالك لولا وجهه معناه يداه ورجلاه وكل جسمه يفنى ويهلك ولاَ يبقى منه إلاّ الوجه ، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً ! ثم التفتُّ إلى الحاضرين قائلاً : فهل ترضون بهذا التفسير ؟ سكتَ

---

(1) سورة المائدة آية 64 .

(2) سورة هود آية 37 .

(3) سورة الرحمن آية 27 .

(4) سورة الإسراء اية 72 .

(5) سورة القصص آية 88 .

الجميع ولم يتكلّم شيخهم المحاضر بكلمة فودّعتهم وخرجتُ داعياً لهم بالهداية والتوفيق .

نعم هذه عقيدتهم في الله في صحاحهم وفي محاضراتهم ولأقول أنّ بعض علمائنا ينكر ذلك ولكن الأغلبية يؤمنون برؤية الله سبحانه في الآخرة وأنهم سوف يرونه كما يرون القمر ليلة البدر ليس دونها سحاب ويستدلّون بالآية ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة** ﴾[1] .

وبمجرّد إطلاعك على عقيدة الشيعة الإمامية في هذا الصدد يرتاح ضميرك ويُسلّم عقلك بقبول تأويل الآيات القرآنية التي فيها تجسيم أو تشبيه لِلّهِ تعالى وحملها على المجاز والإستعارة ، لا على الحقيقة ولا على ظواهر الألفاظ ، كما توهّمه البعض .

يقول الإمام علي (عليه السلام) في هذا الصدد :

« لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن ، الذي ليس لصفته حدّ محدود ولا نعتٌ موجودٌ ولا وقتٌ محدودٌ ولاَ أجل ممدودٌ . . . »[2] .

ويقول الإمام محمد الباقر (عليه السلام) في الردّ على المشبّهة :

« بل كل ما ميّزناه بأوهامنا في أدق معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلنا مردود إلينا . . . »[3] .

ويكفينا في هذا ردّ الله سبحانه في محكم كتابه قوله : ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾ وقوله ﴿ **لا تدركه الأبصار** ﴾ وقوله لرسوله وكليمه موسى (عليه السلام) لّما طلب

---

(1) سورة القيامة اية 23 هذه الآية فسّرها أئمة أهل البيت (عليهم السلام) بأن الوجوه تكون يومئذ ناضرة بمعنى الحسن والبهجة وإلى رحمة ربّها ناظرة .

(2) نهج البلاغة شرح محمد عبده ج 1 الخطبة عدد 1 .

(3) عقائد الإمامية .

ؤيته ﴿ قال ربّ أرني أنظر إليك : قال : لن تراني ﴾ ولن « الزمخشرية » تفيد تأبيد كما يقول النحاة .

كل ذلك دليل قاطع على صحة أقوال الشيعة الذين يعتمدون فيها على وال الأئمة من أهل البيت ، معدن العلم وموضع الرسالة ، ومن أورثهم الله لم الكتاب .

ومن أراد التوسّع في هذا البحث فما عليه إلاّ الرجوع إلى الكتب المفصّلة ـذا الموضوع ككتاب « كلمة حول الرؤية » للسيد شرف الدين صاحب لمراجعات[1] .

---

(1) كتاب المراجعات من الكتب التي يجب أن يقرأها كل من يريد التعرف على عقائد الشيعة الإمامية وأفكارهم .

العقيدة في النبوة

(عند الطرفين)

والخلاف الواقع بين الشيعة وأهل السنّة في هذا الباب هو موضع العصمة ، فالشيعة يقولون بعصمة الأنبياء (عليهم السلام) قبل البعثة وبعده ويقول أهل السنّة والجماعة بأنّهم معصومون في ما يبلّغونه من كلام الله فقط ، فيما عدا ذلك فهم كسائر البشر يخطئون ويصيبون . وقد رووا في ذلك عروايات في صحاحهم تثبتُ بأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أخطأ في مناسبات وكان بعض الصحابة يصوّبه ويصلحه ، كما في قضية أسرى بدر أخطأ فيها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأصاب عمر ، ولولاه لهلك ر الله . . .[1] ومنها أنّه لما قدم المدينة وجد أهلها يُؤبرون النّخل فقال لهم : تؤبّروه وسيكون تمراً » ولكنه جاء شيصا ، فجاؤوه وشكوا له ذلك فقال لهم « أعلم بأمور دنياكم مني » وفي رواية أخرى قال لهم :

« إنّما أنا بشرٌ إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوه ، وإذا أمرتكم بشي رأيي فإنّما أنا بشر »[2] .

---

(1) البداية والنهاية لابن كثير نقل عن الإمام أحمد ومسلم وأبي داود والترمذي .

(2) صحيح مسلم في كتاب الفضائل ج 7 ص 95 ومسند الإمام أحمد ج 1 ص 162 و ص 152 .

ومرّة يروون أنّه سُحِرَ وبقِيَ أياماً مسحوراً لا يدري ما يفعل ، حتّى أنّه كان يخيّلُ إليه أنّه كان يأتي النساء ولا يأتيهنّ[1] أو يخيّل إليه أنه صنع شيئاً ولم يصنعه[2] .

ومرّة يروون أنّه سها في صلاته فلم يدر كم صلّى من ركعة[3] وأنّه نام واستغرق في نومه حتّى سمعوا غطيطه ثُم استيقظ فصلّى بدون وضوء[4] . ويروون أنّه يغضب ويسبّ ويلعنُ من لَا يستحقّ ذلك فيقول :

« اللّهمّ إنّما أنا بشرٌ فأي المسلمين لعنته ، أو سببتُه فاجعله له زكاة ورحمة . . . »[5] .

ويروون أنّه كان مضطجعاً في بيت عائشة كاشفاً عن فخذيه ودخل عليه أبو بكر وتحدّث معه وهو على تلك الحال ، ثم دخل عمر وتحدّث معه وهو على تلك الحال ، ولمّا إستأذن عثمان جلسَ وسوّى ثيابه ، ولمّا سألته عائشة عن ذلك ، قال لها :

« ألا أستحي من رجُلٍ تستحي منه الملائكة »[6] .

ويروون أنه كان يصبح جُنبًا في رمضان[7] فتفوته صلاة الفجر ، إلى غير ذلك من الأحاديث التي لا يقبلها عقل ، ولا دين ، ولا مروءة[8] .

أمّا الشيعة ـ إستناداً إلى أئمة أهل البيت ـ فهم ينزّهون الأنبياء عن هذه

---

(1) صحيح البخاري ج 7 ص 29 .
(2) صحيح البخاري ج 4 ص 68 .
(3) صحيح البخاري ج 1 ص 123 وج 2 ص 65 .
(4) صحيح البخاري ج 1 ص 37 وص 44 وص 171 .
(5) سنن الدارمي كتاب الرّقاق .
(6) صحيح مسلم باب فضائل عثمان ج 7 ص 117 .
(7) صحيح البخاري ج 2 ص 232 وص 234 .
(8) صحيح البخاري ج 3 ص 114 وج 7 ص 96 .

التّرّهات وخصوصاً نبيّنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، ويقولون بأنه منزّه عن الذنوب والخطايا والمعاصي صغيرة كانت أم كبيرة ، وهو معصوم عن الخطأ والنسيان والسهو والسّحر وكل ما يخالط العقل ، بل هو منزّهٌ حتّى عمّا يتنافى مع المروؤة والأخلاق الحميدة كالأكل في الطريق ، أو الضحك بصوت عال أو المزاح بغير حق ، أو أي فعل يستهجنُ عمله عند العرف العام ، فضلاً عن أن يضع خده على خدّ زوجته أمام النّاس ويتفرج معها على رقص السودان[1] أو أن يخرج زوجته في غزوة فيتسابق معها فيغلبها مرة وتغلبه أخرى فيقول لها « هذه بتيك »[2] .

والشيعة يعتبرون الروايات التي رويتْ في هذا المعنى والتي تتناقض مع عصمة الأنبياء كلّها موضوعة من قبل الأمويين وأنصارهم أولا . للحطّ من قيمة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وثانياً . لكي يلتمسوا عذراً لأعمالهم القبيحة وأخطائهم الشنيعة التي سجّلها لهم التاريخ ، فإذا كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يخطىءُ ويميلُ مع الهوى ، كما رووا ذلك في قصّة « عشقه زينب بنتِ جحش لّما رآها تمشط شعرها وهي زوجة لزيد بن حارثة فقال : سبحان الله مُقلّب القلوب »[3] أو قصّة ميله إلى عائشة وعدم عدله مع بقية زوجاته حتّى بعثنَ له مرّة مع فاطمة ومرّة مع زينب بنت جحش ينشدنه العدل[4] فإذا كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على هذه الحالة فلا لوم بعد ذلك على معاوية بن أبي سفيان ومروان بن الحكم وعمرو بن العاص ويزيد بن معاوية وكلّ الخلفاء الذين فعلوا الموبقات واستباحوا الحرمات وقتلوا الأبرياء .

والأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) الذين هم أئمة الشيعة يقولون

---

(1) صحيح البخاري ج 3 ص 228 وج 2 ص 3 كتاب العيدين .
(2) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج 6 ص 75 .
(3) تفسير الجلالين في تفسير قوله تعالى ﴿ وتخفي في نفسك ما الله مبديه ﴾ .
(4) صحيح مسلم ج 7 ص 136 باب فضائل عائشة .

بعصمته صلى الله عليه وآله وسلّم ، ويؤولون الآيات القرآنية التي يفهمُ ظاهرها أنّ الله سبحانه عاتب نبيّه مثل « عبس وتولّى » أو التي في بعضها إقرار الذنوب عليه كقوله ﴿ ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر ﴾ أو قوله ﴿ لقد تاب الله على النّبي ﴾ و ﴿ عفا الله عنك لِمَ أذنت لهم ﴾ .

وكلّ هذه الآيات لَا تخدش في عصمته صلّى الله عليه وآله وسلّم فبعضها لم يكن هو المقصود بها ، وبعضها الآخر يحملُ على المجاز لا على ظواهر الألفاظ ، وهو كثير الإستعمال في لغة العرب وقد استعمله سبحانه في القرآن الكريم .

ومن أراد التفصيل والوقوف على حقيقة الأشياء فما عليه إلّا الرجوع إلى كتب التفسير عند الشيعة أمثال الميزان في تفسير القرآن للعلّامة الطباطبائي وتفسير الكاشف لمحمد جواد مغنية والإحتجاج للطبرسي وغيرهم لأنّني رُمتُ الإختصار وإبراز عقيدة الفريقين بصفة عامّة وليس هذا الكتاب إلّا لغرض بيان قناعاتي الشخصية التي اقتنعتُ بها ، واختياري الشخصي لمذهب يقول بعصمة الأنبياء والأوصياء من بعدهم ويُريحُ فكري ، ويقطعُ عنّي طريق الشكّ والحيرة .

والقول بأنه معصوم فقط في تبليغ كلام الله قولٌ هُراءٌ لَا حُجةَ فيه لأنّه ليس هناك دليلٌ على أنّ هذا القسم من كلامه هو من عند الله ، وذاك القسم هو من عند نفسه ، فيكون في الأوّل معصوماً ويكون في الثاني غير معصوم ويحتملُ فيه الخطأ .

أعوذ بالله من هذا القول المتناقض الذي يبعثُ على الشكّ والطعن في قداسة الأديان .

وهذا يذكّرني بمحاورة دارت بيني وبين جماعة من الأصدقاء بعد استبصاري ، وكنتُ أحاول إقناعهم بأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم معصوم ، وكانوا يحاولون إقناعي بأنه معصوم فقط في تبليغ القرآن ، وكان من بينهم أستاذٌ من توزد « منطقة الجريد »[1] وهم مشهورون بالذكاء والعلم والنكتة

---

(1) منطقة الجريد بالجنوب التونسي تبعد عن قفصة 92 كلم وهي مسقط رأس أبو القاسم

الطريفة ، ففكّر قليلاً ثم قال : « يا جماعة أنا عندي رأي في هذه المسألة » فقلنا جميعاً : ـ تفضّل هات ما عندك ! قال :

ـ إنّ ما يقوله أخونا التيجاني على لسان الشيعة هو الحق الصحيح ، ويجبُ علينا الإعتقاد بعصمة الرسول المطلقة ، وإلاّ داخلنا الشّكَ في القرآن نفسه !

ـ قالوا : ولِمَ ذلك ؟ أجاب على الفور :

هل وجدتُم أي سورة من سور القرآن تحتها إمضاء الله تعالى ؟؟

ويقصد بالإمضاء : الختمُ الذي يختمُ به العقود والرسائل للدلالة على هوية صاحبها وأنها صادرة عنه . وضحك الجميع لهذه النكتة الطريفة ، ولكنّها ذاتَ معنى عميق ، فأي إنسان غير متعصّب يتمعّن بعقله ستصدمه هذه الحقيقة ألا وهي : الإعتقاد بأنّ القرآن كلام الله هو الإعتقاد بعصمة مُبلّغة المطلقة بدون تجزأة لأنّه لا يمكن لأحد أن يدّعي بأنّه سمع اللّهَ يتكّلمُ ولاَ يدّعي أحدٌ بأنه رأى جبرائيل عندما ينزل بالوحي .

والخلاصة أنّ قول الشيعة في العصمة قولٌ سديد يطمئنّ إليه القلب ويقطع وساوس النّفس والشيطان ، ويقطع الطريق على كل المشاغبين وخصوصاً أعداء الدّين من اليهود والنصارى والملحدين الذين يبحثون عن ثغرات ينفذون منها لنسف معتقداتنا وديننا ، والطعن في نبيّنا ، فتراهم كثيراً ما يحتجّون علينا بما أورده صحيح البخاري ومسلم من أفعال وأقوال تنسبُ إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو منها بريءٌ[1] .

الشابي الشاعر المعروف والخضر حسين الذي ترأس الأزهر الشريف والكثير من علماء تونس مولودون في هذه المنطقة .

(1) أخرج البخاري في صحيحه ج 3 ص 152 في باب شهادة الأعمى من كتاب الشهادات قال : حدثنا ابن عبيد بن ميمون أخبرنا عيسى . . . عن عائشة قالت : سَمِعَ النّبي صلى الله عليه وآله وسلّم رجُلاً يقرأ في المسجد فقال : رحِمَهُ اللّهُ لقدْ أذكرني كذا وكذا آية أسقطتهنّ من سورة كذا وكذا . . .

وكيف لنـا أن نقنعهم بـأنّ كتـاب البخـاري وكتـاب مسلم فيهـما بعض الأكـاذيب ، وهذا الكـلام خـطير طبعـاً ، لأن أهـل السنّـة والجـماعـة لا يقبلونـه فالبخاري عندهم أصحّ كتاب بعد كتاب الله !

إقـرأ واعجب أيها القـارىء من هذا الرّسول الـذي يسقط الآيات ، ولـولا هـذا الأعمى الذي ذكره بهنّ لكنّ في خبر كان ـ أستغفر الله من هذا الهذيان .

والقصد من الإمامة في هذا البحث هي الإمامة الكبرى للمسلمين ، أعني الخلافة والحكم ، والقيادة والولاية .

وبما أنّ كتابي إعتمد في أبحاثه على المقارنة بين مذهب أهل السنّة والجماعة ، والشيعة الإمامية لا بد لي من إبراز مبدأ الإمامة عند الفريقين ، حتّى يتبيّن للقاريء والباحث ما هي الأسس والمعالم التي يرتكز عليها كلّ من الفريقين ، ويعرف بالتّالي القناعات التي ألزمتني بقبول التحوّل وترك ما كنتُ عليه .

فالإمامة عند الشيعة ، هي أصل من أصول الدّين لما لها من الأهمية الكبرى والخطورة العظمى وهي قيادة خير أمة أخرجت للنّاس وما تقوم عليه القيادة من فضائل عديدة وخصائص فريدة أذكر منها ، العلم والشجاعة والحلم والنزاهة والعفّة والزهد والتقوى والصلاح الخ .

فالشيعة يعتقدون بأنّ الإمامة منصب إلهي يَعهد به الله سبحانه إلى من يصطفيه من عباده الصالحين ليقوم بذلك الدور الخطير ألا وهو قيادة العالم بعد النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم .

وعلى هذا كان الإمام علي بن أبي طالب إماماً للمسلمين باختيار الله له ،

وقد أوحى لرسوله لكي ينصّبه علماً للناس ، وقد نصّبه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ودلّ الأمة عليه بعد حجة الوداع في غدير خم ، فبايعوه « هذا ما يقوله الشيعة » .

أمّا أهل السنّة والجماعة فيقولون أيضاً بوجوب الإمامة لقيادة الأمّة ، ولكنّهم يجعلون للأمة حق إختيار إمامها وقائدها ، فكان أبو بكر بن أبي قحافة إماماً للمسلمين باختيار المسلمين أنفسهم له بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم الذي سكت عن أمر الخلافة ولم يبيّن للأمّة شيئاً منها وترك الأمر شورى بين النّاس .

أين الحقيقة

إذا تأمّل الباحث في أقوال الطرفين وتمعّن في حُجج الفريقين بدون تعصّب فسوف يقترب من الحقيقة بدون شك . وها أنا سوف أستعرض وإياكم الحقيقة التي وصلت إليها على النحو التالي :

I الإمامة في القرآن الكريم :

قال الله تعالى : ﴿ **وإذا ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات فأتمهنّ قال إني جاعلك للناس إماماً ، قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين** ﴾[1] .

في هذه الآية الكريمة يبّينُ الله لنا بأنّ الإمامة منصبٌ إلهي يعطيه الله لمن يشاء من عباده لقوله : جاعلك للناس إماماً كما توضّح الآية بأن الإمامة هي عهد من الله لا ينال إلا العباد الصالحين الذين اصطفاهم الله لهذا الغرض لانتفائه عن الظالمين الذين لا يستحقّون عهده سبحانه وتعالى .

وقال تعالى : ﴿ **وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين** ﴾[2] .

---

(1) سورة البقرة آية 124 .

(2) سورة الأنبياء آية 73 .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لمّا صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون** ﴾[1] .

وقال أيضاً : ﴿ **ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين** ﴾[2] .

وقد يتوهّم البعض بأن مدلول الآيات المذكورة يُفهم منها بأن الإمامة المقصودة هنا هي النبوّة والرسالة وهو خطأ في المفهوم العام للإمامة ، لأن كل رسول هو نبي وإمام وليس كل إمام رسول أو نبي !

ولهذا الغرض أوضح الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بأنّ عباده الصالحين يمكن لهم أن يسألوه هذا المنصب الشريف ليتشرّفوا بهداية النّاس وينالوا بذلك الأجر العظيم قال تعالى : ﴿ **والذين لا يشهدون الزور وإذا مرّوا باللغو مرّوا كراماً والذين إذا ذُكّروا بآيات ربّهم لم يخرّوا عليها صُمًّا وعمياناً ، والذين يقولون ربّنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعينٍ واجعلنا للمتقين إماماً** ﴾[3] .

كما أنّ القرآن الكريم إستعمل لفظ الإمامة للتدليل على القادة والحكّام الظالمين الذين يُضلّون أتباعهم وشعوبهم ويقودنهم إلى الفساد والعذاب في الدنيا والآخرة ، فقد جاء في ذكر الحكيم ، حكاية عن فرعون وجنوده ، قوله تعالى : ﴿ **فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليمّ فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ، وجعلناهم أئمة يدعون إلى النّار ويوم القيامة لا يُنصرون ، وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنةً ويوم القيامة هم من المقبوحين** ﴾[4] .

وعلى هذا الأساس فقول الشيعة هو الأقرب لما أقره القرآن الكريم لأنّ الله

---

(1) سورة السجدة آية 24

(2) سورة القصص آية 5 .

(3) سورة الفرقان آية 71 ـ 74 .

(4) سورة القصص آية 41 ـ 42 .

سبحانه وتعالى أوضح بما لا يدع مجالاً للشك بأنّ الإمامة منصب إلهي يجعله الله حيث يشاء وهو عهد الله الذي نفاه عن الظّالمين وبما أنّ غير علي من صحابة النبي قد أشركوا فترة ما قبل الإسلام فإنهم بذلك يصبحون من الظالمين ، فلا يستحقّون عهد الله لهم بالإمامة والخلافة ، ويبقى قول الشيعة بأنّ الإمام علي بن أبي طالب إستحقّ وحده دون سائر الصحابة عهد الله بالإمامة لأنّه لم يَعبُد إلاّ الله وكرّم الله وجهه دون الصحابة لأنه لم يسجد لصنم ، وإذا قيل بأنّ الإسلام يجبّ ما قبله ، قلنا نعم ولكن يبقى الفرقُ كبيراً بين من كان مشركاً وتاب ، ومن كان نقيّاً خالصاً لم يعرف إلاّ الله .

II الإمامة في السنّة النبوية :

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في الإمامة أقوالاً متعدّدة رواها كلّ من الشيعة والسنّة في كتبهم ومسانيدهم فمرّة تحدث عنها بلفظ الإمامة ومرّة بلفظ الخلافة وأخرى بلفظ الولاية أو الإمارة .

جاء في الإمامة قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم :

« خيار أئمتكم الذين تحبّونهم ويحبّونكم وتصلّون عليهم ويصلّون عليكم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم » .

قالوا يا رسول الله أفلا ننابذهم بالسيف فقال « لاَ ما أقاموا فيكم الصلاة »[1] .

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم :

« يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنّون بسنّتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس »[2] .

---

(1) صحيح مسلم ج 6 ص 24 باب خيار الأئمة وشرارهم .
(2) صحيح مسلم ج 6 ص 20 باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن .

وجاء في الخلافة قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم :

« لا يزال الدّين قائماً حتّى تقوم السّاعة أو يكون عليكم إثنا عشر خليفة كلّهم من قريش »[1] .

وعن جابر بن سمرة قال سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: « لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثنى عشر خليفة ثم قال كلمة لم أفهمها فقلتُ لأبي ، ما قال ؟ فقال كلّهم من قريش »[2] .

وجاء في الإمارة قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم :

« ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون فمن عرف بريء ومن أنكر سلم ولكن من رضي وتابع قالوا : أفلا نقاتلهم قال : لا ما صلّوا »[3] .

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم في لفظ الإمارة أيضاً :

« يكون إثنا عشر أميراً كلهم من قريش »[4] .

وجاء عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم محذّراً أصحابه :

« ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة فنعم المرضعةُ وبئستِ الفاطمةُ »[5] .

وجاء الحديث أيضاً بلفظ الولاية .

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم :

« ما من وال يَلِي رعيّةً من المسلمين فيموت وهو غاشٌ لهم إلا حرّمَ الله عليه

---

(1) صحيح مسلم ج 6 ص 4 باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش .
(2) صحيح مسلم ج 6 ص 3 وصحيح البخاري ج 8 ص 105 وص 128 .
(3) صحيح مسلم ج 6 ص 23 باب وجوب الإنكار على الأمراء .
(4) صحيح البخاري ج 8 ص 127 باب الإستخلاف .
(5) صحيح البخاري ج 8 ص 106 باب ما يكره من الحرص على الإمارة .

الجنّة »[1] .

كما حدّث صلّى الله عليه وآله وسلّم بلفظ الولاية :

« لا يزال أمر النّاس ماضياً ما وليهم إثنا عشر رجلاً كلّهم من قريش »[2] .

وبعد هذا العرض الوجيز عن مفهوم الإمامة أو الخلافة التي إستعرضتها من القرآن الكريم ومن السنّة النبّوية الصحيحة بدون تفسير ولا تأويل ، بل إعتمدتُ على صحاح أهل السنّة دون غيرهم من الشيعة لأنّ هذا الأمر (أعني الخلافة في إثني عشر كلهم من قريش) عندهم من المسلّمات التي لا غبار عليها ، ولا يختلف فيها إثنان منهم ، مع العلم بأن بعض علماء أهل السنّة والجماعة يصرحون بأنّ الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم قال :

« يكون بعدي إثنا عشر خليفة كلهم من بني هاشم »[3] .

وعن الشعبي عن مسروق قال بينما نحن عند ابن مسعود نعرض مصاحفنا عليه إذ قال له فتى : هل عهد إليكم نبيّكم كم يكون من بعده خليفة قال : إنك لحديث السنّ وإن هذا شيء ما سألني عنه أحد قبلك ، نعم عهد إلينا نبيّنا صلّى الله عليه وآله وسلّم أنه يكون بعده إثنا عشر خليفة بعدد نقباء بني إسرائيل . . . »[4] .

وبعد هذا فلنستعرض أقوال الفريقين على صحّة إدّعاء كلّ منهما من خلال النصوص الصريحة ، كما نناقش تأويل كلّ منهما في هذه المسألة الخطيرة التي فرّقت المسلمين من يوم وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى يومنا هذا ، وقد نشأ من ذلك إختلاف المسلمين إلى مذاهب وفرق ومدارس كلامية وفكرية ، بعد أن كانوا أمّة واحدة . فكلّ خلاف وقع بين المسلمين سواء في الفقه أو في التفسير

---

(1) صحيح البخاري ج 8 ص 106 باب ما يكره من الحرص على الامارة.

(2) صحيح مسلم ج 6 ص 3 باب الخلافة في قريش .

(3) ينابيع المودّة ج 3 ص 104 .

(4) ينابيع المودّة ج 3 ص 105 .

للقرآن أو في فهم السنّة النبوية الشريفة منشؤه وسببُه الخلافة ومـا أدراك ما الخـلافة التي أصبحتْ بعـد السقيفة أمـراً واقعاً يُستنكـر بسببها أحـاديث صحيحة وآيـاتٌ صريحة وتُختَلقُ من أجل تثبيتها وتصحيحها أحاديث أخرى لا أسـاس لها في السنّـة النّبوية الصحيحة، وهذا يذكّرني بإسرائيل والأمر الواقع ذلك أن الرؤسـاء والملوك العرب اجتمعوا واتفقّوا أن لا إعتراف بإسرائيل ولا تفاوض معها ولا سِلْمٌ فما أُخِذَ بالقوّة لا يستردّ بغير القوة ، وبعد سنوات قليلة إجتمعوا من جـديد ليقـطعوا هـذه المرّة علاقاتهم مع مصر التي إعترفت بالكيان الصهيوني وبعد سنوات قليلة أعـادوا علاقاتهم مع مصر ولم يطعنـوا بعلاقتهـا بإسرائيـل مع أنّ إسرائيـل لم تعترف بحق الشعب الفلسطيني ولم تغيّر شيئاً من موقفها بل زادت في تعنّتـها وضـاعفت قمعها للشعب الفلسـطيني ، فالتـاريخ يعيـد نفسه وقـد إعتـاد العـربُ التسليم بـالأمـر الواقع .

رأي أهل السنة والجماعة في الخلافة ومناقشته

رأيهم معروف وهو أن رسـول الله صلّى الله عليـه وآله وسلّم تـوفيّ ولم يُعين أحـداً للخلافـة ، ولكنّ أهل الحـل والعقد من الصحـابة إجتمعـوا في سقيفة بني ساعدة ، وولّوا أمرهم أبا بكر الصـدّيق لمكانتـه من رسول الله ، ولأنّ رسـول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إستخلفه في الصلاة أيام مرضه ، فقالوا : رضيَـهُ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لأمر ديننـا فكيف لا نرضـاه لأمر دنيـانا ؟ ويتلخص قولهم في :

1 ـ الرسول لم ينص على أحد .

2 ـ لا تكون الخلافة إلاّ بالشورى .

3 ـ إستخلاف أبي بكر وقع من طرف كبار الصحابة .

نعم هذا رأيي عندما كنتُ مالكياً أدافع عنه بكل ما أوتيت من قوّة وأستـدلّ عليه بآيات الشورى . وأحاول جهدي التبجّح بأنّ الإسلام هو دين الـديمقراطيـة في الحكم وأنه السابقُ لهذا المبدأ الإنساني الذي تفخرُ به الدوّل المتحضّرة الراقية .

وأقول : إذا كان الغربُ ما عـرف النظام الجمهـوري إلاّ في القرن التـاسع عشر فإن الإسلام عرفه وسبق إليه من القرن السّادس .

ولكن وبعد لقائي بعلماء الشيعة وقراءة كتبهم والإطلاع على أدلّتهم المقنعة التي هي موجودة في كتبنا غيّرتُ رأيي الأول لمّا أسفرت الحجة عن وجهها لأنه لا يليق بجلال الله سبحانه أن يترك أمّة بدون إمام وهو القائل : ﴿ **إنّما أنتَ منذرٌ ولكلّ قوم هادٍ** ﴾ كما لا يليق برحمة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يترك أمّته بدون راعٍ ، وبالخصوص إذا عرفنا أنّه كان يخشى على أمته الفرقة[1] والإنقلاب على الأعقاب[2] . والتنافس على الدنيا[3] حتى يضرب بعضهم رقاب بعض[4] ، ويتبعوا سنن اليهود والنصارى[5] .

وإذا كانت أمّ المؤمنين عائشة بنت أبي بكر تبعث إلى عمر بن الخطاب حين طُعن فتقول له : « إستخلف على أمة محمد ولا تدعهم بعدك هملاً فإنّي أخشى عليهم الفتنة »[6] .

وإذا كان عبد الله بن عمر يدخل على أبيه حين طُعن فيقول له : « إنّ الناس زعموا أنك غير مُستخلفٍ ، وإنه لو كان لك راعي إبل أو راعي غنم ثم جاءك وتركها رأيتَ أن قد ضيّع فرعاية الناس أشد »[7] .

وإذا كان أبو بكر نفسه وهو الذي إستخلفه المسلمون بالشورى يحطّم هذا المبدأ ويسارع إلى إستخلاف عمر من بعده ليقطع بذلك دابر الخلاف والفرقة والفتنة ، وهو الأمر الذي تنبأ به علي (عليه السلام) حينما شدد عليه عمر لمبايعة أبي بكر فقال له :

---

(1) الترمذي وأبو داود وابن ماجه ومسند أحمد بن حنبل ج 2 ص 332 .
(2) صحيح البخاري ج 7 ص 209 باب الحوض . وج 5 ص 192 .
(3) صحيح البخاري ج 4 ص 63 .
(4) صحيح البخاري ج 7 ص 112 .
(5) صحيح البخاري ج 4 ص 144 وج 8 ص 151 .
(6) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج 1 ص 28 .
(7) صحيح مسلم ج 6 ص 5 باب الإستخلاف وتركه .

« أحلب حلبا لك شطره واشدد له اليوم يردده عليك غداً »[1] .

أقول إذا كان أبـو بكر لا يؤمن بـالشورى ، فكيف نصـدّق بأنّ رسـول الله صـلّى الله عليه وآلـه وسلّم ترك الأمـر بدون إستخـلاف وهل أنـه لم يكن يعلم ما عمله أبو بكر وعائشة وعبد الله بن عمر ، ومـا يعلمه كـل النّاس بـالبداهـة ، من إختلاف الآراء وتشتت الأهواء عنـدما يـوكل إليهم أمـر الإختيار وبـالخصوص إذا كان الأمر يتعلق بالرئاسة واعتلاء منصّة الخلافة ، كـما وقع ذلـك بالفعـل حتّى في اختيار أبي بكر يوم السقيفة ، إذ أنّنا رأينا خلاف سيد الأنصار سعد بن عبادة وإبنه قيس بن سعد ، وعلي بن أبي طالب والزبير بن العوّام[2] والعباس بن عبد المطلب وسـائـر بني هـاشم وبعض الصحـابـة الـذين كـانـوا يـرون الخـلافـة حقّـاً لعـلي (عليه السلام) وتخلّفوا في داره عن البيعة حتّى هُدِّدوا بالحرق[3] .

في مقـابل ذلـك نرى الشيعـة الإماميـة يثبتـون عكس مقـالـة أهـل السنّـة ويؤكدون بأن الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم عينَ عليّـاً للخلافـة ونصّ عليه في عدة مناسبات وأشهرها في غدير خم .

وإذا كان الإنصاف يقتضي منك أن تستمع إلى خصمك ليدلي برأيه وحجّتـه في قضية وقع الخلاف فيها معك ، فكيف إذا إحتجّ خصمك بما تشهد أنتَ نفسك بوقوعه »[4] .

وليس دليل الشيعة دليلاً واهياً أو ضعيفـاً حتّى يمكن التغاضي عنـه وتناسيـه بسهولة وإنما الأمر يتعلقُ بـآيات من الـذكر الحكيم أُنـزلتْ في هذا الشـأن وأولاها رسـول الله صلّى الله عليـه وآله وسلّم من العنـاية والأهميـة ما سـارت به الـركبان

---

(1) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج 1 ص 18 .
(2) صحيح البخاري ج 8 ص 26 باب رجم الحبلى من الزنا .
(3) تاريخ الخلفاء لابن قتيبة ج 1 ص 18 وما بعدها .
(4) وذلك أنه ليس هناك دليل عند الشيعة إلّا وفي كتب السنّة مصداقه .

وتناقله الخاص والعام حتّى ملأتْ كتب التاريخ والأحاديث وسجّله الرواة جيلاً بعد جيل .

1 ـ ولاية علي في القرآن الكريم :

قال الله تعالى : **﴿ إنّما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتولّ الله ورسوله والذين آمنوا فإنّ حزب الله هم الغالبون ﴾**[1] .

أخرج الإمام أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره الكبير[2] بالإسناد إلى أبي ذرّ الغفاري قال : سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بهاتين وإلاّ صمّتا ، ورأيته بهاتين وإلاّ عميتا ، يقول :

« عليٌّ قائد البررة وقاتل الكفرة ، منصور من نصره ، مخذول من خذله » .

أما إنّي صلّيت مع رسول الله ذات يوم ، فسأل سائل في المسجد ، فلم يُعطه أحد شيئاً ، وكان علي راكعاً فأومأ بخنصره إليه وكان يتختّم بها ، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره ، فتضرّع النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى الله عزَّ وجلّ يدعوه فقال : اللّهم إن أخي موسى سألك « قال ربّ إشرح لي صدري ويسّر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي ، واجعل لي وزيراً من أهلي ، هارون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري ، كي نسبّحك كثيراً ونذكرك كثيراً ، إنك كنت بنا بصيراً » فأوحيتَ إليه « قد أوتيتَ سؤلك يا موسى » « اللّهم وأنّي عبدك ونبيك ، فاشرح لي صدري ويسّر لي أمري ، واجعل لي وزيراً من أهلي عليًّا أشدد به ظهري » قال أبو ذر ، فوالله ما استتمّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم الكلمة حتى هبط عليه الأمين جبرائيل بهذه الآية : **﴿ إنما وليكم الله**

---

(1) سورة المائدة آية 55 ـ 56 .

(2) أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الثعلبي المتوفي سنة 337 هـ ذكره ابن خلكان وقال : كان أوحد زمانه في علم التفسير صحيح النقل موثوق به .

ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ، ومن يتولّ الله ورسوله والذين آمنوا فإنّ حزب الله هم الغالبون ﴾[1] .

ولا خلاف عند الشيعة في أنها نزلت في علي بن أبي طالب رواية عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وهي من الأخبار المتسالم عليها عندهم فقد رُويت في العديد من كتب الشيعة المعتبرة عندهم مثل :

1 ـ بحار الأنوار للمجلسي .
2 ـ إثبات الهداة للحر العاملي .
3 ـ تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي .
4 ـ تفسير الكاشف لمحمد جواد مغنية .
5 ـ الغدير للعلامة الأميني ـ وغير هؤلاء كثير ـ .

كما روى نزولها في علي بن أبي طالب من علماء أهل السنّة والجماعة جمع غفير أذكر منهم فقط علماء التفسير .

1 ـ تفسير الكشاف للزمخشري ج 1 ص 649 .
2 ـ تفسير الطبري ج 6 ص 288 .
3 ـ زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ج 2 ص 383 .
4 ـ تفسير القرطبي ج 6 س 219 .
5 ـ تفسير الفخر الرّازي ج 12 ص 26 .
6 ـ تفسير ابن كثير ج 2 ص 71 .
7 ـ تفسير النّسفي ج 1 ص 289 .
8 ـ شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ج 1 ص 161 .
9 ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ج 2 ص 293 .
10 ـ أسباب النزول للإمام الواحدي ص 148 .

---

(1) الجمع بين الصحاح الستّة . صحيح النسائي ـ مسند أحمد ـ ابن حجر في صواعقه وكذلك رواها ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة .

11 ـ أحكام القرآن للجصّاص ج 4 ص 102 .

12 ـ التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي ج 1 ص 181 .

وما لم أذكره من كتب السنّة أكثر مما ذكرتُ .

2 ـ آية البلاغ تتعلق أيضاً بولاية علي :

قال تعالى : ﴿ **يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلّغتَ رسالته والله يعصمك من النّاس** ﴾[1] .

يقول بعض المفسّرين من أهل السنة والجماعة بأن هذه الآية نزلت في بداية الدعوة عندما كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقيم حرساً يحرسونه خوفاً من القتل والإغتيال فلما نزلتْ ﴿ **والله يعصمك من الناس** ﴾ قال « إذهبوا فإنّ الله قد عصمني » .

فقد أخرج ابن جرير وابن مردويه عن عبد الله بن شقيق قال : « إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان يتعقّبه ناس من أصحابه فلما نزلت ﴿ **والله يعصمك من الناس** ﴾ فخرج فقال :

« يا أيها الناس إلحقوا بملاحقكم فإنّ الله قد عصمني من الناس »[2] .

وأخرج ابن حبان وابن مردويه عن أبي هريرة قال : كنا إذا صحبنا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في سفر تركنا له أعظم دوحة وأظلها فينزل تحتها فنزل ذات يوم تحت شجرة وعلق سيفه فيها ، فجاء رجل فأخذه فقال : يا محمد من يمنعك مني ؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم الله يمنعني منك . ضع عنك السيف فوضعه ، فنزلت ﴿ **والله يعصمك من الناس** ﴾[3] .

---

(1) سورة المائدة آية 67 .

(2) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج 3 ص 119 .

(3) نفس المصدر السّابق .

كما أخرج الترمذي والحاكم وأبو نعيم عن عائشة قالت : كان النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم يُحرسُ حتّى نزلت ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾ فأخرج رأسه من القبّة فقال : أيها النّاس ، إنصرفوا فقد عصمني الله .

وأخرج الطبراني وأبو نعيم في الدلائل وابن مردويه وابن عساكر عن ابن عبّاس قال : كان النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم يُحرسُ وكان يرسل معه عمّه أبو طالب كل يوم رجلاً من بني هاشم يحرسونه ، فقال : يا عمّ إن الله قد عصمني لا حاجة لي إلى من تبعث .

ونحن إذا تأمّلنا في هذه الأحاديث وهذه التأويلات وجدناها لا تستقيم ومفهوم الآية الكريمة ولا حتى مع سياقها فكل هذه الروايات تُفيد بأنها نزلتْ في بداية الدّعوة حتى أن البعض يصرّح بأنها في حياة أبي طالب يعني قبل الهجرة بسنوات كثيرة ، وبالخصوص رواية أبي هريرة التي يقول فيها « كنّا إذا صحبنا رسول الله في سفر تركنا له أعظم دوحة . . . الخ » فهذه الرواية ظاهرة الوضع لأنّ أبا هريرة لم يعرف الإسلام ولا رسول الله إلاّ في السنة السابعة للهجرة النبوية كما يشهد هو نفسه بذلك[1] فكيف يستقيم هذا ؛ وكل المفسّرين سنة وشيعة أجمعوا على أن سورة المائدة مدنية وهي آخر ما نزل من القرآن ؟؟؟

فقد خرج أحمد وأبو عبيد في فضائله والنحاس في ناسخه والنسائي وابن المنذر والحاكم وابن مردويه والبيهقي في سننه عن جُبير بن نفير قال : حججتُ فدخلتُ على عائشة ، فقالت : لي يا جبير تقرأ المائدة ؟ فقلتُ نعم ، فقالت : أما إنها آخر سورة نزلت ، فما وجدتم فيها من حلال فاستحلّوه ، وما وجدتم من حرام محرّموه[2] .

---

(1) فتح الباري ج 6 ص 31 البداية والنهاية ج 8 ص 102 سير أعلام النبلاء للذهبي ج 2 ص 436 الإصابة لابن حجر ج 3 ص 287 .

(2) جلال الدين السيوطي الدر المنثور ج 3 ص 3 .

كما أخرج أحمد والترمذي وحسّنه الحاكم وصححّه ، وابن مردويه والبيهقي في سننه عن عبد الله بن عمرو قال : آخر سورة نزلت سورة المائدة[1] .

وأخرج أبو عبيد عن محمد بن كعب القرطني قال: نزلت سورة المائدة على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في حجة الوداع ، فيما بين مكة والمدينة وهو على ناقته ، فانصدعت كتفها فنزل عنها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم[2] .

وأخرج ابن جرير عن الربيع بن أنس قال : نزلت سورة المائدة على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في المسير في حجّة الوداع وهو راكب راحلته ، فبركت به راحلته من ثقلها[3] .

وأخرج أبو عبيد عن ضمرة بن حبيب وعطية بن قيس قالا : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم المائدة من آخر القرآن تنزيلاً ، فأحلّوا حلالها وحرّموا حرامها[4] .

فكيف يقبل العاقل المنصف بعد كل هذا ، إدّعاء من قال بنزولها في أوّل البعثة النبويّة ؟ وذلك لصرفها عن معناها الحقيقي ، أضف إلى ذلك أن الشيعة لا يختلفون في أنّ سورة المائدة هي آخر القرآن نزولاً وأن هذه الآية بالذات ﴿ يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك . . . ﴾ والتي تسمّى آية البلاغ نزلت على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة عقيب حجة الوداع في غدير خمّ قبل تنصيب الإمام علي علماً للناس ليكون خليفته من بعده وذلك يوم الخميس ، وقد نزل بها جبرائيل (عليه السلام) بعد مضي خمس

---

(1) نفس المصدر السابق .

(2) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج 3 ص 4 .

(3) الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي ج 3 ص 4 .

(4) نفس المصدر السابق .

ساعات من النهار فقال : يا محمد إن الله يقرئك السلام ويقول لك : يا أيها الرسول ﴿ **يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك، وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس** ﴾ .

على أنّ قوله سبحانه وتعالى ﴿ **وإن لم تفعل فما بلّغتَ رسالته** ﴾ يدلّ دلالة واضحة بأن الرسالة إنتهت أو هي على وشك النهاية ، وإن بقي فقط أمرٌ مهمّ لا يكتمل الدّينُ إلاّ به .

كما تُشعر الآية الكريمة بأن الرسول كان يخشى تكذيب النّاس له إذا ما دعاهم لهذا الأمر الخطير ، ولكن الله سبحانه لم يُمهله للتأجيل فالأجل قد قَرُبَ ، وهذه الفرصة هي أحسن الفرص وموقفها هو أعظم المواقف إذ اجتمع معه صلّى الله عليه وآله وسلّم أكثر من مائة ألف رافقوه في حجّة الوداع وما زالت قلوبهم عامرة بشعائر الله مستحضرة نعي الرسول نفسه إليهم .

وقوله لهم : لعلّي لا ألقاكم بعد عامكم هذا ويوشك أن يأتي رسول ربّي وأُدعى فأجيب ، وهم سيفترقون بعد هذا الموقف الرّهيب للعودة إلى ديارهم ولعلّهم لا تُتاحُ لهم فرصة اللّقاء مرّة أخرى بهذا العدد الكبير ، وغدير خم هو مفترق الطرقات فلا يمكن لمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يُفوّتَ هذه الفرصة بأي حال من الأحوال . كيف وقد جاءه الوحي بما يشبهُ التهديد على أنّ كل الرّسالة منوطة بهذا البلاغ والله سبحانه قد ضمن له العصمة من النّاس فلا داعي للخوف من تكذيبهم فكم كُذِبتْ رسُلٌ من قبله ولكن لم يُثْنِهم ذلك عن تبليغ ما أُمروا به فما على الرسول إلاّ البلاغ ، ولو عَلم الله مُسبّقاً بأن أكثرهم للحق كارهون[1] ولو علم بأن منهم مكذّبين[2] ما كان سبحانه ليتركهم بدون إقامة الحجّة عليهم لئلاّ يكون للنّاس على الله حجّةً بعد الرّسُل وكان الله عزيزاً

---

(1) سورة الزخرف آية 78 .

(2) سورة الحاقة آية 49 .

حكيماً[1] .

على أنّ لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أسوة حسنة في من سبقه من إخوانه الرسل الذين كذّبتهم أممهم قال تعالى: ﴿ **ولن يكذّبوك فقد كذّبت قبلهم قوم نوحٍ وعادٌ وثمودُ وقومُ إبراهيمَ وقومُ لوطٍ وأصحابُ مدينَ ، وكُذِبَ موسى فأمليتُ للكافرين ، ثم أخذتُهُمْ فكيف كان نكيرِ** ﴾[2] .

ونحن إذا تركنا التعصّب المقيت ، وحب الإنتصار للمذهب لوجدنا أن هذا الشرح هو المناسب لعقولنا ويتماشى مع سياق الآية والأحداث التي سبقتها وأعقبتها .

وقد أخرج كثير من علمائنا نزولها في غدير خمّ في شأن تنصيب الإمام علي وصحّحوا تلك الروايات ووافقوا بذلك إخوانهم من علماء الشيعة ، وأذكر على سبيل المثال من علماء السنّة :

1 ـ الحافظ أبو نعيم في كتابه نزول القرآن .

2 ـ الإمام الواحدي في كتابه أسباب النزول ص 150 .

3 ـ الإمام أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره الكبير .

4 ـ الحاكم الحسكاني في كتابه شواهد التنزيل لقواعد التفضيل ج 1 ص 187 .

5 ـ جلال الدين السيوطي في كتابه الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج 3 ص 117 .

6 ـ الفخر الرّازي في تفسيره الكبير ج 12 ص 50 .

7 ـ محمد رشيد رضا في تفسير المنار ج 2 ص 86 ج 6 ص 463 .

8 ـ تاريخ دمشق لأبي عساكر الشافعي ج 2 ص 86 .

9 ـ فتح القدير للشوكاني ج 2 ص 60 .

---

(1) سورة النساء آية 165 .

(2) سورة الحج آية 42 ـ 44 .

10 ـ مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي ج 1 ص 44 .

11 ـ الفصول المهمة لابن الصبّاغ المالكي ص 25 .

12 ـ ينابيع المودّة للقندوزي الحنفي ص 120 .

13 ـ الملل والنحل للشهرستاني ج 1 ص 163 .

14 ـ ابن جرير الطبري في كتاب الولاية .

15 ـ ابن سعيد السجستاني في كتاب الولاية .

16 ـ عمدة القاريء في شرح البخاري لبدر الدين الحنفي ج 8 ص 584 .

17 ـ تفسير القرآن لعبد الوهاب البخاري .

18 ـ روح المعاني للألوسي ج 2 ص 384 .

19 ـ فرائد السمطين للحمويني ج 1 ص 185 .

20 ـ فتح البيان في مقاصد القرآن للعلامة السيد صديق حسن خان ج 3 ص 63 .

فهذا نزرٌ يسير ممّن يحضرني وهناك أضعاف هؤلاء من علماء أهل السنّة ذكرهم العلاّمة الأميني في كتاب الغدير .

فماذا يا تُرى فعل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عندما أمره ربّه بإبلاغ ما أنزل إليه ؟؟

يقول الشيعة ، بأنّه جمع النّاس على صعيد واحد في ذلك المكان وهو غدير خمّ ، وخطبهم خطبة بليغة طويلة وأشهدهم على أنفسهم فشهدوا بأنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم أولى بهم من أنفسهم وعند ذلك رفع يد علي بن أبي طالب وقال :

« من كنتُ مولاه فهذا علي مولاه ، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار »[1] .

---

(1) وهو ما يسمّى بحديث الغدير وقد أخرجه علماء الشيعة وعلماء السنّة على حد سواء .

ثمّ ألبسه عمامته وعقد له موكباً وأمر أصحابه بتهنئته بإمرة المؤمنين ففعلوا وفي مقدّمتهم أبو بكر وعمر يقولان بخ بخ لك يابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة[1] .

وبعدما فرغوا أنزل الله عليه ﴿ **اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾ .

هذا ما يقوله الشيعة وهو عندهم من المسلّمات ولا يختلف فيه عندهم إثنان ، فهل لهذه الحادثة ذكرٌ عند أهل السنة والجماعة ؟ وحتّى لا ننحاز إليهم ويُعجبنا قولهم : فقد حذّرنا الله سبحانه بقوله : ﴿ **ومن النّاس من يُعجبك قوله في الحياة الدنيا ويُشهدُ اللّهَ على ما في قلبه وهو ألدّ الخصام . . .** ﴾[2] .

فالواجب أن نحتاط ونبحث هذا الموضوع بكل حذر ونَنْظرُ في أدلّة الفريقين بكل نزاهة مبتغين في ذلك رضاه سبحانه .

والجواب نعم ، إن كثيراً من علماء أهل السنّة يذكرون هذه الحادثة بكل أدوارها وها هي بعض الشواهد من كتبهم .

1 ـ أخرج الإمام أحمد بن حنبل من حديث زيد بن أرقم قال : نزلنا مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بواد يقال له وادي خم ، فأمر بالصلاة فصلّاها بهجير ، قال فخطبنا ، وظلّل لرسول الله بثوب على شجرة سمرة من الشمس فقال :

« ألستم تعلمون ، أو ألستم تشهدون أني أولى بكل مؤمن من نفسه ؟

---

(1) أحمد بن حنبل في مسنده ج 4 ص 281 والطبري في تفسيره والرازي في تفسيره الكبير ج 3 ص 636 وابن حجر في صواعقه والدارقطني والبيهقي والخطيب البغدادي والشهرستاني وغيرهم .

(2) سورة البقرة آية 204 .

قالوا : بلى قال : فمن كنتُ مولاه فعليّ مولاه ، اللّهم وال من والاه وعاد من عاده . . . »[1] .

2 ـ أخرج الإمام النسائي في كتاب الخصائص عن زيد بن أرقم قال : لما رجع النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقمّمن ، ثم قال :

« كأني دُعيت فأجبتُ وإني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، فإنهما لن يفترقا حتّى يردا علي الحوض ، ثم قال : إن الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن ، ثم إنه أخذ بيد علي فقال : من كنتُ وليّه فهذا وليّه ، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه . قال أبو الطفيل فقلتُ لزيد : سمعتَه من رسول الله فقال : وإنّه ما كان في الدوحات أحد إلاّ رآه بعينيه وسمعه بأذنيه »[2] .

3 ـ أخرج الحاكم النيسابوري عن زيد بن أرقم من طريقين صحيحين على شرط الشيخين قال : لما رجع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من حجّة الوداع ونزل غدير خمّ ، أمر بدوحات فقمّمن فقال :

« كأني دعيتُ فأجبْتُ وإني تركتُ فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر ، كتاب الله تعالى وعترتي ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، فإنهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض ، ثم قال : إن الله عزّ وجلّ مولاي وأنا مولى كل مؤمن ثم أخذ بيد علي فقال : من كنتُ مولاه فهذا وليّه ، اللّهم وال من والاه وعاد من عاده . . »[3] .

4 ـ كما أخرج هذا الحديث مسلم في صحيحه يُسْنده إلى زيدُ بن أرقم

---

(1) مسند أحمد بن حنبل ج 4 ص 372 .
(2) النسائي في كتاب الخصائص ص 21 .
(3) مستدرك الحاكم ج 3 ص 109 .

ولكنّه إختصره فقال : قام رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يوماً فينا خطيباً بماءٍ يُدعى خمًّا بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكّر ثم قال :

« أمّا بعد ألاَ أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربيّ فأجيبُ وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال : وأهل بيتي أذكّركم الله في أهل بيتي أذكّركم الله في أهل بيتي أذكّركم الله في أهل بيتي . . . »[1] .

تعليق ـ بالرغم من أن الإمام مسلم إختصر الحادثة ولم يروها بكاملها إلاّ أنها بحمد الله كافية وشافية ولعلّ الإختصار كان من زيد بن أرقم نفسه لّما اضطرته الظروف السياسية إلى كتمان حديث الغدير وهذا نفهمه من سياق الحديث إذ يقول الرّاوي : إنطلقتُ أنا وحُصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم ، فلمّا جلسنا إليه قال له حُصين ، لقد لقيتَ يا زيد خيراً كثيراً رأيتَ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وسمعتَ حديثه وغزوتَ معه وصلّيتَ خلفَه ، لقد لقيتَ يا زيدُ خيراً كثيراً ، حدثنا يا زيد ما سمعتَ من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال : يابن أخي والله لقد كبرتْ سنّي وقدُمَ عهدي ونسيتُ بعضَ الذي كنتُ أعِي من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فما حدّثتكم فاقبلوا وما لاَ فلا تكلّفونيه ، ثم قال : قام رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يوماً فينا خطيباً بماءٍ يدعى خُمًّا . . .

فيبدو من سياق الحديث أن حُصيناً سأل زيد بن أرقم عن حادثة الغدير وأخرجه أمام الحاضرين بهذا السؤال وكان بدون شك يعلم بأن الجواب الصريح على ذلك يسبّب له مشاكل مع الحكومة التي كانت تحمِلُ النّاسَ على لعن علي بن أبي طالب ، ولهذا نجده يعتذر للسائل بأنّه كبُرتْ سنّه وقدُم عهده ونَسي بعض

---

(1) صحيح مسلم ج 7 ص 122 باب فضائل علي بن أبي طالب وذكر الحديث أيضاً الإمام أحمد والترمذي وابن عساكر وغيرهم .

الذي كان يَعِي ثم يُضيف طالباً من الحاضرين بأن يقبلوا ما يحدّثهم به ولا يكلّفوه مَا يريد السّكوت عنه .

ومع خوفه ، ومع إختصاره للحادثة واقتضابها فقد أوضح زيد بن أرقم (جزاه الله خيراً) كثيراً من الحقائق وألمَحَ لحديث الغدير بدون ذكره ، وذلك قوله قام فينا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم خطيباً بماء يدعى خمًا بين مكة والمدينة ، ثم بعد ذلك ذكر فضل علي وأنه شريك القرآن في حديث الثقلين كتاب الله وأهل بيتي بدون أن يذكر إسم علي وترك للحاضرين أن يستنتجوا ذلك بذكائهم لأنّ كلّ المسلمين يعرفون أن علياً هو سيد أهل بيت النبوة .

ولذلك نرى حتّى الإمام مسلم نفسه فهم من الحديث ما فهمناه وعرف ما عرفناه فتراه يخرج هذا الحديث في باب فضائل علي بن أبي طالب رغم أن الحديث ليس فيه ذكر لاسم علي بن أبي طالب[1] .

5 ـ أخرج الطبراني في المعجم الكبير بسند صحيح عن زيد بن أرقم وعن حذيفة بن أسيد الغفاري قال : خطب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بغدير خمّ تحت شجرات فقال :

« أيها النّاس يوشك أن أدعى فأجيب وإني مسؤول وإنكم مسؤولون فماذا أنتم قائلون ؟ قالوا نشهد أنك قد بلغتَ وجاهدتَ ونصحتَ ، فجزاه الله خيراً . فقال : أليس تشهدون أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن جنّته حق وأنا ناره حقّ ، وأن الموت حق وأن البعث حق بعد الموت ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعثُ من في القبور ؟ قالوا : بلى نشهد بذلك . فقال اللّهم إشهد ، ثم قال : يا أيها الناس إنّ الله مولاي ، وأنا مولى المؤمنين ، وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنتُ مولاه فهذا مولاه ـ يعني علياً ـ اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه ، ثم قال : يا أيها الناس إني فرطكم ، وإنكم واردون علي الحوض ، حوض أعرض ما بين بصرى إلى

---

(1) صحيح مسلم ج 7 ص 122 باب فضائل علي بن أبي طالب .

صنعاء ، فيه عدد النجوم قدحان من فضة ، وإني سائلكم حين تردون علي عن الثقلين ، كيف تخلفوني فيهما الثقل الأكبر كتاب الله عزّ وجلّ سبب طرفه بيد الله تعالى وطرفه بأيديكم ، فاستمسكوا به لا تضلّوا ولا تبدّلوا ، وعترتي أهل بيتي فإنه نبأني اللطيف الخبير أنهما لن ينقضيا حتى يردا عليّ الحوض »[1] .

6 ـ كما أخرج الإمام أحمد من طريق البراء بن عازب من طريقين ، قال : كنا مع رسول الله ، فنزلنا بغدير خم ، فنوديَ فينا الصلاة جامعة ، وكسح لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، تحت شجرتين فصلّى الظهر وأخذ بيد علي ، فقال :

« ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : بلى قال : ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه ؟ قالوا : بلى قال : فأخذ بيد علي ، فقال : من كنتُ مولاه فعلي مولاه ، اللّهم والِ من والاه وعاد من عاداه ، قال فلقيَهُ عمر بعد ذلك ، فقال له : هنيئاً يابن أبي طالب أصبحتَ وأمسيتَ مولى كل مؤمن ومؤمنة »[2] .

وباختصار فقد روى حديث الغدير من أعلام أهل السنّة زيادة عمّن ذكرنا ، الترمذي وابن ماجة ، وابن عساكر وأبي نعيم ، وابن الأثير ، والخوارزمي ، والسيوطي ، وابن حجر والهيثمي ، وابن الصباغ المالكي ، والقندوزي الحنفي ، وابن المغازلي وابن كثير ، والحمويني ، والحسكاني ، والغزّالي ، والبخاري في تاريخه .

على أن العلاّمة الأميني صاحب كتاب الغدير ذكر من علماء أهل السنّة

---

(1) إبن حجر في صواعقه ص 25 نقلاً عن الطبراني والحكيم الترمذي .

(2) مسند الإمام أحمد بن حنبل الجزء الرابع صفحة 281 . كذلك في كنزل العمّال جزء 15 ص 117 . فضائل الخمسة من الصحاح الستّة ج 1 ص 350 .

والجماعة الذين رووا حديث الغدير وأخرجوه في كتبهم على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم من القرن الأول للهجرة وحتّى القرن الرابع عشر فكان عددهم يزيد عن ثلثمائة وستين عالماً ، ولمن أراد التحقيق فعليه بمراجعة كتاب الغدير(١) .

أفيمكن بعد كلّ هذا . أن يقول قائل بأنّ حديث الغدير هو من مختلقات الشيعة .

والعجيب الغريب أنّ أغلب المسلمين عندما تذكر له حديث الغدير ، لا يعرفه أو قل لمْ يسمع به والأعجب من هذا كيف يدّعي علماء أهل السنّة بعد هذا الحديث المجمع على صحّته ، بأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يستخلف وترك الأمر شورى بين المسلمين .

فهل هناك للخلافة حديث أبلغ من هذا وأصرح يا عباد الله ؟؟ وإني لأذكر مناقشتي مع أحد علماء الزيتونة في بلادنا عندما ذكرتُ له حديث الغدير محتجّاً به على خلافة الإمام علي فاعترف بصحّته ، بل وزاد في الحبل وصلة فأطلعني على تفسيره للقرآن الذي ألّفه بنفسه ، والذي يذكر فيه حديث الغدير ويصححه ويقول بعد ذلك :

« وتزعم الشيعة بأن هذا الحديث هو نصّ على خلافة سيدنا علي كرّم الله وجهه ، وهو باطل عند أهل السنّة والجماعة لأنه يتنافى مع خلافة سيدنا أبي بكر الصدّيق وسيدنا عمر الفاروق وسيدنا عثمان ذي النورين ، فلا بدّ من تأويل لفظ المولى الوارد في الحديث على معنى المحب والناصر ، كما ورد ذلك في الذكر الحكيم ، وهذا ما فهمه الخلفاء الرّاشدون والصحابة الكرام رضي الله تعالى عليهم أجمعين ، وهذا ما أخذه عنهم التابعون وعلماء المسلمين ، فلا عبرة لتأويل الرافضة لهذا الحديث لأنهم لا يعترفون بخلافة الخلفاء ويطعنون في صحابة الرسول وهذا وحده كافٍ لردّ أكاذيبهم وإبطال مزاعمهم » إنتهى كلامه في

---

(١) كتاب الغدير للعلاّمة الأميني في إحدى عشر مجلداً وهو كتاب قيّم جمع فيه صاحبه كل ما يتعلّق بحديث الغدير من كتب أهل السنّة والجماعة .

الكتاب .

سألته : هل الحادثة وقعتْ بالفعل في غدير خم ؟

أجاب : لو لم تكن وقعتْ ما كان ليرويها العلماء والمحدّثون !

قلتُ : فهل يليق برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يجمع أصحابه في حرّ الشمس المحرقة ويخطب لهم خطبة طويلة ليقول لهم بأنّ علي محبّكم وناصركم ؟ فهل ترضون بهذا التأويل ؟

أجاب : إن بعض الصحابة إشتكى عليًّا وكان فيهم من يحقد عليه ويبغضه ، فأراد الرسول أن يزيد حقدهم فقال لهم بأنّ علياً محبّكم وناصركم ، لكي يحبّوه ولا يبغضوه .

قلتُ : هذا لا يتطلّب إيقافهم جميعاً والصلاة بهم وبدأ الخطبة بقوله : ألستُ أولى بكم من أنفسكم لتوضيح معنى المولى ، وإذا كان الأمر كما تقول فكان بإمكانه أن يقول لمن إشتكى منهم عليًّا « إنّه محبّكم وناصركم » وينتهي الأمر بدون أن يحبسَ في الشمس تلك الحشود الهائلة وهي أكثر من مائة ألف فيهم الشيوخ والنساء ، فالعاقل لا يقنع بذلك أبداً !

فقال : وهل العاقل يصدّق بأنّ مائة ألف صحابي لم يفهموا ما فهمتَ أنتَ والشيعة ؟؟

قلتُ : أولاً لم يكن يسكن المدينة المنوّرة إلاّ قليلٌ منهم . وثانياً : إنهم فهموا بالضبط ما فهمتُه أنا والشيعة ولذلك روى العلماء بأن أبا بكر وعمر كانا من المهنّئين لعلي بقولهم : « بخ بخ لك يابن أبي طالب أمسيت وأصبحت مولى كل مؤمن » .

قال : فلماذا لم يبايعوه إذاً بعد وفاة النبي ؟ أتراهم عصوا وخالفوا أمر النبيّ ؟ أستغفر الله من هذا القول .

قلتُ : إذا كان العلماء من أهل السنّة يشهدون في كتبهم بأنّ بعضهم -

أعني من الصحابة ـ كانوا يخالفون أوامر النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم في حياته وبحضرته[1] ، فلا غرابة في ترك أوامره بعد وفاته ، وإذا كان أغلبهم يطعنُ في تأميره أسامة بن زيد لصغر سنّه رغم أنها سريّة محدودة ولمدّة قصيرة فكيف يقبلون تأمير علي على صغر سنّه ولمدّة الحياة ، وللخلافة المطلقة ؟ ولقد شهِدتَ أنتَ بنفسك بأن بعضهم كان يبغض عليًّا ويحقد عليه !! .

أجابني متحرّجاً : لو كان الإمام علي كرّم الله وجهه ورضي الله عنه يعلَمُ أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إستخلفه ، ما كان ليسكتَ عن حقّه وهو الشجاع الذي لا يخشي أحداً ويهابه كل الصحابة .

قلتُ : سيدي هذا موضوع آخر لا أريد الخوض فيه لأنك لم تقتنع بالأحاديث النبوية الصحيحة وتحاول تأويلها وصرفها عن معناها حفاظاً على كرامة السلف الصالح ، فكيف أُقنعك بسكوت الإمام علي أو باحتجاجه عليهم بحقّه في الخلافة ؟

إبتسم الرّجل قائلاً : أنا والله من الذين يفضّلون سيدنا علياً كرّم الله وجهه على غيره ، ولو كان الأمر بيدي لما قدّمتُ عليه أحداً من الصحابة ، لأنه باب مدينة العلم وهو أسد الله الغالب ، ولكن مشيئة الله سبحانه هو الذي يقدّم من يشاء ويؤخّر من يشاء ، لا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسألون .

إبتسمتُ بدوري له وقلتُ : وهذا أيضاً موضوع آخر يجرّنا للحديث عن القضاء والقدر وقد سبق لنا أن تحدّثنا فيه وبقي كلُّ منّا على رأيه ، وإنّي لأعجب يا سيدي لماذا كلّما تحدثتُ مع عالم من علماء أهل السنّة وأفحمته بالحجّة سرعان ما يتهرّب من الموضوع إلى موضع آخر لا علاقة له بالبحث الذي نحن بصدده قال : وأنا باقٍ على رأيي لا أغيّره . ودّعته وانصرفتُ . بقيتُ أفكّر مليًّا لماذا لا أجدُ

---

(1) صحيح البخاري ومسلم إذ أخرجا عدّة مخالفات لهم كما في صلح الحديبية وكما في رزية يوم الخميس وغير ذلك كثير .

واحداً من علمائنا يكمل معي هذا المشوار ويوقف الباب على رجله كما يقول المثل الشائع عندنا .

فالبعض يبدأ الحديث ، وعندما يجد نفسه عاجزاً عن إقامة الدّليل على أقواله يتملّص بقوله : تلك أمّة قد خلتْ لها ما كسبتْ ولكم ما كسبتم ، والبعض يقول ما لنا ولإثارة الفتن والأحقاد فالمهم أنّ السنّة والشيعة يؤمنون بإلٰه واحد ورسول واحد وهذا يكفي والبعض يقول بإيجاز : يا أخي إتّق الله في الصحابة ، فهل يبقى مع هؤلاء مجال للبحث العلمي وإنارة السبيل والرجوع للحق الذي ليس بعده إلاّ الضّلال ؟ وأين هؤلاء من أسلوب القرآن الذي يدعو الناس لإقامة الدّليل ﴿ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ مع العلم بأنهم لو يتوقّفون عن طعنهم وتهجمهم على الشيعة لما ألجأونا للجدال معهم حتّى بالتي هي أحسن .

آية إكمال الدين تتعلق أيضا بالخلافة

قوله سبحـانه وتعـالى : ﴿ اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسـلام ديناً ﴾[1] ، يُجمـع الشيعة عـلى نـزولها بغـديـر خم بعـد تنصيب الرسول صـلّى الله عليه وآلـه وسلّم للإمـام علي خليفـة للمسلمين وذلـك رواية عن أئمة العترة الطاهرة وبذلك تراهم يعدّون الإمامة من أصول الدّين .

ورغم أنّ الكثير من علمائنا يروون نزولها في غديـر خم بعد تنصيب الإمـام علي أذكر منهم على سبيل المثال :

1 ـ تاريخ دمشق لابن عساكر ج 2 ص 75 .
2 ـ مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي ص 19 .
3 ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج 8 ص 290 .
4 ـ الإتقان للسيوطي ج1 ص 31 .
5 ـ المناقب للخوارزمي الحنفي ص 80 .
6 ـ تذكرة الخواص للسبط ابن الجوزي ص 30

---

(1) سورة المائدة آية 3 .

7 ـ تفسير ابن كثير ج 2 ص 14 .

8 ـ روح المعاني للألوسي ج 6 ص 55 .

9 ـ البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي ج 5 ص 213 .

10 ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ج 3 ص 19 .

11 ـ ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص 115 .

12 ـ شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ج 1 ص 157 .

أقول رغم ذلك لا بدّ لعلماء أهل السنّة من صرف هذه الآية إلى مناسبة أخرى ، وذلك للحفاظ على كرامة السلف الصالح من الصحابة ، وإلّا لو سلّموا بنزولها في غدير خمّ لاعترفوا ضمنيّاً بأن ولاية علي بن أبي طالب هي التي أكمل الله بها الدّين وأتمّ بها على المسلمين نعمته ولتبخّرت خلافة الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه ، ولتزعزعت عدالة الصحابة ، ولذابت أحاديث كثيرة مشهورة كما يذوب الملح في الماء ، وهذا أمرٌ مستحيل وخطبٌ فادحٌ ، لأنه يتعلّق بعقيدة أمّة كبيرة لها تاريخها وعلماؤها وأمجادها ، فلا يمكن لنا تكذيب أمثال البخاري ومسلم الذين يروون بأنّ الآية إنّما نزلت عشية عرفة في يوم الجمعة .

وبمثل ذلك تصبح الرّوايات الأولى مجرّد خرافات شيعيّة لا أساس لها من الصحّة ويصبح الطعن على الشيعة أولى من الطعن على الصحابة فهؤلاء معصومون عن الخطأ[1] ولا يمكن لأي إنسان أن ينتقد أفعالهم وأقوالهم ، أمّا أولئك الشيعة فهم مجوس ، كفّار ، زنادقة وملحدون ومؤسس مذهبهم هو عبد الله بن سبأ[2] وهو يهودي أسلم في عهد عثمان ليكيد للمسلمين وللإسلام .

---

(1) لأنهم يعتقدون بأن الصحابة كالنجوم بأيهم إقتديتم إهتديتم .

(2) إقرأ كتاب عبد الله بن سبأ للعلامة العسكري لتعرف بأنّه لا وجود له ، وهو من مختلقات سيف بن عمر التميمي المشهور بالوضع والكذب ـ واقرأ كتاب الفتنة الكبرى لطه حسين وإن شئتَ فاقرأ كتاب الصلة بين التصوف والتشيع للدكتور مصطفى كامل الشيبي لتعرف بأن عبد الله بن سبأ هذا ليس غير سيدنا عمّار بن ياسر رضي الله تعالى عنه .

وهذا أسهل بكثير للتمويه على الأمة التي تربّت على تقديس واحترام الصحابة (أي صحابي كان ولو شاهد النبي مرّة واحدة) وأنّى لنا أن نقنعهم بأنّ تلك الروايات ليست خرافات شيعية وإنّما هي من أحاديث الأئمة الإثني عشر الذين نصّ رسول الله على إمامتهم ، الذين نجحتْ الحكومات الإسلامية في القرن الأول في غرس حب واحترام الصحابة مقابل التنفير من علي وبنيه ، حتّى لعنتهم على المنابر وتتبّعتْ شيعتهم بالقتل والتشريد ، فنشأ من ذلك بغض وكراهية لكل الشيعة ، لما روّجتْهُ وسائل الإعلام في عهد معاوية من إشاعات وخزعبلات وعقائد فاسدة ضدّ الشيعة ، وهم (الحزب المعارض) كما يسمّى عندنا اليوم لعزلهم والقضاء عليهم .

ولذلك نجد حتّى الكُتاب والمؤرّخين في تلك العصور يسمّونهم الرّوافض ويكفّرونهم ويستبيحون دماءهم تزلّفاً للحكّام ، ولمّا إنقرضت الدولة الأموية وخلفتها الدولة العبّاسية نسج بعض المؤرخين على منوالهم وعرف البعض حقيقة أهل البيت[1] فحاول التوفيق والإنصاف فألحق علياً بالخلفاء الرّاشدين ولكن لم يجرأوا على التصريح بأحقيّته ، ولذلك تراهم لا يُخرجون في صحاحهم إلاّ النزر اليسير من فضائل علي والتي لا تتعارض مع خلافة الذين سبقوه ، والبعض منهم وضع كثيراً من الأحاديث في فضل أبي بكر وعمر وعثمان على لسان علي نفسه ، حتّى يقطع بذلك (على زعمه) الطريق على الشيعة الذين يقولون بأفضليّته .

واكتشفْتُ خلال البحث بأنّ شهرة الرجال وعظمتهم إنما كانت تقدّر ببغضهم لعلي بن أبي طالب ، فالأمويون والعباسيون كانوا يقرّبون ويعظّمون كل من حارب الإمام علي أو وقف ضدّه بالسيف أو باللّسان ، فتراهم يرفعون بعض الصحابة ويضعون آخرين ، ويغدقون الأموال على بعض الشعراء ويقتلون آخرين ، ولعلّ عائشة أمّ المؤمنين لم تكن لتحضى بتلك المنزلة عندهم لولا

---

(1) ذلك لأن الأئمة من أهل البيت فوضوا أنفسهم بأخلاقهم وعلومهم التي ملأت الخافقين وبزهدهم وتقواهم والكرامات التي حباهم الله بها .

بغضها[1] وحربها لعلي .

ومن ذلـك أيضاً تجـد العباسيـين يعلون من شأن البخـاري ومسلم والإمام مالك لأنهم لم يخرجوا من فضائله إلّا القليل بـل نجد صراحـة في هذا الكتب بـأنّ علي بن أبي طالب لاَ فضـل له ولا مـزيّة فقـد روي البخاري في صحيحـه في باب منـاقب عثمان عن ابن عمـر قال : كنّـا في زمن النّبي صلّى الله عليـه وآله وسلّم لاَ نعدِلُ بأبي بكر أحداً ثم عُمرَ ثم عثمانَ ثم نترك أصحاب النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لا نفاضل بينهم[2] فعليٌ عنده كسائر النّاس (إقرأ واعجب) !!

كما أنّ في الأمّة فرقاً أخرى كالمعتزلة والخـوارج وغيرهم ممّن لا يقـول بمقالـة الشيعة ، ولأنّ إمامة علي وأولاده من بعده تقطع عليهم الطريق للوصول للخـلافة والتحكم في رقاب النّاس والتـلاعب بمصيرهم وممتلكـاتهم كما فعـل ذلك بنـو أميّة وبنو العباس في عهد الصحابة وفي عهد التابعين وإلى يوم الناس هذا . لأنّ حكّام العصر الـذين وصلوا إلى الحكم سواء بـالـوراثـة كـالملوك والسـلاطـين ، أو حتّى الـرؤسـاء الـذين إنتخبتهم شعـوبهم لا يعجبهم هـذا الإعتقـاد ؛ أعني أن يعتقـد المؤمنون بخلافة أهل البيت ، ويضحكـون من هذه الفكـرة التيوقـراطية ، التي لا يقول بها إلاّ الشيعة ، وخصوصاً إذا كان هؤلاء الشيعة قد بلغوا من سخافة العقل وسفاهة الـرأي أنهم يعتقدون بـإمامـة المهدي المنتـظر الذي سيمـلأ أرضهم قسطاً وعدلاً كما مُلئتْ ظلماً وجوراً .

ونعود الآن لمناقشة أقوال الطرفين في هدوء وبدون تعصّب ، لنعرف ما هي

---

(1) كـانت لا تطيق ذكـر إسمه البخـاري ج 1 ص 162 ج 7 ص 18 ج 5 ص 140 ويقـول المؤرخون لمّا بلغها خبر مقتله سجدت شكر الله وقالت في ذلك شعراً .

(2) صحيـح البخـاري ج 4 ص 191 وص 201 كـما روى البخـاري في صحيحـه ج 4 ص 195 رواية تنسبُ إلى محمد بن الحنفية قال : قلتُ لأبي أيّ الناس خيرٌ بعد رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم قال : أبـو بكر قلتُ ثم مَنْ قـال : ثم عُمَرُ وخشيتُ أنْ يقـولَ عثمانُ قلتُ ثم أنتَ قالَ : ما أنا إلاّ رجلٌ من المسلمين .

المناسبة وما هو سبب نـزول آية « إكـمال الدين » حتّى يتضّـح لنا الحقّ فنتبعـه وما علينا بعد ذلـك من رضا هؤلاء ، أو غضب أولئـك ما دمنـا نتوخّى قبـل كل شيء رضا الله سبحانه والنجاة من عذابه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلبٍ سليم ، يوم تبيضُّ وجوهٌ وتسودُّ وجوهٌ فـأمّا الـذين اسودّتْ وجـوههم أكفرتم بعـد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ، وأمّا الذين إبيضّتْ وجوههُمْ ففي رحمة الله هم فيها خالدون »[1] .

---

(1) سورة المائدة آية 106 .

مناقشة القول بأن الآية نزلت يوم عرفة

أخرج البخاري في صحيحه[1] قال : حدّثنا محمد بن يوسف حدّثنا سفيان عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب أن أُناساً من اليهود قالوا : لو نزلت هذه الآية فينا لاتخذنا ذلك اليوم عيداً ، فقال عمر أيَّةُ آيةٍ ؟ فقالوا : ﴿ **اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾ .

فقال عمر : إنّي لأعلم أي مكان أنزِلتْ ، أنزلت ورسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم واقفٌ بعرفة .

وأخرج ابن جرير عن عيسى بن حارثة الأنصاري قال : كنّا جلوساً في الديوان فقال لنا نصراني : يا أهل الإسلام ، لقد أُنزلتْ عليكم آية لو أُنزلتْ علينا لاتخذنا ذلك اليوم وتلك الساعة عيداً ما بقي منّا إثنان وهي « اليوم أكملت لكم دينكم » فلم يجبه أحد منّا ، فلقيتُ محمد بن كعب القرظي فسألته عن ذلك ، فقال : ألا رددتم عليه ؟ فقال عمر بن الخطاب أُنزلت على النّبي وهو واقفٌ على الجبل يوم عرفة ، فلا يزال ذلك اليوم عيداً للمسلمين ما بقي منهم

---

(١) صحيح البخاري ج 5 ص 127 .

أحد[1] .

أوّلاً - نلاحظ من خلال هـذه الروايـات أنّ المسلمين كـانوا يجهلون تـاريخ ذلك اليوم المشهود ، ولا يحتفلون به ممّا دعا اليهود مرّة والنصّارى أخرى أن يقولوا لهم : لو أنّ هذه الآية فينا أُنزلت لاتخذنا يومها عيداً ممّا حدا بعمـر بن الخطاب أن يسأل أيةُ آية ؟ ولمّا قالوا : « اليوم أكملتُ لكم دينكم » قال : إني لأعلم أي مكان أُنزلتْ ، أُنزلتْ ورسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم واقف بعرفة .

فإننا نشمّ رائحة الدسّ والتعتيم من خلال هذه الـرواية وأنّ الـذين وضعوا هذا الحديث عـلى لسان عمـر بن الخطاب في زمن البخـاري أرادوا أن يوفّقـوا بين آراء اليهود والنّصارى في أنّ ذلك اليوم هو يوم عظيم يجب أن يكون عيـداً ، وبين مـا هم عليه من عـدم الإحتفال بـذلك اليـوم وعدم ذكـره بـالمرّة حتى تنـاسـوه ، والمفروض أن يكون من أكبر الأعياد لدى المسلمين إذ أنّ الله سبحانه أكمل لهم فيه دينهم وأتمّ فيه نعمته عليهم ورضي لهم الإسلام ديناً .

ولذلك ترى في الرواية الثانية قول الراوي عندما قال له النصراني : يا أهـل الإسلام ، لقد أُنزلت عليكم آية لو أُنزلتْ علينا لاتخذنـا ذلك اليـوم عيداً مـا بقي منّا إثنان .

قال الراوي فلم يُجبْهُ أحدٌ منّا ؛ وذلك لجهلهم بتـاريخ ومـوقف ذلك اليـوم وعظمته ، ويبدو أنّ الراوي نفسـه إستغرب كيف يغفـل المسلمون عن الإحتفـال بمثل ذلك اليوم ولهذا نراه يلقى محمد بن كعب القرطني فيسأله عن ذلك فيردّ هذا الأخير بأنّ عمر بن الخطاب روي أنها أُنزلتْ على النبي صـلّى الله عليه وآلـه وسلّم وهو واقفٌ على الجبل يوم عرفة .

فلو كان ذلك اليوم معروفاً لدى المسلمـين على أنّـه يوم عيـد لما جهله هؤلاء الرّواة سواء أكانوا من الصحابة أم من التـابعين ، لأن الثـابت المعروف لـديهم أنّ

(1) جلال الدين السيوطي الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج 3 ص 18 .

للمسلمين عيدين إثنين وهما عيد الفطر وعيد الأضحى ، حتّى أن العلماء والمحدّثين كالبخاري ومسلم وغيرهما تراهم يخرجون في كتبهم كتاب العيدين - صلاة العيدين - خطبة العيدين إلى غير ذلك من المتسالم عليه لدى خاصّتهم وعامّتهم ، ولا وجود لعيد ثالث .

وأغلبُ الظنّ أنّ القائلين بمبدأ الشورىٰ في الخلافة ومؤسسي هذه النظرية هم الذين صرفوا نزولها عن حقيقتها يوم غدير خمّ بعد تأمير الإمام علي ، فكان تحويل نزولها في يوم عرفة أهون وأسهل على القائلين به لأنّ يوم الغدير جمع مائة ألف حاج أو يزيدون ، وليس هناك مناسبة في حجة الوداع أقرب إلى الغدير من يوم عرفة في المقارنة إذ أنّ الحجيج لم يجتمعوا على صعيد واحد إلاّ فيهما ، فالمعروف أنّ النّاس يكونون متفرّقين جماعات وأشتاتاً في كل أيام الحجّ ولا يجتمعون في موقف واحد إلاّ في عرفة .

ولذلك نرى أنّ القائلين بنزولها يوم عرفة يقولون بنزولها مباشرة بعد خطبة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم الشهيرة والتي أخرجها المحدّثون .

وإذا كان النّص بالخلافة على علي بن أبي طالب قد صرفوه عن حقيقته وباغتوا النّاس (بمن فيهم عليًّا نفسه والذين كانوا منشغلين معه بتجهيز الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ودفنه) بالبيعة لأبي بكر في سقيفة بني ساعدة على حين غفلة ، وضربوا بنصوص الغدير عرض الجدار وجعلوه نسيا منْسيًا ، فهل يمكن لأي أحد بعد الذي وقع أن يحتجّ بنزول الآية يوم الغدير ؟

فليست الآية أوضح في مفهومها من حديث « الولاية » وإنّما تحمل في معناها إكمال الدّين وإتمام النّعمة ورضا الربّ ليس إلا ، وإن كانت تنطوي على إشعار بحصول حدات لهم في ذلك اليوم هو الذي سبب كمال الدين .

وممّا يزيدنا يقيناً بصحة هذا الإعتقاد ، ما رواه ابن جرير عن قبيصة بن أبي ذؤيب قال : قال كعب « لو أنّ غير هذه الأمّة نزلتْ عليهم هذه الآية لنظروا اليوم الذي أنزلتْ فيه عليهم فاتّخذوه عيداً يجتمعون فيه » ! فقال عمر : وأي آية يا

كعب ؟ فقال : ﴿ اليوم أكملتُ لكم دينكم ﴾ فقال عمر : لقد علمتُ اليوم الذي أنزلتُ والمكان الذي نزلتْ فيه ، نزلتْ في يوم جمعة ، ويوم عرفة ، وكلاهما بحمد الله لنا عيد[1] .

ثانياً ـ على أنّ القول بنزول الآية ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** ﴾ في يوم عرفة يتنافى مع آية البلاغ ﴿ **يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك** ﴾ والتي تأمر الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم بإبلاغ أمر مهم لَا تتمّ الرسالة إلاّ به ، والتي سبق البحث وتبينّ نزولها بين مكة والمدينة بعد حجة الوداع وهو ما رواه أكثر من مائة وعشرين صحابياً وأكثر من ثلثمائة وستين من علماء أهل السنّة والجماعة ، فكيف يكمل الله الدّين ويتمّ النعمة في يوم عرفة ثم بعد أسبوع يأمر نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو راجع إلى المدينة بإبلاغ شيء مهم لا تتم الرسالة إلاّ به ؟؟ كيف يصحّ ذلك يا أولي الألباب ؟؟؟

ثالثاً ـ إنّ الباحث المدقّق إذا أمعن النظر في خطبة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم يوم عرفة لَا يجد فيها أمراً جديداً يجهله المسلمون والذي يمكن إعتباره شيئاً مهمّاً أكمل الله به الدّين وأتمّ به النّعمة ، إذ ليس فيها إلا جملة من الوصايا التي ذكرها القرآن أو ذكرها النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم في عدّة مناسبات وأكدّ عليها يوم عرفة . وإليك ما جاء في الخطبة على ما سجّله كل الروّاة :

ـ إنّ الله حرّم عليكم دماءكم وأموالكم كحرمة شهركم هذا ويومكم هذا .

ـ إتّقوا الله ولا تبخسوا النّاس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها .

ـ الناس في الإسلام سواء لا فضل لعربي على أعجمي إلاّ بالتقوى .

ـ كلّ دم كان في الجاهلية موضوع تحت قدمي ، وكل ربا كان في الجاهلية موضوع تحت قدمي .

---

(1) الدّر المنثور للسيوطي في تفسيره لآية ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ سورة المائدة .

ـ أيها الناس إنّما النسيء زيادة في الكفر . . . ألا وأن الزمان قد إستدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض .

ـ إن عدة الشهور عند الله إثنا عشر شهراً في كتاب الله منها أربعة حُرمٌ .

ـ أوصيكم بالنّساء خيراً ، إنما أخذتموهنّ بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكتاب الله .

ـ أوصيكم بمن ملكت أيمانكم فاطعموهم ممّا تأكلون وألبسوهم ممّا تلبسون .

ـ إنّ المسلم أخو المسلم ، لا يغشّه ولا يخونه ولا يغتابه ولا يحل له دمه ولا شيء من ماله .

ـ إن الشيطان قد يئس أن يُعبد بعد اليوم ولكن يُطاع فيما سوى ذلك من أعمالكم التي تحتقرون .

ـ أعدىٰ الأعداء على الله قاتل غير قاتله ، وضارب غير ضاربه ومن كفر نعمة مواليه فقد كفر بما أنزل الله على محمد ، ومن إنتمى إلى غير أبيه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

ـ إنّما أمرتُ أن أقاتلَ النّاس حتّى يقولوا : لا إله إلاّ الله وإنّي رسول الله ، وإذا قالوها عصموا منّي دماءهم ، وأموالهم إلاّ بحق وحسابهم على الله .

ـ لا ترجعوا بعدي كفاراً ، مضلّين يضرب بعضكم رقاب بعض .

هذا كل ما قيل في خطبة عرفة من حجة الوداع وقد جمعتُ فصولها من جميع المصادر الموثوقة حتّى لا يبقى شيء من وصاياه صلّى الله عليه وآله وسلّم التي ذكرها المحدّثون إلاّ أخرجتها فهل فيها شيء جديد بالنسبة للصحابة ؟ كلاّ فكل ما جاء فيها مذكور في القرآن ومبينّ حكمه في السنّة النبّوية ، فقد قضى صلّى الله عليه وآله وسلّم حياته كلها يبينّ للناس ما نزّل إليهم ويعلّمهم كل صغيرة وكبيرة ، فلا وجه لنزول آية « إكمال الدّين وإتمام النعمة ورضا الله » بعد هذه الوصايا التي يعرفها المسلمون ، وإنما أعادها عليهم للتأكيد لأنّهم لأوّل مرّة يجتمعون عليه

بذلك العدد الهائل ولأنه أخبرهم قبل الخروج إلى الحجّ بأنها حجة الوداع فكان واجباً عليه أن يُسمعهم تلك الوصايا .

أمّا إذا أخذنا بالقول الثاني : وهو نزول الآية يوم غدير خمّ بعد تنصيب الإمام علي خليفة للنّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وأميراً للمؤمنين ، فإنّ المعنى يستقيم ويكون مطابقاً ، لأنّ الخلافة بعد النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم من أهمّ الأمور ولا يمكن أن يترك اللّهُ عباده سُدى ولاَ ينبغي لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يذهب دون إستخلاف ويترك أمّته همَلاً بدون راعٍ وهو الذي ما كان يُغادر المدينة إلاّ ويستخلف عليها أحداً من أصحابه ، فكيفَ نصدّق بأنّه إلتحق بالرفيق الأعلَى وما فكّر في الخلافة ؟؟؟

وإذا كان الملحدون في عصرنا يؤمنون بهذه القاعدة ويسرعون إلى تعيين خلفٍ للرئيس حتّى قبل موته ليسوس أمور النّاس ولا يتركونهم يوماً واحداً بدون رئيس !

فلا يمكن أن يكون الدّين الإسلامي وهو أكمل الأديان وأتمها والذي ختم الله به كل الشرائع أن يُهمل أمراً مهمّاً كهذا .

وقد عرفنا في ما تقدم بأنّ عائشة وابن عمر وقبلهما ابو بكر وعمر أدركوا كلهم بأنّه لا بدّ من تعيين الخليفة وإلاّ لكانت فتنة ، كما أدرك ذلك من جاء بعدهم من الخلفاء فكلُّهم عَيّنوا مَنْ بعدَهم فكيف تغيب هذه الحكمة على الله وعلى رسوله ؟؟؟

فالقولُ بأنّ الله سبحانه أوحى إلى رسوله في الآية الأولى « أية البلاغ » وهو راجع من حجة الوداع بأنْ يُنصّب عليًّا خليفة له بقوله : ﴿ **يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلّغتَ رسالته والله يعصمك من الناس** ﴾ أي : يا محمّد إنْ لم تبلّغ ما أمرتك به بأنّ علياً هو ولي المؤمنين بعدك فكأنك لم تُكمل مهمتك التي بُعثتَ بها ، إذ إن إكمال الدّين بالإمامة أمرٌ ضروري لكل العقلاء .

ويبدو أن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم كان يخشى معارضتهم له أو تكذيبهم ، فقد جاء في بعض الروايات : قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم : وقد أمرني جبرئيل عن ربي أن أقوم في هذا المشهد وأعلم كلّ أبيض وأسود : أنّ علي بن أبي طالب أخي ووصيي وخليفتي والإمام بعدي ، فسألتُ جبرئيل أن يستعفي لي ربّي لعلمي بقلّة المتّقين وكثرة المؤذين لي واللائمين لكثرة ملازمتي لعلي وشدّة إقبالي عليه حتى سمّوني أذناً ، فقال تعالى : ﴿ **ومنهم الذين يؤذون النبيّ ويقولون هو أذنٌ قل أذن خير لكم** ﴾ ولو شئتُ أن أسمّيهم وأدلُ عليهم لفعلتُ ولكنّي بسترهم قد تكرّمتُ ، فلم يرض الله إلاّ بتبليغي فيه فاعلموا معاشر الناس أن الله قد نصّبه لكم وليًا وإماماً وفرض طاعته على كل أحد . . . الخطبة[1] .

فلمّا أنزل الله عليه ﴿ **والله يعصمك من الناس** ﴾ أسرع في نفس الوقت وبدون تأخير بامتثال أمر ربّه فنصّب علياً خليفة من بعده وأمر أصحابه بتهنئته بإمارة المؤمنين ففعلوا وبعدها أنزل الله عليهم ﴿ **اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلام ديناً** ﴾ .

أضف إلى كل ذلك أنّنا نجد بعض علماء أهل السنّة والجماعة يعترفون صراحة بنزول آية البلاغ في إمامة علي فقد رووا عن ابن مردويه عن ابن مسعود قال : كنا نقرأ على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربّك ـ إنّ علياً مولى المؤمنين ـ وإن لم تفعل فما بلّغتَ رسالته والله يعصمك من الناس[2] .

وبعد هذا البحث إذا أضفنا روايات الشيعة عن الأئمة الطاهرين يتجلّى لنا

---

(1) أخرجها بكاملها الحافظ ابن جرير الطبري في كتاب الولاية كما أخرج جلال الدين السيوطي في الدر المنثور ج 2 ص 298 خطبة في نفس المعنى بألفاظ متقاربة .

(2) تفسير فتح القدير للشوكاني ج 3 ص 57 .
جلال الدين السيوطي في الدر المنثور ج 2 ص 298 عن ابن عباس .

بأنّ الله أكمل دينه بالإمامة ولـذلك كـانت الإمامـة عند الشيعـة أصلاً من أصـول الدّين .

وبـإمامـة علي بن أبي طـالب أتمّ الله نعمته عـلى المسلمين لئـلا يبقـوا همـلاً تتجاذبهم الأهواء وتمزّقهم الفتن فيتفرقوا كالغنم بدون راع -

ورضي لهم الإسـلام دينـاً ، لأنّـه إختـار لهم أئمــة أذهب عنهم الـرجس وطهّـرهم وأتاهم الحكمـة وأورثهم علم الكتاب ليكـونوا أوصيـاء محمّد صـلّى الله عليه وآله وسلّم فيجب عـلى المسلمين أن يـرضوا بحكم الله واختيـاره ، ويسلّموا تسليماً ، لأن مفهوم الإسلام العام هو التسليم لله قال تعـالى : ﴿ وربّك يخلق مـا يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون وربّك يعلم ما تكنّ صـدورهم وما يُعلنـون وهو الله لا إلـه إلاّ هُو لـه الحمدُ في الأولى والآخـرة ولـه الحكمُ وإليه ترجعون ﴾[1] .

ومن خلال كل ذلك يُفهمُ بأنّ يوم الغديـر إتخذه رسـول الله صلّى الله عليـه وآله وسلّم يوم عيد إذ بعد تنصيب الإمام علي وبعد أن نزل عليـه قولـه : ﴿ اليوم أكملتُ لكم دينكم . . . ﴾ الآيـة : قال : الحمـد لله على إكـمال الدّين ، وإتمـام النّعمة ، ورضى الرّب برسالتي وولاية علي بن أبي طالب من بعدي[2] ثم عقـد له موكباً للتهنئة وجلس صلّى الله عليه وآله وسلّم في خيمة وأجلس عليًّا بجانبه وأمـر المسلمين بما فيهم زوجاته أمهات المؤمنين أن يـدخلوا عليه أفـواجاً ويهنّئـوه بالمقـام ويسلّموا عليه بإمرة المؤمنين ، ففعل النّاس ما أمروا به وكان من جملة المهنّئين لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب بهذه المناسبة أبو بكر وعمر .

فقد جاءا إليه يقولان لـه : بخ بـخ لك يا ابن أبي طالب أصبحتَ وأمسيتَ

---

(1) سورة القصص آية 68 ـ 69 ـ 70 .

(2) الحاكم الحسكاني عن أبي سعيد الخدري في تفسيره للآية .

والحافظ أبو نعيم الإصبهاني في كتابه « ما نزل من القرآن في علي » .

مولانا ومولى كل مؤمن ومؤمنة[1] .

ولمّا عرف حسّان بن ثابت شاعر الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم فرح النبي واستبشاره في ذلك اليوم قال : أتأذن لي يا رسول الله أن أقول في هذا المقام أبياتاً تسمعهن ، فقال : قل على بركة الله ، لا تزال يا حسّان ، مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك .

فأنشد يقول :

يناديهم يوم الغدير نبيّهم بخمّ فاسمع بالرسول مناديا

إلى آخر الأبيات التي ذكرها المؤرخون[2] .

ولكنّ ورغم كل ذلك فإنّ قريشاً إختارت لنفسها وأبتْ أن تكون في بني هاشم النبوّة والخلافة فيجحفون على قومهم بجُحا بُجحًا ، كما صرّح بذلك عمر بن الخطاب لعبد الله بن عبّاس في محاورة دارت بينهما[3] .

فلم يكن في وسع أحد أن يحتفل بذلك العيد بعد ذكراه الأولى التي إحتفل بها النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم .

وإذا كانوا قد تناسوا نصّ الخلافة وتلاشى من أذهانهم ولم يمض عليه من

---

(1) روى هذه القصّة كل من الإمام أبي حامد الغزالي في كتابه سرّ العالمين ص 6 كما رواها الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج 4 ص 281 .
والطبري في تفسيره ج 3 ص 428 والبيهقي ، والثعلبي ، والدارقطني والفخر الرّازي وابن كثير وغيرهم .

(2) الحافظ أبو نعيم الإصبهاني في كتابه ما نزل من القرآن في علي .
ـ الخوارزمي المالكي في كتاب المناقب ص 80 ـ الكنجي الشافعي في كفاية الطالب .
ـ جلال الدين السيوطي في كتابه ـ الإزدهار فيما عقده الشعراء من الأشعار .

(3) الطبري في تاريخه ج 5 ص 31 .
تاريخ ابن الأثير ج 3 ص 31 وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 2 ص 18 .

الوقت غير شهرين ومع ذلك لم يتكلم به أحد ، فكيف بذكرى الغدير التي مضى عليها عام كامل ، على أنّ هذا العيد مربوط بذلك النص على الخلافة فإذا انعدم النّص وزال السببُ لم يبق لذلك العيد أثرٌ يذكر .

ومضت على ذلك السنون حتّى رجع الحق إلى أهله بعد ربع قرن ، فأحياها الإمام علي من جديد بعدما كادت تُقبرُ وذلك في الرحبة عندما ناشد أصحاب محمد ممن حضرَ عيد الغدير أن يقوموا فيشهدوا أمام النّاس ببيعة الخلافة فقام ثلاثون صحابياً منهم ستّة عشر بدريًا وشهدوا[1] والذي كتم الشهادة وادّعى النسيان ، كأنس بن مالك الذي أصابتْه دعوة علي بن أبي طالب فلم يقم من مقامه ذلك إلّا أبرص فكان يبكي ويقول أصابتني دعوة العبد الصالح لأني كتمتُ شهادته[2] وبذلك أقام أبو الحسن الحجّة على هذه الأمّة ومنذ ذلك العهد وحتّى يوم الناس هذا وإلى قيام الساعة يحتفل الشيعة بذكرى يوم الغدير وهو عندهم العيد الأكبر ، كيف لا وهو اليوم الذي أكمل الله لنا فيه الدّين وأتمّ فيه علينا النعمة ورضي بالإسلام لنا ديناً ، وهو يوم عظيم الشأن عند الله ورسوله والمؤمنين ، ذكر بعض علماء أهل السنّة عن أبي هريرة أنه قال : لمّا أخذ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بيد علي وقال : من كنتُ مولاه فعلي مولاه . . إلى آخر الخطبة ، فأنزل الله عزَّ وجلّ ﴿ **اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلام ديناً** ﴾ قال أبو هريرة وهو يوم غدير خم من صام يوم ثمان عشرة من ذي الحجّة كتب له صيام ستّين شهراً[3] .

---

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج 4 ص 370 وكذلك ج 1 ص 119 . النسائي في الخصائص ص 19 ـ كنز العمّال ج 6 ص 397 ـ ابن كثير في تاريخه ج 5 ص 211 .
ـ إبن الأثير في أسد الغابة ج 4 ص 28 وابن حجر العسقلاني في الإصابة ج 2 ص 408 ـ السيوطي في جمع الجوامع .

(2) مجمع الزوائد للهيثمي ج 9 ص 106 ـ ابن كثير في تاريخه ج 5 ص 211 .
ابن الأثير في أسد الغابة ج 3 ص 321 ـ حلية الأولياء ج 5 ص 26 .
أحمد بن حنبل ج 1 ص 119 .

(3) إبن كثير في كتاب البداية والنهاية ج 5 ص 214 .

أمّا روايات الشيعة عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في فضائل ذلك اليوم فحدّث ولا حرج ، والحمد لله على هدايته أن جعلنا من المتمسّكين بولاية أمير المؤمنين والمحتفلين بعيد الغدير .

وخلاصة البحث أنّ حديث الغدير « من كنتُ مولاه فعلي مولاه ، اللّهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره واخذل من خذله ، وأدر الحق معه حيث دار » هو حديث أو بالأحرى هي حادثة تاريخية عظيمة أجمعت الأمة الإسلامية على نقلها ، فقد مرّ علينا ذكر ثلثمائة وستين من علماء أهل السنّة والجماعة وأكثر من ذلك من علماء الشيعة .

ومن أراد البحث والمزيد فعليه بكتاب الغدير للعلاّمة الأميني .

وبعد الذي عرضناه لا يُستغربُ أنْ تنقسَم الأمّة الإسلامية إلى سنّة وشيعة ، تمسّكت الأولى بمبدأ الشورى في سقيفة بني ساعدة ، وتأولتْ النّصوص الصريحة وخالفتْ بذلك ما أجمع عليه الرواة من حديث الغدير ، وغيره من النصوص .

وتمسكتْ الثانية بتلك النّصوص فلم ترض عنها بدلاً وبايعتْ الأئمة الإثني عشر من أهل البيت ولم تبغ عنهم حِولاً والحقّ أنّني عندما أبْحث في مذهب أهل السنّة والجماعة خصوصاً في أمر الخلافة ، أجد المسائل مبنيةً على الظنّ والإجتهاد ، لأنّ قاعدة الإنتخاب ليس فيها دليل قطعي على أنّ الشخص الذي نختاره اليوم هو أفضل من غيره لأننا لا نعلمُ خائنة الأعين وما تُخفي الصدور ، ولأنّنا في الحقيقة مركّبون من عواطف وعصبيات وأنانية كامنة في نفوسنا وستلعب هذه المركبات دورها إذا ما أوكل إلينا إختيار شخص من بين أشخاص .

وليستْ هذه الأطروحة خيالاً أو أمراً مبالغاً فيه ، فالمتتبّع لهذه الفكرة ، فكرة إختيار الخليفة سيجد أنّ هذا المبدأ الذي يطبّل له لم ينجح ولا يمكن له أن ينجح أبداً .

فهذا أبو بكر زعيم الشورىٰ بالرغم من وصوله إلىٰ الخلافة (بالإختيار

والشـورىٰ) ، نراه عنـدما شـارف على الـوفاة أسرع إلىٰ تعيـين عمر بن الخـطاب خليفةً له ! دون استعمال طريقة الشورىٰ . وهذا عمر بن الخطاب الذي ساهم في تأسيس خلافة أبي بكر نـراه ـ بعد وفـاة أبي بكر يُعلن عـلى الملأ بـأن بيعة أبي بكـر كانت فلتةً وقىٰ الله المسلمين شرّها[1] .

ثم بعد ذلك نرى أنّ عمراً عندما طُعن وأيقن بدنو أجله عيّن ستّة أشخاص ليختـاروا بدورهم واحـداً منهم ليكون خليفـة ، وهـو يعلم علم اليقـين أنّ هؤلاء النفـر على قلّتهم سيختلفـون رغم الصحبـة والسبق لـلإسـلام والـورع والتقـوى فستثـور فيهم العواطف البشريـة التي لا ينجو منهـا إلاّ المعصوم ، ولـذلك نـراه ـ لحسم الخلاف ـ رجّح كفّـة عبد الـرحمٰن بن عوف فقـال : إذا إختلفتُم فكونـوا في الشق الذي فيه عبد الرحمٰن بن عـوف ونرى بعـد ذلك بـأنهم إختاروا الإمـام علياً ليكون خليفة ولكنّهم إشترطوا عليه أن يحكم فيهم بكتاب الله وسنّـة رسولـه وسنة الشيخين أبي بكر وعمر وقَبِلَ عليٌّ كتاب الله وسنّة رسوله ورفض سنة الشيخـين[2] وقَبلَ عثمان هذه الشروط فبايعوه بالخلافة . وقال علي في ذلك :

« فيالله وللشّورى متى اعترض الريبُ فيَّ مع الأول منهم حتىٰ صرتُ أقرنُ إلى هذه النظائر ، لكني أسففتُ إذا أسفّوا وطرتُ إذ طاروا ، فصغى رجلٌ منهم لضغنه ومال الآخر لصهره مع هنٍ وهن . . »[3] .

وإذا كـان هؤلاء وهـم نخبـة المسلمـين وهـم خـاصّـة الخـاصّـة تلعبُ بهم العـواطف فيكون فيهم الحقـد وتكون فيهم العصبيـة بين هنٍ وهنٍ (يقـول محمـد عبده في شرحه لهذه الفقرة : يشـير الإمام عـلي إلى أغراض أُخرى يكره ذكـرها) فعلى الدنيا بعد ذلك السّلام .

---

(1) صحيح البخاري ج 8 ص 26 باب رجم الحبلىٰ من الزنا .
(2) تاريخ الطبري وابن الأثير بعد موت عمر بن الخطاب واستخلاف عثمان .
(3) شرح نهج البلاغة لمحمد عبده ج 1 ص 88 .

على أنّ عبد الرحمن بن عوف ندم فيها بعد على إختياره ، وغَضبَ على عثمان واتّهمه بخيانة العهد لّما حدث في عهده ما حدث وجاءه كبار الصحابة يقولون له : يا عبد الرحمن هذا عمل يديك . فقال لهم : مـا كنتُ أظنّ هذا بـه ولكن لِلّه عليّ أن لا أكلمه أبداً . ثم مات عبد الرحمن بن عوف وهو مهاجـر لعثمان ، حتّى رووا أنّ عثمان دخل عليه في مرضه يعوده فتحول بوجهه إلى الحائط ولم يكلّمه[1] .

ثم كان بعد ذلك ما كان وقامت الثورة على عثـمان وانتهت بقتله ، ورجعتْ الأمّة بعد ذلك للإختيار من جديـد وفي هذه المـرّة إختاروا عليًّـا ، ولكنْ يا حسرة عـلى العباد : فقـد إضطربتْ الـدولـة الإسـلاميـة وأصبحت مسرحـاً للمنـافقـين ولأعدائه المُناوئين والمستكبرين والطامعين لإرتقاء منصّة الخلافة بأيّ ثمن وعلى أي طريق ولو بإزهاق النفوس البريئة ، وقد تغيـرتْ أحكام الله ورسـولـه عـلى مرّ تلك السّنين الخمس والعشرين ووجد الإمام علي نفسه وسط بحر لّجي وأمواج متلاطمة وظلمات حالكة وأهواء جامحة وقضى خلافته في حروب داميـة فُرضتْ عليـه فرضـاً من الناكثين والقاسطين والمارقين ولم يخرج منها إلاّ باستشهاده سـلام الله عليه وهـو يتحسّر عـلى أمّة محمـد وقد طمـع فيها الـطليق بن الطليق معـاوية بن أبي سفيـان وأضرابه كعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ومروان بن الحكم وغيرهم كثيرون ، وما جرّأ هؤلاء على ما فعلوه إلاّ فكرة الشورى والإختيار .

وغرقت أمة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم في بحر من الدّمـاء ، وتحكّم في مصيرها سفهاؤها وأراذلهـا وتحوّلتْ الشـورى بعد ذلـك إلى الملك العضوض ، إلى القيصرية والكسروية .

وانتهت تلك الفـترة التي أطلقوا عليهـا إسم الخلافـة الرّاشـدة وبهـا سمّـوا الخلفـاء الأربعـة بـالـراشـدين والحقّ أنّـه حتّى هؤلاء الأربعـة لم يكـونـوا خلفـاء بالإنتخاب والشورى سوى أبي بكر وعلي ، وإذا إستثنينا أبا بكـر لأنّ بيعته كـانت

---

(1) تـاريخ الـطبري وابن الأثير في حـوادث سنة 36 للهجـرة محمد عبـده في شرح النهج ج 1 ص 88 .

فلتةَ على حين غفلة ولم يحضرها « الحزب المعارض » كما يقال اليوم وهم علي وسائر بني هاشم ومن يرى رأيهم ، لم يبق معنا من عُقدتْ له بيعة بالشورى والإختيار إلاّ علي بن أبي طالب الذي بايعه المسلمون رغم أنفه وتخلّف عنه بعض الصحابة فلم يفرض عليهم ولا هدّدهم .

وقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يكون علي بن أبي طالب خليفة لرسول الله بالنّص من الله وكذلك بالإنتخاب من المسلمين وقد أجمعت الأمة الإسلامية قاطبة سنّة وشيعة على خلافة علي واختلفوا على خلافة غيره كما لا يخفى . أقول يا حسرة على العباد لو أنّهم قبلوا ما اختاره الله لهم لأكلوا من فوق رؤوسهم ومن تحت أرجلهم ولأنزل الله عليهم بركات من السّماء ولكان المسلمون اليوم أسياد العالم وقادته كما أراد الله لهم لو اتّبعوه ﴿ وأنتُم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴾ .

ولكنّ إبليس اللّعين عدوّنا المبين : قال مخاطباً ربّ العزة : ﴿ **فبما أغويتني لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم ، ثم لآتينّهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين** ﴾[1] .

فلينظر العاقل اليوم إلى حالة المسلمين في العالم ، وهم أذلّاء لا يقدرون على شيء يركضون وراء الدوّل معترفين بإسرائيل وهي ترفض الإعتراف بهم ولا تسمح لهم حتّى بالدخول إلى القدس التي أصبحت عاصمة لها ، وإذا ما رأيت بلاد المسلمين اليوم ترى أنهم تحت رحمة أمريكا وروسيا وقد أكل الفقر شعوبهم وقتلهم الجوع والمرض ، في حين تأكل كلاب أوروبا شتّى أنواع اللحوم والأسماك ، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم .

وقد تنبأتْ سيدة النساء فاطمة الزهراء سلام الله عليها عندما خاصمتْ أبا بكر وخطبتْ خطبتها في نساء المهاجرين والأنصار وقالت في آخرها مُخبرةً عن مآل الأمة :

---

(1) سورة الأعراف آية 16 ـ 17 .

« أما لعمري لقد لقحتْ فنظرة ريثما تنتجْ ، ثم إحتلبوا مِلأ القعب دماً عبيطاً وزُعافاً مبيداً ، هناك يخسر المبطلون ويعرف التّالون غبّ ما أسسّه الأوّلون ، ثم طيبوا عن دنياكم أنفساً واطمئنّوا للفتنة جأشاً ، وأبشروا بسيف صارم وسطوة معتدٍ غاشم وهرج شامل ، واستبداد من الظالمين ، يدعُ فيئكم زهيداً ، وجمعكم حصيداً ، فيا حسرةً لكم ، وأنّى بكم ، وقد عُمّيت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون »[1] .

صدقتْ سيدة النساء فيما تنبأتْ به وهي سليلة النّبوة ومعدن الرسالة ، وقد تجسدت أقوالها في حياة الأمة ومن يدري لعلّ الذي ينتظرها أبشعُ ممّا إنقضى ، ذلك بأنهم كَرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم .

العنصر المهم في البحث

* بَقِيَ عنصرٌ واحدٌ مهمّ في كل هذا البحث يستحقّ العناية والدرس ، وربما هو الإعتراض الوحيد الذي كثيراً ما يثار عندما يُفحمُ المعاندون بالحُجج الدّامغة فتراهم يلجأون إلى الإستغراب واستبعاد أن يكون قد حضر تنصيب الإمام علي مائة ألف صحابي ثم يتواطئون كلهم على مخالفته والإعراض عنه وفيهم خيرة الصحابة وأفضل الأمّة ! وهذا ما وقع لي بالذات عند اقتحام البحث ، فلم أصدّقْ ولا يمكن لأحدٍ أن يصدّقْ إذا ما طُرحت القضية بهذا الطرح ، ولكن عندما ندرُس القضية من جميع الجوانب يزول الإستغراب لأنّ المسألة ليستْ كما نتصورها أو كما يعرضها أهل السنّة فحاشىَ أن يكون مائة ألف صحابي خالفوا أمر الرسول ، فكيف وقعتْ الواقعة إذن ؟

---

(1) الطبري في دلائل الإمامه .
- بلاغات النساء لابن طيفور .
- اعلام النساء تأليف عمر رضا كحّالة ج 4 ص 123 .
- ابن أبي الحديد في شرح النهج .

أولاً ـ لم يكن يسكن المدينة المنورة كل من حضر بيعة الغدير وثمّا كان كما هو المفروض وعلى أكبر تقدير ثلاثة أو أربعة آلاف منهم يسكنون المدينة ، وإذا عرفنا أنّ هؤلاء فيهم الكثير من الموالي والعبيد والمستضعفين الذين قدموا على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من مناطق عديدة وليس لهم في المدينة قبيلة ولا عشيرة أمثال أهل الصّفة ، فلا يبقى معنا إلاّ نصفهم يعني ألفين فقط وحتّى هؤلاء فهم خاضعون لرؤساء القبيلة ونظام العشيرة التي ينتمون إليها ، وقد أقرهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على ذلك فكان إذا قدم عليه وفدٌ ولىّ عليهم زعيمهم وسيدهم ، ولذلك وجدنا إصطلاحاً على تسميتهم في الإسلام بأهل الحل والعقد .

وإذا ما نظرنا إلى مؤتمر السقيفة الذي إنعقد عند وفاة الرسول مباشرة وجدنا أن الحاضرين الذين إتخذوا قرار إختيار أبي بكر خليفة لا يزيد على مائة شخص على أكثر تقدير لأنّه لم يحضر من الأنصار وهم أهل المدينة إلاّ أسيادهم وزعماؤهم ، كما لم يحضر من المهاجرين وهم أهل مكة الذين هاجروا مع الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم إلاّ ثلاثة أو أربعة أشخاص يمثلون قريش ويكفي دليلاً أن نتصوّر ما هو حجم السقيفة فكلنا يعرف ما هي السقيفة التي ما كانت تخلو منها أي دار فليست هي قاعة الحفلات ولا قصر المؤتمرات ، فإذا ما قُلنا بحضور مائة شخص في سقيفة بني ساعدة فذلك مبالغة منّا حتّى يفهم الباحث بأنّ المائة ألف لم يكونوا حاضرين ولا سمعوا حتى ما دار في السقيفة إلاّ بعد زمن بعيد فلم تكن هناك مواصلات جوية ولا هواتف لاسلكية ولا أقمار صناعية .

وبعد إتّفاق هؤلاء الزعماء على تعيين أبي بكر ورغم معارضة سيد الأنصار سعد بن عبادة زعيم الخزرج وإبنه قيس ، إلاّ أن الأغلبية الساحقة (كما يقال اليوم) أبرمتْ العقد وتصافقتْ عليه في حين كان أغلب المسلمين غائبين عن السقيفة وكان بعضهم مشغولاً بتجهيز الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم أو مذهولاً بخبر موته وقد أرعبهم عمر بن الخطاب وخوّفهم إن قالوا بموته[1] .

---

(1) صحيح البخاري ج 4 ص 195 .

أضف إلى ذلك أنّ أغلب الصحابة عبّاهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في جيش أسامة وأكثرهم كانوا معسكرين بالجرف ولم يحضروا وفاة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ولا حضروا مؤتمر السقيفة .

فهل يُعقلُ بعد هذا الذي وقع أن يعارض أفراد القبيلة أو العشيرة زعيمهم فيما أبرمه خصوصاً وأن في ما أبرمه الفضل العميم والشرف الكبير الذي تسعى إليه كل قبيلة منهم ، ومن يدري لعله يلحقهم في يوم من الأيام شرف الرئاسة على كل المسلمين ، ما دام صاحبها الشرعي قد أُبعِدَ وأصبح الأمر شورى يتداولونه بينهم بالتناوب ، فكيف لا يفرحون بذلك وكيف لا يؤيدونه ؟

ثانياً ـ إذا كان أهل الحل والعقد من سكّان المدينة قد أبرموا أمراً فليس للقاصين البعيدين من أطراف الجزيرة أن يعارضوا ، وهم لا يدرون ما يدور في غيابهم فوسائل النقل في ذلك العهد كانت بدائية ، ثم أنهم يتصوّرون بأنّ سكّان المدينة يعيشون مع رسول الله فهم أعلم بما يستجدّ من أحكام قد ينزل بها الوحي في أي ساعة وفي أي يوم . ثم بعد ذلك ما يهمّ رئيس القبيلة البعيد عن العاصمة من أمر الخلافة شيئاً فبالنسبة إليه سواء أكان أبو بكر خليفة أو علي أو أي شخص آخر ، فأهل مكة أدرى بشعابها والمهم عنده هو بقاؤه على رئاسة عشيرته ولا ينازعه فيها أحد .

ومن يدري لعلّ البعض منهم تساءل عن الأمر وأراد أن يستطلع الخبر غير أنّ أجهزة الحكم أسكتتهُ سواء بالترغيب أو بالترهيب ، ولعلَّ في قصة مالك بن نويرة الذي إمتنع عن دفع الزكاة إلى أبي بكر ما يؤكد حصول ذلك .

والمتتبّع لتلك الأحداث التي وقعتْ في حرب مانعي الزكاة أيام أبي بكر يجد كثيراً من التناقضات ولا يقتنع بما أورده بعض المؤرخين للحفاظ على كرامة الصحابة وخصوصاً الحاكمين منهم .

ثالثاً ـ عنصر المفاجأة في القضية لعبَ دوراً كبيراً في قبول ما يُسمّى اليوم « بالأمر الواقع » فلقد عُقد مؤتمر السقيفة على حين غفلة من الصحابة الذين

شغلوا بالرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ومن هؤلاء الإمام علي والعباس وسائر بني هاشم والمقداد وسلمان وأبي ذر وعمار والزبير وغير هؤلاء كثير ولما خرج أصحاب السقيفة يزفّون أبا بكر إلى المسجد داعين إلى البيعة العامة والناس يُقبلون على البيعة أفواجاً وزرافات طوعاً وكرهاً ، لم يكن علي واتباعه قد فرغوا بعد من واجبهم المقدّس الذي فرضته عليهم أخلاقهم السامية فلا يمكن لهم أنْ يتركوا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بدون تغسيل وتكفين وتجهيز ودفن ويتسارعوا إلى السقيفة ليتنازعوا حول الخلافة .

وما إن فرغوا من واجبهم حتّى إستتبّ الأمر لأبي بكر وبات من يتخلّف عن بيعته معدوداً من أصحاب الفتنة الذي يشقّ عصا المسلمين فيجب على المسلمين مقاومته أو حتّى قتله إن لزم الأمر . ولذلك نرى عمر قد هدّد سعد بن عبادة بالقتل لّما إمتنع عن بيعة أبي بكر وقال إقتلوه إنه صاحب فتنة[1] وهدّد بعد ذلك المتخلّفين في بيت علي بحرق الدار ومن فيها ، وإذا عرفنا رأي عمر بن الخطاب في خصوص البيعة فهمنا بعد ذلك كثيراً من الألغاز التي بقيت محيّرة .

فعُمر يرى بأنّه يكفي لصحة البيعة أن يسبق إليها أحد المسلمين فيجب على الآخرين متابعتهُ ومن عصى منهم فهو خارج من ربقة الإسلام ويجِبُ قتلُه .

فلنستمع إليه يتحدّث عن نفسه في خصوص البيعة كما أخرجه البخاري في صحيحه[2] ، قال : يحكي عمّا وقع في السقيفة :

« فكثُر اللّغطُ وارتفعتِ الأصواتُ حتىّ فرقتُ من الإختلاف فقلتُ : أبسط يدك يا أبا بكر ، فبسط يدَهُ فبايعتُه وبايعَهُ المهاجرون[3] والأنصار ونزونا على

(1) صحيح البخاري ج 8 ص 26 .
تاريخ الطبري ـ تاريخ الخلفاء لابن قتيبة .

(2) صحيح البخاري ج 8 ص 28 باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت .

(3) ذكر كل المؤرخون بأنّه لم يحضر في السقيفة إلاّ أربعة من المهاجرين فقوله : فبايعتُه وبايعه المهاجرون يعارضه قوله وخالف عنّا علي والزبير ومن معهما قاله في نفس الخطبة أنظر صحيح البخاري ج 8 ص 26 .

سعد بن عبادة فقال قائل منهم : قتلتم سعد بن عبادة ، فقلتُ : قتل الله سعد بن عبادة ، قال عمر : وإنا والله ما وجدنا فيها حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر ، خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعةٌ أن يبايعوا رجُلاً منهم بعدنا فإمّا بايعناهم على ما لا نرضى وإمّا نخالفهم فيكون فسادٌ ، فمن بايع رجُلاً على غير مشورة من المسلمين فلا يتابعُ هو ولا الذي بايعه تَغِرَّةً أنْ يُقْتَلا » .

فالمسألة عند عمر ليست إنتخاباً واختياراً وشورى وإنما يكفي أن يبادر أحد المسلمين بالبيعة لتكون حجة على الباقين ولذلك قال لأبي بكر : أبسط يدك يا أبا بكر ، فبسط يده فبايعه بدون مشورة ولا تريّث خوفاً من أن يسبق إليها أحد آخر ، وقد عبّر عمر عن هذا الرأي بقوله : خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجُلاً منهم بعدنا (خشي عمر أن يسبقه الأنصار فيبايعوا رجلاً منهم) ويزيدنا وضوحاً أكثر عندما يقول : فإمّا بايعناهم على ما لا نرضى وإمّا نخالفهم فيكون فسادٌ[1] .

وحتّى نكون منصفين في الحكم ومدقّقين في البحث يجبُ علينا أن نعترفَ بأنّ عمر بن الخطاب غيّر رأيه في البيعة في آخر أيام حياته وذلك عندما جاءه رجلٌ بمحضر عبد الرحمن بن عوف في آخر حجّة حجّها فقال : يا أمير المؤمنين هل لك في فلان يقول : لو قد مات عمرُ لقد بايعتُ فلاناً فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلاّ فَلتَةً فتمّتْ . فغضب عمر ، ولهذا قام في الناس خطيباً فور رجوعه إلى المدينة فقال من جملة ما قال في خطبته :

« إنه بلغني أنّ قائلاً منكم يقول والله لو مات عمر بايعتُ فلاناً فلا يغترنّ أمرؤ أن يقولَ إنّما كانتْ بيعةُ أبي بكر فلتةً وتمّتْ ألاَ وإنّها كانتْ كذلك ولكنّ الله وقى شرّها . . .[2] ثم يقول : من بايع رجلاً عن غير مشورةٍ من المسلمين فلا يُبايعُ هو ولاَ الذي بايَعهُ تَغِرَّةً أنْ يُقْتَلاَ . . . »[3] .

(1 ، 2 ، 3) صحيح البخاري ج 8 ص 26 .

ليتَ عمر بن الخطاب كان على هذا الرأي يوم السقيفة ولم يستبدّ على المسلمين ببيعته لأبي بكر التي كانت فَلتَةً وقى الله شرّها كما شهد هو بذلك . ولكنْ أنّى لعمر أن يكون على هذا الرأي الجديد لأنّه حكمَ على نفسه وعلى صاحبه بالقتل إذ يقول في رأيه الجديد : « من بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فلا يُبايعُ هو وَلا الذي بايعَه تغرّةً أن يُقتلاَ » .

بقي علينا أن نعرف لماذا غيّر عمر رأيه في آخر حياته بالرّغم من أنّه يعرف أكثر من غيره بأنّه برأيه الجديد نسف بيعة أبي بكر من أساسها إذ أنّه هو الذي سبق لبيعته من غير مشورة من المسلمين فكانت فلتَةً ، ونسفَ أيضاً بيعتَه هو لأنّه وصل للخلافة بنص أبي بكر عليه عند الموت من غير مشورة من المسلمين حتّى أن بعض الصحابة دخلوا على أبي بكر مستنكرين عليه أن يولّي عليهم فضّاً غليظاً[1] ، ولمّا خرج عمر ليقرأ على الناس كتاب أبي بكر سأله رجلٌ : ما في الكتاب يا أبا حفص ؟ قال : لا أدري ، ولكنّي أول من سمع وأطاع ، قال الرجل : لكنّي والله أدري ما فيه : أمّرتَهُ عام أول ، وأمّرك العام[2] .

وهذا نظير قول الإمام علي لعمر (عندما رآه يحمِلُ الناسَ قهراً لبيعة أبي بكر) أحلب حلباً لك شطره ، واشدد له اليوم أمره يردده عليك غداً . . .[3] .

والمهم أنْ نعرف لماذا غيّر عمر رأيه في البيعة ! أكادُ أعتقدُ بأنّه سمعَ بأنّ بعض الصحابة يريد بيعة علي بن أبي طالب بعد موت عمر وهذا ما لا يرضاه عمر أبداً وهو الذي عارض النصوص الصريحة وعارض أن يكتب لهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ذلك الكتاب[4] لأنه عرف فحواه حتّى اتّهمه بالهجر وخوّف

---

(1) تاريخ الطبري ج ص إستخلاف عمر بن الخطاب .
شرح النهج لابن أبي الحديد ج 1 ص .
(2) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج 1 ص 25 .
باب مرض أبي بكر واستخلافه عمر رضي الله عنهما .
(3) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج 1 ص 18 .
(4) صحيح مسلم ج 5 ص 75 (كتاب الوصية) صحيح البخاري ج 7 ص 9 .

النّاس حتّى لا يقولوا بموته[1] وذلك لئلاّ يتسابقَ الناس لبيعة علي ، وشيّد بيعة أبي بكر وحمل النّاس عليها بالقهر وهدّد كل من تخلّف بالقتل[2] كل ذلك في سبيل إبعاد علي عن الخلافة ، فكيف يرضى أنْ يقولَ قائلٌ : بأنه سيُبايع فلاناً لو قد مات عمر ، وخصوصاً بأن هذا القائل (الذي بقيَ إسمه مجهولاً ولا شك أنّه من عظماء الصحابة) يحتجّ بما فعله عمر نفسه في بيعته لأبي بكر إذ يقول : فوالله ما كانتْ بيعة أبي بكر إلاّ فلتةً فتمّتْ . أي أنها بالرغم من كونها وقعتْ على حين غفلة من المسلمين وبدون مشورة منهم فقد تمّتْ وأصبحت حقيقة ولذا جاز لعمر أن يفعلها مع أبي بكر فكيف لا يجوز له أن يفعلها هو بنفس الطريقة مع فلان ـ ونلاحظ هنا أن ابن عباس وعبد الرحمن بن عوف وعمر بن الخطاب يتحاشون ذكر إسم هذا القائل كما يتحاشون ذكر إسم الذي يريد بيعته ، ولمّا كان لهذين الشخصين أهميّة كبيرة لدى المسلمين نرى أنّ عمر غضب لهذه المقالة وبادر في أول جمعة بأن خطب النّاس وأثار موضوع الخلافة بعده وطلع عليهم برأيه الجديد فيها ، حتّى يقطع الطريق على هذا الذي يريد إعادة الفلتة لأنها ستكون لصالح خصمه ، على أنّنا فهمنا من خلال البحث بأنّ هذه المقالة ليستْ رأي فُلان وحده وإنما هي رأي كثير من الصحابة ولذلك يقول البخاري : فغضب عمرُ ثم قال : إنّي إن شاء الله لقائمٌ العشية في النّاس فمحذّر هؤلاء الذين يريدون أن يغصبُوهم أمورَهُمْ . . .[3] .

فتغيير عمر لرأيه في البيعة كان معارضة لهؤلاء الذين يريدون أنْ يغصبوا النّاس أمورهم ويبايعوا عليًّا ، وهذا ما لا يرضاه عمرُ لأنّه يعتقد بأنّ الخلافة هي من أمور النّاس وليستْ حقًّا لعلي بن أبي طالب وإذا كان هذا الإعتقاد صحيحاً فلماذا أجاز هو لنفسه أن يغصب النّاس أمورهم بعد موت النبي صلّى الله عليه

---

(1) صحيح البخاري ج 4 ص 195 .

(2) صحيح البخاري ج 8 ص 28 ـ وتاريخ الخلفاء ج 1 ص 19 .

(3) صحيح البخاري ج 8 ص 25 .

وآله وسلّم ويسارع لبيعة أبي بكر من غير مشورة المسلمين ؟

وموقفُ أبي حفص من أبي الحسن معروف ومشهـور وهو إبعـاده عن الحكم ما استطاع لذلك سبيلاً .

وهذا الإستنتاج لم نستوحه من خطبته السّابقة فحسب ولكنّ المتتبّع للتاريخ يعرف أنّ عمر بن الخطاب كان هو الحاكم الفعلي حتى في خلافـة أبي بكير ولـذلك نرى أبا بكر يستأذن من أسامة بن زيد أن يترك له عمر بن الخطاب ليستعين به على أمر الخلافة[1] ـ ومع ذلـك نرى عـلي بن أبي طالب يبقى بعيـداً عن المسؤولية فلم يولّوه منصباً ولا ولاَية ولا أمّـروه على جيشٍ ولا إئتمنـوه على خـزينة وذلـك طوال خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ، وكلّنا يعلم من هو علي بن أبي طالب .

والأغرب من كل هذا أنّنا نقرأ في كتب التاريـخ بأن عمـر لما أدركتـه الوفـاة تأسّف أن لا يكون أبو عبيدة بن الجراح أو سالم مـولى أبي حذيفـة من الأحياء حتّى يوليّهم من بعده ، ولكنّه ولا شك تذكّر بأنّه سبق أن غـيّر رأيه في مثـل هذه البيعـة واعتبرها فلتة وغصباً لأمور المسلمين ، فلا بدّ لـه إذن أن يخترعَ طـريقة جـديدة في البيعة لتكون حلاً وسطاً بينَ بين فلا يستبدّ أحدٌ فيسبقُ بالبيعة لمن يراه صـالحاً لهَـا ويحمل الناسَ على متابعته كما فعل هو مع أبي بكر وكما فعل أبو بكر معه هو أو كـما يريد أن يفعل فلان الذي ينتظر موت عمر ليبايع صـاحبه فهـذا غير ممكن بعـد أن حكم عمر عليها بـالفلتة والإغتصـاب . ولا يمكن له أيضـاً أن يترك الأمـر شورى بـين المسلمين ، وقـد حضر مؤتمر السقيفـة عقب وفاة النبي صـلّى الله عليـه وآلـه وسلّم ورأى بعينيه ما وقع من الإختلاف الذي كادت تُزهقُ فيه الأرواح وتُهرق فيه الدّماء .

واخـترع أخيراً فكـرة أصحاب الشـورى أو الستّة الـذين لهم وحـدهم حق إختيار الخليفة وليس لأحدٍ من المسلمين أن يشـاركهم في ذلك ، وكـان عمر يعلم

---

(1) كما نصّ على ذلك ابن سعد في طبقاته وأكثر المؤرخين الذين ذكروا سرية أسامة بن زيد .

أنّ الخلاف بين هؤلاء الستّة لا مفرّ منه ولذلك أوصى عند الإختلاف أن يكونوا مع الفريق الذي فيه عبد الرحمٰن بن عوف ولو أدّى الأمر إلى قتل الثلاثة الذين يخالفون عبد الرحمٰن هذا في حال إنقسام الستّة إلى قسمين وهو محالٌ لأنّ عمر يعرف بأنّ سعد بن أبي وقاص ابن عمّ لعبد الرحمٰن وكلاهما من بني زهرة ويعلم أنّ سعد لا يحبّ علياً وكان في نفسه شيء منه لأنّ علياً قتل أخواله من عبد شمس كما يعرف عمر أنّ عبد الرحمٰن بن عوف هو صهر عثمان لأن زوجته أم كلثوم هي أخت عثمان ، ويعلم أيضاً أن طلحة ميّالٌ لعثمان لصلات بينهما على ما ذكره بعض رواة الأثر وقد يكفي في ميله إلى عثمان إنحرافه عن علي لأنّه تيمي وقد كان بين بني هاشم وبني تيم مواجد لمكان الخلافة في أبي بكر[1] .

كان عمر يعلم كل ذلك ومن أجل هذا كان إختياره لهؤلاء بالذّات .

إختار عمر هؤلاء الستّة وكلّهم من قريش وكلّهم من المهاجرين وليس فيهم واحدٌ من الأنصار وكلّهم يمثّل ويتزعّم قبيلة لها أهميتها وتأثيرها .

1 ـ علي بن أبي طالب زعيم بني هاشم .
2 ـ عثمان بن عفان زعيم بني أميّة .
3 ـ عبد الرحمٰن بن عوف زعيم بني زهرة .
4 ـ سعد بن أبي وقّاص هو من بني زهرة وأخواله بني أمية .
5 ـ طلحة بن عبيد الله هو سيد بني تيم .
6 ـ الزبير بن العوّام هو إبن صفية عمة الرسول وهو زوج أسماء بنت أبي بكر .

فهؤلاء هم أهل الحلّ والعقد وحكمهم نافذٌ على كل المسلمين سواء منهم سكان المدينة (عاصمة الخلافة) أو غيرهم في كل العالم الإسلامي ومَا على المسلمين إلّا السّمع والطاعة بدون نقاش ومن يخرج منهم عن ذلك فهو مهدور

(1) محمد عبده في شرح نهج البلاغة ج 1 ص 88 .

الدّم . وهذا بالذات الذي أردنا تقريبه من ذهن القاريء بخصوص السكوت عن نص الغدير ، فيما تقدّم .

وإذا كان عمر ، يعلم نفسيات هؤلاء الستّة وعواطفهم وطموحاتهم فإنه بلا شكّ قد رشّح عثمان بن عفّان للخلافة أو أنه كان يعلم أن الأكثرية من هؤلاء الستّة لا يرضون بعلي وإلاّ لماذا وبأيّ حقّ يرجّح كفّة عبد الرحمٰن بن عوف على علي بن أبي طالب والحال أنّ المسلمين منذ وُجدُوا وحتّى اليوم إنّما يتنازعون في أفضلية علي وأبي بكر ولم نسمع أحداً يقارن علياً بعبد الرحمٰن بن عوف .

وهنا أقفُ وقفةً لا بدّ منها ، لأسألَ أهل السنّة والجماعة القائلين بمبدأ الشورى وأهل الفكر الحرّ كافة ، أسألُ كل هؤلاء كيف توفّقون بين الشورى بمعناها الإسلامي وبين هذه الفكرة التي إن دلّتْ على شيء فإنما تدلّ على الإستبداد بالرأي ، لأنه هو الذي إختار هؤلاء النّفر وليس المسلمون ، وإذا كان وصوله للخلافة فلتةً فبأيّ حقّ يفرض على المسلمين أحد هؤلاءالستّة ؟!

والذي يبدو لنا أن عمر يرى الخلافة حقاً من حقوق المهاجرين وحدهم وليس من حق أحد أن ينازعهم هذا الأمر ، بل أكثر من هذا يعتقد عمر كما يعتقد أبو بكر بأن الخلافة ملك لقريش وحدها ، إذ في المهاجرين مَن ليسوا من قريش ، بل فيهم من ليسوا من العرب ، فلا يحق لسلمان الفارسي ولا لعمار بن ياسر ، ولا لبلال الحبشي ولا لصهيب الرومي ولا لأبي ذر الغفاري ولا لألوفِ الصحابة الذين ليسوا من قريش أن يتصدوا للخلافة .

وليس هذا مجرّد إدّعاء ! حاشا وكلاّ ، بل هي عقيدتهم التي سجّلها التاريخ والمحدّثون من أفواههم فلنعُد إلى نفس الخطبة التي أخرجها البخاري ومسلم في صحيحيهما :

يقول عمر بن الخطاب : أردتُ أن أتكلّمَ وكنتُ زوّرتُ مقالة أعجبتني أُريدُ أن أقدمها بين يدي أبي بكر وكنتُ أداري منه بعض الحدّ فلمّا أردتُ أن أتكلّمَ قال أبو بكر : على رسْلك فكرهتُ أنْ أُغضبهُ فتكلّم أبو بكر فكان هو أحلم منّي وأوقر

والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلاّ قال في بديهته مثلها أو أفضلَ حتّى سكتَ فقال ما ذكرتُم فيكم من خيرٍ فأنتم له أهل (مخاطباً الأنصار) ولنْ يُعرف هذا الأمرُ إلاّ لهذا الحي منْ قريش[1] .

إذن ، يتبينّ لنا بوضوح بأنّ أبا بكر وعمر لا يؤمنان بمبدأ الشورى والإختيار ويقول بعض المؤرخين بأنّ أبا بكر إحتجّ على الأنصار بحديث الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم « الخلافة في قريش » وهو حديث صحيح لا شك فيه وحقيقته (كما نصّ على ذلك البخاري ومسلم وكل الصحاح عند السنّة وعند الشيعة) قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم :

« الخلفاء من بعدي إثنا عشر كلهم من قريش » .

وأصرح من هذا الحديث قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم :

« لاَ يزال هذا الأمر في قريش ما بقِيَ منَ الناسِ إثنان »[2] وقوله « الناس تبعٌ لقريش في الخير والشرّ »[3] .

فإذا كان المسلمون قاطبة يؤمنون بهذه الأحاديث فكيف يقول قائل بأنه ترك الأمر شورى بين المسلمين ليختاروا من يشاؤون ؟

ولا يمكن لنا أن نتخلّص من هذا التناقض إلا إذا أخذنا بأقوال أئمة أهل البيت وشيعتهم وبعض علماء السنّة الذين يؤكّدون بأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قد نصّ على الخلفاء وعيّنهم بعددهم وأسمائهم ، وبذلك يمكن لنا أيضاً أن نفهم موقف عمر وحصره الخلافة في قريش وعُمر مَنْ عُرفَ باجتهاده مقابل النصوص حتّى في حياة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فصلح الحديبية[4] ،

---

(1) صحيح مسلم باب الوصية .

(2، 3) صحيح مسلم ج 6 ص 2 و3 صحيح البخاري ج 8 ص 27

(4) صحيح البخاري ج 2 ص 81 صحيح مسلم باب صلح الحديبية

والصلاة على المنافقين[1] ، ورزية يوم الخميس[3] ، ومنعه التبشير بالجنّة[3] أكبر شاهد على ما نقول . فلا يُستغربُ منه أن يجتهد بعد موت النبي في نص حديث الخلافة فلا يرى وجوباً بقبول النصّ على علي بن أبي طالب الذي هو أصغر قريش ، وحصر حق الإستخلاف بقريش وحدها ، وهو الذي حدا بعمر أن يختار قبل موته ستّة من عظماء قريش ليوفّق بين أحاديث النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وما يرتأيه هو من حق قريش وحدها في الخلافة ، ولعلّ إقحام علي في الجماعة مع العلم المسبق بأنهم لا يختارونه ، هو تدبير من عمر ليُجبرَ علياً على الدخول معهم في اللّعبة السياسيةِ كما يسمّونها اليوم وحتّى لا تبقى له حجّة عند شيعته ومحبّيه الذين يقولون بأولويّته ، ولكن الإمام علياً تحدّث عن كل ذلك في خطبه أمام عامّة الناس فقال في ذلك :

« فصبرتُ على طول المدّة وشدّة المحنة ، حتّى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أنّي أحدهم ، فيالله وللشورىٰ ، متى إعترض الريبُ فيَّ مع الأول منهم حتى صرتُ أقرنُ إلى هذه النظائر ، لكني أسففتُ إذ أسفّوا وطرتُ إذ طاروا ، فصغى رجل منهم لضغنه ، ومال الآخر لصهره مع هنٍ وهنٍ . . . » الخطبة[4] .

رابعاً ـ إن الإمام علي سلام الله عليه إحتجّ عليهم بكل شيء ولكن بدون جدوى ، وهل يستجدي الإمام علي بيعة النّاس الذي صرفوا وجوههم عنه ومالت قلوبهم لغيره إمّا حسداً له على ما أتاه الله من فضله ، وإمّا حِقداً عليه لأنّه قتل صناديدهم وهشّم أبطالهم ، وأرغم أنوفهم ، وأخضعهم وحطّم كبرياءهم بسيفه وشجاعته حتّى أسلموا واستسلموا وهو مع ذلك شامخٌ يذود عن ابن عمّه لا

---

(1) صحيح البخاري ج 2 ص 76 .

(2) صحيح البخاري ج 1 ص 37 .

(3) صحيح البخاري ج 1 باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنّة في صفحة 45

(4) نهج البلاغة شرح محمد عبده ج 1 ص 87 .

تأخذه في الله لومة لائم ، ولا يثني عزمه من حطام الدنيا شيء ـ وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يعلمُ ذلك علم اليقين وكان في كل مناسبة يُشيد بفضائل أخيه وابن عمّه لكي يحبّبه إليهم فيقول : حب علي إيمان وبغضه نفاق[1] -ويقول علي مني وأنا من علي[2] ويقول علي ولي كل مؤمن بعدي[3] -ويقول علي باب مدينة علمي وأبو ولدي[4] ويقول : علي سيد المسلمين وإمام المتقين وقائد الغر المحجّلين[5] .

ولكن مع الأسف ما زادهم ذلك إلاّ حسداً وحقداً ولذلك إستدعاه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قبل موته فعانقه وبكى ، وقال له : يا علي : إني أعلم أن لك ضغائن في صدور قوم سوف يظهرونها لك بعدي . فإن بايعوك فاقبل وإلاّ فاصبر حتّى تلقاني مظلوماً[6] فإذا كان أبو الحسن سلام الله عليه لزم الصبر بعد بيعة أبي بكر فذلك بوصية الرسول له وفي ذلك من الحكمة ما لا يخفى .

خامساً ـ أضف إلى كل ما سبق أن المسلم إذا ما قرأ القرآن الكريم وتدبّر آياته يعرف من خلال قصصه التي تناولت الأمم والشعوب السابقة أنّه وقع فيهم أكثر مما وقع فينا ، فها هو قابيل يقتل أخاه هابيل ظلماً وعدواناً وها هو نوح جد الأنبياء بعد ألف سنة من الجهاد لم يتبعه من قومه إلاّ القليل وكانت إمرأته وابنه من الكافرين ، وها هو لوط لم يوجد في قريته غير بيت من المؤمنين ، وها هم الفراعنة الذين إستكبروا في الأرض واستعبدوا النّاس لم يكن فيهم غير مؤمن يكتم إيمانه ،

---

(1) صحيح مسلم ج 1 ص 61 .
(2) صحيح البخاري ج 3 ص 168 .
(3) مسند أحمد ج 5 ص 25 ومستدرك الحاكم ج 3 ص 124 .
(4) المستدرك للحاكم ج 3 ص 126 .
(5) منتخب كنز العمال ج 5 ص 34 .
(6) الرياض النضرة في مناقب العشرة للطبري باب فضائل علي بن أبي طالب .

وها هم إخوة يوسف أبناء يعقوب وهم عصبة يتآمرون على قتل أخيهم الصغير بغير ذنب إقترفه ولكن حسداً له لأنّه أحبّ إلى أبيهم ، وها هم بنو إسرائيل الذين أنقذهم الله بموسى وفلق لهم البحر وأغرق أعداءهم فرعونَ وجنوده بدون أن يكلّفهم عناء الحرب ، ما إن خرجوا من البحر ولم تجفّ أقدامهم فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا : يا موسى إجعل لنا إلٰهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون .

ولّما ذهب إلى ميقات ربّه واستخلف عليهم أخاه هارون تآمروا عليه وكادوا يقتلونه ـ وكفروا بالله وعبدوا العجل ـ ثم بعد قتلوا أنبياء الله قال تعالى : **﴿ أفكلّما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم إستكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون ﴾**[1] .

وها هو سيدنا يحيا بن زكريا وهو نبي وحصور ومن الصالحين يقتلُ ويهدى رأسه إلى بغي من بغايا بني إسرائيل .

وها هم اليهود والنصارى يتآمرون على قتل وصلب سيدنا عيسى ، وها هي أمة محمد تعد جيشاً قُوامه ثلاثين ألفاً لقتل الحسين ريحانة رسول الله وسيد شباب أهل الجنة ولم يكن معه غير سبعين من أصحابه فقتلوهم جميعاً بما في ذلك أطفاله الرضّع .

فأي غرابة بعد هذا ؟ أي غرابة بعد قول الرسول لأصحابه :

« ستتبعون سُنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه ، قالوا : أتراهم اليهود والنصارى ؟ قال : فمن إذن ؟؟ »[2] .

أي غرابة ونحن نقرأ في البخاري ومسلم قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم :

---

(1) سورة البقرة آية 87 .

(2) صحيح البخاري ج 4 ص 144 وج 8 ص 151 .

« يؤتى بأصحابي يوم القيامة إلى ذات الشمال فأقول إلى أين ؟ فيقال إلى النار والله ، فأقول : يا رب هؤلاء أصحابي فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا من بعدك ، فأقول : سُحقاً لمن بدّل بعدي ولا أراه يخلص منهم إلاّ مثل همل النّعم »[1] .

أي غرابة بعد قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم :

« ستفترق أمّتي إلى ثلاث وسبعين فرقة كلّها في النار إلاّ فرقةواحدة »[2]

وصدق العلي العظيم ربّ العزّة والجلالة العليم بذات الصدور إذ يقول :

﴿ وما أكثر الناس ولو حرصتَ بمؤمنين ﴾ سورة يوسف آية 103 .

﴿ بل جاءهم بالحقّ وأكثرهم للحقّ كارهون ﴾ سورة المؤمنون آية 70 .

﴿ لقد جئناكم بالحقّ ولكنّ أكثركم للحقّ كارهون ﴾ سورة الزخرف آية 78

﴿ ألا إنّ وعد الله حقّ ولكنّ أكثرهم لا يعلمون ﴾ سورة يونس آية 55 .

﴿ يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون ﴾ سورة التوبة آية 8 .

﴿ إنّ الله لذو فضل على النّاس ولكنّ أكثرهم لا يشكرون ﴾ سورة يونس آية 60 .

﴿ يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون ﴾ سورة النحل آية 83 .

﴿ ولقد صرفناه بينهم ليذكّروا فأبى أكثر الناس إلاّ كفوراً ﴾ الفرقان آية 50 .

---

(1) صحيح البخاري ج 7 ص 209 وصحيح مسلم في باب الحوض .

(2) سنن ابن ماجة كتاب الفتن ج 2 رقم الحديث 3993 .
مسند أحمد ج 3 ص 120 سنن الترمذي في كتاب الايمان .

﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلّا وهم مشركون ﴾ سورة يوسف آية 106 .

﴿ بل أكثرهم لا يعلمون الحقّ فهم معرضون ﴾ سورة الأنبياء آية 24 .

﴿ أفمن هــذا الحــديث تعـجبــون وتـضحـكُــون ولاَ تبْـكــونَ وأنتُـم سامدون . . . ﴾ النجم آية 61 .

كيف لا أتحسّر ؟ بـل كيف لا يتحسّر كـل مسلم عنـد قـراءة مثـل هـذه الحقائق ـ على ما خسره المسلمون بإقصاء الإمام علي عن الخلافة التي نصّبـه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فيها ، وحرمان الأمة من قيادتـه الحكيمة . وعلومـه الكثيرة .

وإذا مـا نظر المسلم بغـير تعصّب ولا عاطفـة ، لـوجـده أعلم النـاس بعـد الرسول ، فالتاريخ يشهد أنّ علماء الصحابة إستفتوه في كل ما أشكل عليهم وقول عمـر بن الخطاب أكـثر من سبعين مـرّة « لـولا عـلي لهلك عمـر »[1] في حـين أنّـه (عليه السلام) لم يسأل أحداً منهم أبداً .

كما أنّ التاريخ يعترف بأنّ علي بن أبي طـالب أشجع الصحـابة وأقـواهم ، وقـد فرّ الشجعـان من الصحابـة في مواقف عـديدة من الـزّحف في حين ثبتَ هـو (عليه السلام) في المواقف كلّها ، ويكفيه دليلاً الوسام الذي وسَمه به رسول الله

(1) مناقب الخوارزمي ص 48 ـ الإستيعـاب ج 3 ص 39 تذكـرة السبط 87 مطالب السؤول ص 13 تفسير النيسابوري في سورة الأحقـاف فيض القدير ج 4 ص 357 .

صلّى الله عليه وآله وسلّم عندما قال :

« لأعطين غداً رايتي إلى رجل يحبّ الله ورسولَه ويحبُّه اللّهُ ورسولُه كـرَّارٌ ليس فرّاراً إمتحن الله قلبه للإيمان »[1] .

فتطاول إليها الصحابة فدفعها إلى علي بن أبي طالب .

وباختصار فإن موضوع العلم والقوة والشجاعة التي يَختصّ بهـا الإمام علي - موضـوع معروف لـدى الخاص والعـام ولا يختلف فيه إثنـان - وبقطع النـظر عن النصوص الـدالة عـلى إمامتـه بالتصريـح والتلميـح فـإن القـرآن الكـريم لا يعترف بـالقيادة والإمـامة إلاّ للعـالِم الشجـاع القـوي ، قـال الله سبحانه وتعالى في وجوب إتّباع العلماء .

﴿ أفمن يهـدي إلى الحقّ أحقّ أن يتبّـع أمّن لا يهـدي إلاّ أن يُهـدى فمالكم كيف تحكمون ﴾[2] .

وقال تعالى في وجوب قيادة العالم الشجاع القوي ﴿ قالوا أنّىٰ يكون له الملك علينـا ونحنُ أحقُّ بالملك منـه ولم يؤتَ سعةً من المـال ، قال : إن الله إصـطفاه عليكم وزاده بسـطة في العلم والجسم ، والله يؤتي ملكه من يشـاء والله واسع عليم ﴾[3] .

ولقد زاد الله سبحانه للإمام علي بالنسبة إلى كـل الصحابـة زاده بسطة في العلم فكان بحق « باب مدينة العلم » وكان هو المرجع الوحيد للصحـابة بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وكان الصحابة كلّما عجزوا عن حلّ يقولون « معضلة وليس لها إلاّ أبو الحسن »[4] .

---

(1) صحيح البخاري ج 4 ص 5 وص 12 ج 5 ص 76 و 77 .
صحيح مسلم ج 7 ص 121 باب فضائل علي بن أبي طالب .

(2) سورة يونس آية 35 .

(3) سورة البقرة آية 247

(4) مناقب الخوارزمي ص 58 تذكرة السبط 87 ابن المغازلي ترجمة علي ص 79 .

وزاده بسطة في الجسم فكان بحق أسد الله الغالب وأصبحت قوّته وشجاعته مضرب الأمثال عبر الأجيال حتّى روى المؤرخون فيها قصصاً تقارب المعجزات كاقتلاع باب خيبر وقد عجز عن تحريكه فيما بعد عشرون صحابياً[1] واقتلاع الصنم الأكبر هبل[2] من فوق سطح الكعبة ، وتحويل الصخرة العظيمة التي عجز الجيش كله عن تحريكها[3] وغير ذلك من الروايات المشهورة .

وقد أشاد النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بابن عمّه علي وأبان فضله وفضائله في كل مناسبة وعرّف بخصائصه ومزاياه فمرة يقول :

« إن هذا أخي ووصيّي وخليفتي من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا »[4] .

ومرّة يقول له :

« أنتَ منيّ بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نَبيّ بعدي »[5] .

وأخرى يقول :

« من أراد أن يحيا حياتي ، ويموت موتي ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربي فليتولّ علي بن أبي طالب فإنّه لن يخرجكم من هدى ، ولن يدخلكم في ضلالة »[6] .

والمتتبّع لسيرة الرسول الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم يجده لم يكتفِ بالأقوال والأحاديث فيه فحسب بل إن أقواله تجسّدت في أعماله فلم يؤمِّر في حياته على علي أحداً من الصحابة بالرغم من تأميرهم على بعضهم البعض فقد أمّر على

(1، 2، 3) شرح النهج لابن أبي الحديد في المقدّمة .
(4) تاريخ الطبري ج 2 ص 319 تاريخ ابن الأثير ج 2 ص 62 .
(5) صحيح مسلم ج 7 ص 120 صحيح البخاري في فضائل علي .
(6) مستدرك الحاكم ج 3 ص 128 والطبراني في الكبير .

أبي بكر وعمر في غزوة ذات السلاسل عمرو بن العاص[1] .

كما أمّر عليهم جميعاً شاباً صغيراً وهو أسامة بن زيد وذلك في سرية أسامة قبل مونه صلّى الله عليه وآله وسلّم .

أمّا علي بن أبي طالب فلم يكن في بعث إلا وهو الأمير حتّى أنه صلّى الله عليه وآله وسلّم بعث في مرّة بعثين وأمّر علياً على بعثٍ وخالد بن الوليد على بعثٍ وقال لهم : إذا افترقتُم فكل واحد على جيشه وإذا التقيتُم فعليٌّ على الجيش كلّه .

ونستنتجُ من كلّ ما تقدّم بأنّ عليًّا هو وليّ المؤمنين بعد النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ولا ينبغي لأحدٍ أن يتقدّم عليه .

ولكن مع الأسف الشديد فقد خسر المسلمون خسارة فادحة ، وهم يعانون حتى اليوم ويجنون ثمار ما غرسوه ، وقد عرف الثالون غبَّ ما أسّسه الأولون .

وهل يمكن لأحد أن يتصوّر خلافة راشدة كخلافة علي بن أبي طالب لو إتبعتْ هذهِ الأمة ما اختاره اللّهُ ورسوله فعليٌّ كان بإمكانه أن يقود الأمة طول ثلاثين عاماً على نسق واحد كما قادها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبدون أي تغيير ، ذلك لأن أبا بكر وعمراً غيّرا واجتهدا بأدائهما مقابل النصوص وأصبح فعلهما سنّة متّبعة ، ولمّا جاء عثمان للخلافة غيّر أكثر حتّى قيل أنه خالف كتاب الله وسنّة رسوله وسنّة أبي بكر وعمر وأنكر عليه الصحابة ذلك وقامت عليه ثورة شعبية عارمة أودت بحياته وسببتْ فتنة كبرى في الأمة لم يندمل جراحها حتى الآن .

أمّا علي بن أبي طالب فكان يتقيّد بكتاب الله وسنّة رسوله لا يحيد عنهما قيد أنملةٍ وأكبر شاهد على ذلك أنّه رفض الخلافة عندما إشترطوا عليه أن يُحكمّ مع كتاب الله وسنّة رسوله ، سنّة الخليفتين .

---

(1) السيرة الحلبية غزوة ذات السلاسل وطبقات ابن سعد وكل من ذكر غزوة ذات السلاسل .

ولسائل أن يسأل : لماذا يتقيد علي بكتاب الله وسنة رسوله بينما إضطر أبو بكر وعمر وعثمان للإجتهاد والتغيير ؟

والجواب هو أن علياً عنده من العلم ما ليس عندهم وأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم خصّه بألف باب من العلم يفتح لكل باب ألف باب[1] وقال له :

« أنتَ يا علي تبينْ لأمّتي ما أختلفوا فيه بعدي »[2] .

أمّا الخلفاء فكانوا لا يعلمون كثيراً من أحكام القرآن الظاهرية فضلاً عن تأويله فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما في باب التيمّم بأن رجلاً سأل عمر بن الخطاب أيام خلافته فقال : يا أمير المؤمنين إني أجنبتُ ولم أجد الماء فماذا أصنع ؟ قال له عمر : لا تُصلّ !! وكذلك لم يعرف حكم الكلالة حتى مات وهو يقول وددتُ لو سألتُ رسول الله عن الكلالة بينما حكمها مذكور في القرآن الكريم ، ولذا كان عمر الذي يقول عنه أهل السنّة والجماعة بأنه من الملهمين على هذا المستوى العلمي ، فلا تسأل عن الآخرين الذين أدخلوا البدع في دين الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير سوى إجتهادات شخصية .

ولقائل أن يقول : إذا كان الأمر كذلك فلماذا لم يُبيّن الإمام علي للأمّة ما اختلفوا فيه بعد الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم .

والجواب هو : أنّ الإمام علياً لم يألُ جهداً في تبيين ما أشكل على الأمة وكان مرجع الصحابة في كل ما أشكل عليهم فكان يأتي ويوضّح وينصح فكانوا يأخذون منه ما يُعجبهم وما لا يتعارض مع سياستهم ويدعون ما سوى ذلك والتاريخ أكبر شاهد على ما نقول .

---

(1) كنز العمال ج 6 ص 392 رقم الحديث 6009 وكذلك في حلية الأولياء ينابيع المودة ص 73 و 77 تاريخ دمشق لابن عساكر ج 2 ص 483 .

(2) مستدرك الحاكم ج 3 ص 122 تاريخ دمشق لابن عساكر ج 2 ص 488 .

والحقيقة هي : لولا علي بن أبي طالب والأئمة من ولده لما عرف النّاس معالم دينهم ، ولكنّ النّاس كما أعلمنا القرآن لا يحبّون الحقّ فاتبعوا أهواءهم واخترعوا مذاهب في مقابل الأئمة من أهل البيت الذين كانت الحكومات تحسبُ عليهم أنفاسهم ولا تترك لهم حرّية التحرّك والإتصال المباشر .

فكان علي يصعد على المنبر ويقول للناس : سلوني قبل أن تفقدوني ، ويكفي علياً أن ترك نهج البلاغة ، والأئمة من أهل البيت سلام الله عليهم تركوا من العلم ما ملأ الخافقين وشهد لهم بذلك أئمّة المسلمين سنّة وشيعة ـ

وأعود للموضوع فأقول على هذا الأساس : لو قُدّر لعلي أن يقود الأمّة ثلاثين عاماً على سيرة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لعمّ الإسلام ولتغلغلت العقيدة في قلوب الناس أكثر وأعمق ولمّا كانتْ فتنة صغرى ولا فتنة كبرى ولا كربلاء ولا عاشوراء ، ولو تصوّرنا قيادة الأئمة الأحد عشر بعد علي والذي نصّ عليهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم والذين إمتدتْ حياتهم عبر ثلاث قرون لما بقِيَ في الأرض ديار لغير المسلمين ولكانت الأرض اليوم على غير ما نشاهده اليوم ولكانت حياتنا إنسانية . بمعناها الحقيقي . ولكن قال الله تعالى :

﴿ ألَمَ . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون ﴾[1] وقد فشلت الأمّة الإسلامية في الإمتحان كما فشلتْ الأممُ السّابقة كما نصّ على ذلك رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم[2] في العديد من المناسبات ، كما أكد عليه القرآن الكريم في العديد من الآيات[3] .

---

(1) سورة العنكبوت آية 2 .

(2) كحديث إتباع سنّة اليهود والنصارى شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه . أخرجه البخاري ومسلم وسبقت الإشارة إليه وكحديث الحوض الذي يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا أراه يخلص منهم إلاّ مثل همل النعم .

(3) كقوله تعالى : ﴿ أفإن مات أو قتل إنقلبتم على أعقابكم ﴾ آل عمران : آية 144 .
وكقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وقال الرسول يا ربّ إنّ قومي إتخذوا هذا القرآن مهجوراً . . ﴾ الفرقان آية 30 .

شواهد أخرى على ولاية علي

وكأن الله سبحانه وتعالى أراد أن تكون ولاية علي هي الإختبار للمسلمين فكل إختلاف وقع فبسببها ولأنّه سبحانه لطيفٌ بعباده فلا يؤاخذ التالين بما فعل الأولون فجلّتْ حكمته وحفَّ تلك الحادثة بأحداث أخرى جليلة تشبه المعجزاتْ حتّى تكون حافزاً للأمّة فينقلها الحاضرون ويعتبر بها اللاّحقون عسى أن يهتدوا للحقّ من طريق البحث .

الشاهد الأول : يتعلّق بعقوبة من كذّب بولاية علي وذلك أنه بعد شيوع خبر غدير خم وتنصيب الإمام علي خليفة على المسلمين ، وقول الرسول لهم : فليبلغ الشاهد الغائب .

وصل الخبر إلى الحارث بن النعمان الفهري ولم يُعجبْهُ ذلك[1] فأقبل على رسول الله ، وأناخ راحلته أمام باب المسجد ودخل على النبي صلّى الله عليه وآله

---

(1) يدلّنا على أن هناك من الأعراب الذين يسكنون خارج المدينة يبغضوا علي بن أبي طالب ولا يحبّوه ، كما أنهم لا يحبّون محمّد ولذا ترى هذا الجلف يدخل على النبي فلا يسلم ويناديه يا محمد : وصدق الله إن يقول : ﴿ **الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله** ﴾ .

وسلّم فقال : يا محمّد إنك أمرتنا أن نشهد أن لا إله إلاّ الله وأنك رسول الله فقبلنا منك ذلك ، وأمرتنا أن نصلّي خمس صلوات في اليوم والليلة ونصوم رمضان ، ونحجّ البيت ، ونزكّي أموالنا فقبلنا منك ذلك ، ثم لم ترض بهذا حتّى رفعتَ بضبعي إبن عمّك وفضّلته على النّاس وقُلتَ « من كنتُ مولاه فعلي مولاه » فهذا شيء منك أو من الله ؟

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وقد احمرّتْ عيناه : والله الذي لا إله إلاّ هو إنّه من الله وليس منّي قالها ثلاثاً .

فقام الحارث وهو يقول :

« اللّهم إن كان ما يقول محمد حقًّا فأرسل علينا حجارة من السّماء أو آئتنا بعذاب أليم » .

قال : فوالله ما بلغ ناقته حتّى رماه الله من السماء بحجر فوقع على هامته فخرج من دبره ومات ، وأنزل الله تعالى : ﴿ **سأل سائلٌ بعذابٍ واقع للكافرين ليس له دافعٌ** ﴾ .

وهذه الحادثة نقلها جمع غفير من علماء أهل السنة غير الذين ذكرناهم[1] فمن أراد مزيداً من المصادر فعليه بكتاب الغدير للعلامة الأميني .

---

(1) شواهد التنزيل للحسكاني ج 2 ص 286 .
تفسير الثعلبي في سورة سأل سائل بعذاب واقع .
تفسير القرطبي ج 18 ص 278 .
تفسير المنار رشيد رضا ج 6 ص 464 .
ينابيع المودّة للقندوزي الحنفي ص 328 .
الحاكم في ما استدركه على الصحيحين ج 2 ص 502 .
السيرة الحلبية ج 3 ص 275 .
تذكرة الخواص لابن الجوزي ص 37 .

الشاهد الثاني : يتعلّق بعقوبة من كتَم الشهادة بحادثة الغدير وأصابته دعوة الإمام علي .

وذلك عندما قام الإمام علي أيام خلافته ، في يوم مشهـود إذ جمع النّـاس في الرحبة ونادى من فوق المنبر قائلاً :

« أنشـد الله كل امرىء مسلم سمع رسـول الله صلّى الله عليـه وآلـه وسلّم يقول يوم غدير خم « من كنت مولاه فعلي مولاه » إلاّ قام فشهـد بما سمـع ، ولا يقم إلاّ من رآه بعينيه وسمعه بأذنيه » .

فقام ثلاثون صحابياً منهم ستة عشر بدْريًا ، فشهدوا أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم أخذ بيده ، فقال للناس :

« أتعلمـون أني أولى بالمؤمنـين من أنفسهم ؟ قالـوا : نعم ، فقـال صـلّى الله عليه وآله وسلّم : من كنتُ مـولاه فهذا مـولاه ، اللّهم والِ من ولاه ، وعاد من عاداه . . . » الحديث .

ولكنّ بعض الصّحابة ممّن حضروا واقعة الغدير أقعدهم الحسـدُ أو البُغْض للإمام ، فلم يقوموا للشهـادة ومن هؤلاء أنس بن مالـك ، حيث نزل إليـه الإمام علي من المنبر وقال له : مالك يا أنس لا تقوم مـع أصحاب رسـول الله فتشهد بما سَمعتَهُ منه يـومئذ كـما شهدوا ؟ فقـال : يا أمـير المؤمنين ، كبُـرتْ سنّي ونسيتُ ، فقال الإمام علي : إن كنتَ كاذباً فضربك الله ببيضاء لاَ توَاريها العمامـة ، فما قـام حتّى إبيضّ وجهـه برصـاً ، فكان بعـد ذلك يبكي ويقـول : أصابتني دعـوة العبد الصالح لأنّي كتمتُ شهادته .

وهذه القصّة مشهورة ذكرها ابن قتيبة في كتـاب المعارف[1] حيث عـدّ أنساً من أصحاب العاهات في باب البرص وكذلك الإمام أحمـد بن حنبل في مسنـده[2]

---

(1) كتاب المعارف لابن قتيبة الدينوري ص 251 .

(2) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج 1 ص 119 .

حيث قال : فقاموا إلاّ ثلاثة لم يقوموا فأصابتهم دعوته .

وتجدر الإشارة هنا بأن نذكر هؤلاء الثلاثة الذين ذكرهم الإمام أحمد برواية البلاذري[1] قال بعدها أورد مناشدة الإمام علي للشهادة ، وكان تحت المنبر أنس بن مالك والبراء بن عازب ، وجوير بن عبد الله البجلي ، فأعادها فلم يجبه منهم أحد فقال : اللّهم من كتم هذه الشهادة وهو يعرفها فلا تخرجه من الدنيا حتّى تجعل به آية يُعرف بها . قال : فبرصَ أنس بن مالك ، وعَميَ البراء بن عازب ، ورجع جرير أعرابياً بعد هجرته فأتى الشراة فمات في بيت أمّه .

وهذه القصّة مشهورة تناقلها جمع كبير من المؤرخين[2] .

﴿ فاعتبروا يا أولي الألباب ﴾

والمتتبّع يعرف من خلال هذه الحادثة[3] التي أحياها الإمام علي بعد مرور ربع قرن عليها وبعدما كادتْ تُنسىَ يعرف ما هي قيمة الإمام علي وعظمته ومدى علوّ همّته وصفاء نفسه ، وهو في حين أعطى للصّبر أكثر من حقّه ، ونصح لأبي بكر وعمر وعثمان ما علم أن في نُصحهم مصلحة الإسلام والمسلمين ، كان مع ذلك يحمِلُ في جنباته حادثة الغدير بكلّ معانيها وهي حاضرة في ضميره في كل لحظات حياته فما إن وجد فرصة سانحة لبعثها وإحيائها من جديد حتّى حمل غيره

---

(1) أنساب الأشراف للبلاذري في جزئه الأول وج 2 ص 152 .

(2) تاريخ ابن عساكر المسمّى بتاريخ دمشق ج 2 ص 7 وج 3 ص 150 .
* شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد تحقيق محمد أبو الفضل ج 19 ص 217 .
* عبقات الأنوار ج 2 ص 309 .
* مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي ص 23 .
* السيرة الحلبية ج 3 ص 337 .

(3) وهو مناشدة الإمام علي يوم الرحبة الصحابة ليشهدوا بحديث الغدير وقد روى هذه الحادثة جمع غفير من المحدّثين والمؤرخين سبق الإشارة إليهم أمثال : أحمد بن حنبل وابن عساكر . وابن أبي الحديد وغيرهم .

للشّهادة بها على مسمع ومرأى من النّاس .

وانظر كيف كانت طريقة إحياء هذه الذكرى المباركة وما فيها من الحكمة البالغة لإقامة الحجّة على المسلمين من حَضر منهم الواقعة ومن لم يحضر ، فلو قال الإمام : أيها الناس لقد أوصىٰ بي رسول الله في غدير خم على الخلافة ، لما كان لذلك وقعاً في نفوس الحاضرين ولاحتجوا عليه عن سكوته طوال تلك المدّة .

ولكنّه لما قال : أنشد الله كل إمرىءٍ مسلم سمع رسول الله يقول ما قال يوم غدير خم ، إلاّ قام فشهد ، فكانت الحادثة منقولة بحديث رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على لسان ثلاثين صحابياً منهم ستّة عشر بدريّاً وبذلك قطع الإمام الطريق على المكذّبين والمشكّكين وعلى المحتجّين عن سكوته طوال تلك المدّة ، لأنّ في سكوت هؤلاء الثلاثين معه وهم من عظماء الصحابة لدليل كبير على خطورة الموقف وعلى أنّ السكوت فيه مصلحة الإسلام كما لا يخفى .

رأينـا فيما سبق بـأنّ الخلافـة على قـول الشيعة هي بـاختيار الله سبحـانـه ، وتعيين رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بعد وحي يوحي به إليه .

وهذا القول يتماشى تماماً مع فلسفة الإسلام في كلّ أحكامه وتشريعاته إذ أنّ الله سبحانه هو الذي **﴿ يخلق ما يشاء ويختار ، ما كان لهم الخيرة ﴾**[1] .

وبمـا أنّ الله سبحانـه أراد أن تكون أمّـة محمد خـير أمّة أخـرجت للنّـاس ، فلا بدّ لها من قيادة حكيمة ، رشيدة ، عالمة ، قويّة ، شجاعة ، تقيـة ، زاهدة ، في أعـلى درجات الإيمـان ، وهذا لا يتـأتّى إلاّ لمن إصطفـاه الله سبحانـه وتعـالى ، وكيّفه بميزات خاصّة تؤهله للقيادة والزعامة : قال الله تعالى : **﴿ الله يصـطفي من الملائكة رسلاً ومن النّاس إن الله سميع بصير ﴾**[2] .

وكما أنّ الأنبياء إصطفاهم الله سبحانه فكذلك الأوصياء . وقد قـال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم :

---

(1) سورة القصص آية 68 .

(2) سورة الحج آية 75 .

« لكل نبي وصي ، وأنا وصيّي علي بن أبي طالب »[1] .

وفي حديث آخر قال صلّى الله عليه وآله وسلّم :

« أنا خاتم الأنبياء وعلي خاتم الأوصياء »[2] .

وعلى هذا الأساس فإن الشيعة سلّموا أمرهم لله ورسوله ، ولم يبق منهم من يدّعِ الخلافة لنفسه أو يطمع فيها ، لا بالنّص ولا بالإختيار ، أولاً لأن النّص ينفي الإختيار والشورى وثانياً لأن النّص قد وقع من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على أشخاص معدودين ومعيّنين[3] بأسمائهم ، فلا يتطاول إليها منهم متطاول وإن فعل فهو فاسقٌ خارج عن الدّين .

أمّا الخلافة عند أهل السنّة والجماعة فهي بالإختيار والشورى وبذلك فتحوا الباب الذي لا يمكن غلقه على أي واحد من الأمّة وأطمعوا فيها كل قاص ودان ، وكل غثٍ وسمين ، وحتّى تحوّلت من قريش إلى الموالي والعبيد وإلى الفرس والمماليك وإلى الأتراك والمغول .

وتبخّرتْ تلك القيم والشروط التي اشترطوها في الخليفة لأنّ غير المعصوم بشر مليء بالعاطفة والغرائز ، وبمجرّد وصوله إلى الحكم لا يؤمن أن ينقلب ويكون أسوأ ممّا كان والتاريخ الإسلامي خير شاهد على ما نقول .

وأخشى أن يتصور بعض القرّاء بأنّني أبالغ ، فما عليهم إلاّ أن يتصفّحوا تاريخ الأمويين والعباسيين وغيرهم حتّى يعرفوا بأن من تَسَمّى أمير المؤمنين كان يتجاهر بشرب الخمر ويلاعب القرود ويلبسهم الذهب وأنّ (أمير المؤمنين) يُلبس جاريتهُ لباسَه لتصلّي بالمسلمين ، وأن (أمير المؤمنين) تموت جاريته حبّابَة فيسلبُ

---

(1) تاريخ ابن عساكر الشافعي ج 3 ص 5 مناقب الخوارزمي ص 42 ينابيع المودّة ص 79 .

(2) ينابيع المودّة ج 2 ص 3 نقلاً عن الديلمي ـ المناقب للخوارزمي ـ ذخائر العقبى .

(3) روى العدد البخاري ومسلم وروى العدد والأسماء صاحب ينابيع المودة ج 3 ص 99 .

عقلهُ وأن (أمير المؤمنين) يطربُ لشاعر فيقبّل ذكره . ولماذا نستغرق في هؤلاء الذين حكم المسلمون بأنهم لا يمثلون إلاّ الملك العضوض ولا يمثلون الخلافة وذلك للحديث الذي يروونه وهو قول الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم :

« الخلافة من بعدي ثلاثون عاماً ثم تكون ملكاً عضوضاً » .

وليس هذا موضوع بحثنا فمن أراد الإطلاع علىٰ ذلك فعليه مراجعة تاريخ الطبري وتاريخ ابن الأثير وأبي الفداء وابن قتيبة وغيرهم .

وإنّما أردتُ بيان مساوي الإختيار وعقم النظرية من أساسها لأنّ من نختاره اليوم قد ننقم عليه غداً ويتبينّ لنا بأنّنا أخطأنا ولم نُحسن الإختيار ـ كما وقع ذلك لعبد الرحمن بن عوف نفسه عندما إختار للخلافة عثمان بن عفّان وندم بعد ذلك ، ولكن ندمه لم يُفد الأمة شيئاً بعد توريطها ، وإذا كان صحابي جليل من الرّعيل الأول وهو عثمان لا يفي بالعهد الذي أعطاه لعبد الرحمن بن عوف ، وإذا كان صحابي جليل من الرّعيل الأول وهو عبد الرحمن بن عوف لا يُحسن الإختيار ، فلا يمكنُ لعاقل بعد ذلك أن يرتاح لهذه النظرية العقيمة ، والتي ما تولّد عنها إلاّ الإضطراب وعدم الإستقرار وإراقة الدّماء ، فإذا كانت بيعة أبي بكر فلتةً كما وصفها عمر بن الخطاب وقد وقى الله المسلمين شرّها ، وقد خالف وتخلّف عنها جمع غفير من الصحابة ، وإذا كانت بيعة علي بن أبي طالب بعد ذلك على رؤوس الملأ ولكنّ بعض الصحابة نكث البيعة ، وانجرّ عن ذلك حرب الجمل ، وحرب صفين ، وحرب النهروان ، وزهقت فيها أرواح بريئة ، فكيف يرتاح العُقلاء بعد ذلك لهذه القاعدة التي جُرّبتْ وفشلتْ فشلاً ذريعاً من بدايتها وكانتْ وبالاً على المسلمين . وبالخصوص إذا عرفنا أنّ هؤلاء الذين يقولون بالشورى يختارون الخليفة ولا يقدرون بعد ذلك على تبديله أو عزله ، وقد حاول المسلمين جهدهم عزل عثمان فأبى قائلاً : لا أنزع قميصاً قمّصنيه الله .

وممّا يزيدنا نفوراً من هذه النظرية ، ما نراه اليوم في دول الغرب المتحضّرة والتي تزعم الديمقراطية في إختيار رئيس الدولة ، وترى الأحزاب المتعدّدة تتصارع وتتساوم وتتسابق للوصول إلى منصّة الحكم بأي ثمن ، وتصرف من أجل ذلك

البلايين من الأموال التي تخصّص للدّعاية بكلّ وسائلها وتُهدر طاقات كبيرة على حساب المستضعَين من الشعب المسكين الذي قد يكون في أشد الحاجة إليها ، وما أن يصل أحدُهم إلى الرئاسة حتّى تأخذه العاطفة فيُولّي أنصاره وأعضاء حزبه وأصدقاءه وأقاربه في مناصب الوزراء والمسؤوليات العظمى والمراكز المهمّة في الإدارة ويبقى الآخرون يعملون في المعارضة مدّة رئاسته المتفق عليها أيضاً فيخلقون له المشاكل والعراقيل ويحاولون جهدهم فضحهُ والإطاحة به ، وفي كل ذلك خسارة فادحة للشعب المغلوب على أمره ، فكم من قيم إنسانية سقطتْ ، وكم من رذائل شيطانية رُفِعتْ باسم الحرية والديمقراطية وتحت شعارات برّاقة ، فأصبح اللواط قانوناً مشروعاً والزنا بدلاً من الزواج تقدّماً ورُقيّاً وحدّث في ذلك ولا حرج .

فما أعظم عقيدة الشيعة في القول بأن الخلافة أصل من أصول الدّين ، وما أعظم قولهم بأن هذا المنصب هو باختيار الله سبحانه ، فهو قولٌ سديدٌ ورأيٌ رشيد يقبله العقل ويرتاح إليه الضمير ، وتؤيده النصوص من القرآن والسنّة ، ويُرغم أنوف الجبابرة والمتسلّطين ، والملوك والسلاطين ، ويفيض على المجتمع السكينة والإستقرار .

الاختلاف في الثقلين

عرفنا في ما سبق ومن خلال الأبحاث المتقدّمة رأي الشيعة وأهل السنّة في الخلافة وما فعله الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم تجاه الأمّة على قول الفريقين .

فهل ترك رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لأمّته شيئاً ؟ تعتمد عليه وترجع إليه فيما قد يقع فيه الخلاف الذي لا بدّ منه والذي سجّله كتاب الله بقوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسولَ وأولي الأمر منكم ، فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرّسول إن كنتُم تُؤمنُون بالله واليوم الآخر ذلك خيرٌ وأحسنُ تأويلاً ﴾[1] .

نعم ، لا بدّ للرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يترك للأمة قاعدة ترتكز عليها ، فهو إنّما بُعث رحمة للعالمين ، وهو حريصٌ على أن تكون أمّته خير الأمم ولا تختلف بعده ولهذا روى عنه أصحابه والمحدّثون بأنه قال :

« تركتُ فيكم الثقلين ، ما إن تمسكتم بهما ، لن تضلوا بعدي أبداً ، كتاب

---

(1) سورة النساء آية 59 .

الله وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما »[1] .

وهذا الحديث صحيح ثابتٌ أخرجه المحدّثون من الفريقين السنّة والشيعة . ورووه في مسانيدهم وفي صحاحهم عن طريق ما يزيد على ثلاثين صحابياً .

وبما أنني وكالعادة لا أحتجّ بكتب الشيعة ولا بأقوال علمائهم فكان لزاماً عليَّ أن أذكر فقط علماء السنّة الذين أخرجوا حديث الثقلين معترفين بصحّته حتى يكون البحث دائماً موضوعياً يتصف بالعدل والإنصاف (وإن كان العدل والإنصاف يقتضي ذكر قول الشيعة أيضاً) .

وهذه قائمة وجيزة عن رواة هذا الحديث من علماء السنّة :

1 ـ صحيح مسلم كتاب فضائل علي بن أبي طالب ج 7 ص 122 .
2 ـ صحيح الترمذي ج 5 ص 328 .
3 ـ الإمام النسائي في خصائصه ص 21 .
4 ـ الأمام أحمد بن حنبل ج 3 ص 17 .
5 ـ مستدرك الحاكم ج 3 ص 109 .
6 ـ كنز العمّال ج 1 ص 154 .
7 ـ الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 194 .
8 ـ جامع الأصول لإبن الأثير ج 1 ص 187 .
9 ـ الجامع الصغير للسيوطي ج 1 ص 353 .
10 ـ مجمع الزوائد للهيثمي ج 9 ص 163 .
11 ـ الفتح الكبير للنبهاني ج 1 ص 451 .
12 ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ج 2 ص 12 .
13 ـ تاريخ ابن عساكر ج 5 ص 436 .

(1) مستدرك الحاكم ج 3 ص 148 .

14 ـ تفسير ابن كثير ج 4 ص 113 .
15 ـ التاج الجامع للأصول ج 3 ص 308 .

أضف إلى هؤلاء إبن حجر الذي ذكره في كتابه الصواعق المحرقة معترفاً بصحّته ـ والذّهبي في تلخيصه معترفاً بصحّته على شرط الشيخين ـ والخوارزمي الحنفي ـ وابن المغازلي الشافعي والطبراني في معجمه ، وكذلك صاحب السيرة النبوية في هامش السيرة الحلبية وصاحب ينابيع المودّة وغيرهم . . .

فهل يجوز بعد هذا أن يدّعي أحد أنّ حديث الثقلين « كتاب الله وعترتي » لا يعرفه أهل السنّة وإنّما هو من موضوعات الشيعة ؟؟ قاتل الله التعصّب والجمود الفكري والحميّة الجاهلية .

إذن ، فحديث الثقلين الذي أوصى فيه صلّى الله عليه وآله وسلّم بالتمسّك بكتاب الله وعترته الطاهرة ، هو حديث صحيح عند أهل السنّة كما مرّ علينا وعند الشيعة هو أكثر تواتُراً وسنداً عن الأئمة الطاهرين .

فلماذا يشكك البعض في هذا الحديث ويحاولون جهدهم أن يبدّلوه « بكتاب الله وسنّتي » ورغم أنّ صاحب كتاب « مفتاح كنوز السنّة » يخرج في صفحة 478 بعنوان «وصيّته (ص) بكتاب الله وسنّة رسوله » نقلاً عن البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجة غير أنّك إذا بحثتَ في هؤلاء الكتب الأربعة المذكورة فسوف لن تجد إشارة من قريب أو من بعيد إلى هذا الحديث ـ نعم قد تجد في البخاري « كتاب الإعتصام بالكتاب والسنّة »[1] ولكنّك لا تجد لهذا الحديث وجوداً .

وغايةُ ما يوجدُ في صحيح البخاري وفي الكتب المذكورة حديث يقول : « حدّثنا طلحة بن مُصرّف قال : سألتُ عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما ، هل كان النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أوصى ؟ فقال : لا ، فقلتُ : كيفَ كُتِبَ على

---

(1) صحيح البخاري ج 8 ص 137 .

النّاس الوصيّةُ أو أُمرُوا بالوصيّةِ ؟ قال : أوصَى بكتاب الله »[1] .

ولا وجـود لحديث لـرسول الله يقـول فيه « تـركتُ فيكم الثقلين كتـاب الله وسنّتي » وحتّى على فرض وجود هذا الحـديث في بعض الكتب فلا عـبرة به ، لأنّ الإجماع على خلافه كما تقدّم

ثم لوْ بحثنا في حديث « كتاب الله وسنّتي » لوجدناه لا يستقيمُ مع الواقع ، لاَ نقلاً ولاَ عقلاً ، ولنا في ردّه بعض الوجوه .

الوجه الأول : إتفق المؤرخـون والمحدّثـون بأنّ رسـول الله صلّى الله عليـه وآله وسلّم منع من كتابه أحاديثه ، ولم يدّع أحد أنّـه كان يكتب السنّـة النّبويـة في عهده صلّى الله عليه وآله وسلّم ، فقول الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم تـركتُ فيكم « كتاب الله وسنّتي » لاَ يستقيم ـ أمّا بالنسبة لكتاب الله فهو مكتوب ومحفوظ في صـدور الرّجـال وبإمكـان أي صحـابي الـرجـوع إلى المصحف ولـو لم يكن من الحفّاظ .

أمّا بالنّسبة للسنّة النّبوية فليس هناك شيء مكتوب أو مجموعٌ في عهده صـلّى الله عليه وآله وسلّم فالسنّة النّبوية كما هو معلوم ومتّفق عليه ، كل ما قاله الرسول أو فعله أو أقـرّهُ ، ومن المعلوم أيضاً أنّ الـرسول لم يكن يجمـع أصحابـه ليعلّمهم السنّة النّبوية ـ بل كان يتحدّث في كل مناسبة وقد يحضر بعضهم وقد لا يكون معه إلاّ واحـد من أصحابـه فكيف يمكن للرّسول والحـال هذه ، أن يقـول لهم تـركتُ فيكم سنّتي ؟؟

الوجه الثاني : لّما إشتدّ برسول الله وجعه وذلك قبل وفاته بثلاثة أيـام طلب منهم أن يأتوه بالكتف والدّواة ليكتُب لهم كتاباً لا يضلّوا بعده أبداً ، فقال عمر بن

---

(1) صحيح البخاري ج 3 ص 186 .
صحيح الترمذي كتاب الوصايا .
صحيح مسلم كتاب الوصايا .
صحيح ابن ماجه كتاب الوصايا .

الخطاب إن رَسول الله ليهجر وحسبُنا كتاب الله ![1] .

فلو كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم قد قال لهم من قبل تركتُ فيكم « كتاب الله وسنّتي » لما جاز لعمر بن الخطاب أن يقول : حسبُنا كتاب الله ! ، لأنّه بذلك يكون هو والصحابة الذين قالوا بمقالته رَادّين على رسول الله ولاَ أظنّ أنّ أهل السنّة والجماعة يرضون بهذا .

ولذلك فهمنا أن الحديث وضعه بعض المتأخرين الذين يعادون أهل البيت وخصوصاً بعد إقصائهم عن الخلافة ، وكأنّ الذي وضع حديث « كتاب الله وسنّتي » إستغرب أن يكون النّاس تمسّكوا بكتاب الله وتركوا العترة واقتدوا بغيرهم ، فظنّ أنّه باختلاق الحديث سيصحّح مسيرتهم ويُبعدُ النقدَ والتجريح عن الصحابة الذين خالفوا وصية رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم .

الوجه الثالث : من المعروف أنّ أول حادثة إعترضت أبا بكر في أوائل خلافته هي قراره محاربة مانعي الزكاة ، رغم معارضة عمر بن الخطاب له واستشهاده بحديث رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم :

« من قال لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله عصم منيّ ماله ودمه إلاّ بحقها وحسابه على الله » .

فلو كانت سنّة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم معلومة ما كان أبو بكر يجهَلها وهو أولى النّاس بمعرفتها .

ولكنّ عمر بعد ذلك إقتنع بتأويل أبي بكر للحديث الذي رواه وقول أبي بكر بأن الزكاة هي حق المال ، ولكنّهم غفلوا أو تغافلوا عن سنّة الرسول الفعلية التي لا تقبل التأويل وهي قصّة ثعلبة الذي إمتنع عن دفع الزكاة لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ونزل فيه قرآن ولم يقاتله رسول الله ولا أجبره على دفعها وأين

---

(1) صحيح البخاري باب مرض النبي ووفاته ج 5 ص 138 .
صحيح مسلم كتاب الوصية ج 2 ص 16 .

أبو بكر وعمر من قصة أسامة بن زيد الذي بعثه رسول الله في سرية ، ولمّا غشيَ القوم وهزمهم لحق رجلاً منهم فلما أدركه قال : لا إله إلاّ الله ! فقتله أسامة ، ولما بلغ النبي ذلك قال : يا أسامة أقتلته بعدما قال لا إله إلاّ الله ؟ قال : كان متعوّذاً . فما زال يكررها حتى تمنّيتُ أني لم أكن أسلمتُ قبل ذلك اليوم[1] .

ولكن هذا لا يمكن أن نصدّق بحديث « كتاب الله وسنّتي » لأنّ الصحابة أوّل من جهل السنّة النبوية فكيف بمن جاء بعدهم وكيف بمن بَعُد مسكنُه عن المدينة ؟

الوجه الرابع : من المعروف أيضاً أنّ كثيراً من أعمال الصحابة بعد الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم كانت مخالفة لسنّته .

فإمّا أن يكون هؤلاء الصحابة يعرفون سنّته صلّى الله عليه وآله وسلّم وخالفوها عمداً ، إجتهاداً منهم في مقابل نصوص النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وهؤلاء ينطبق عليهم قول الله سبحانه وتعالى : **﴿ ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً ﴾**[2] .

وأمّا أنهم كانوا يجهلون سنّته صلّى الله عليه وآله وسلّم فلا يحق لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم والحال هذه أن يقول لهم تركتُ فيكم سنّتي وهو يعلمُ أن أصحابه وأقرب النّاس إليه لم يحيطوا بها علماً فكيف بمن يأتي بعدهم ولم يعرفوا ولم يشاهدوا النّبي .

الوجه الخامس : من المعلوم أيضاً أنّه لم تدوّن السنّة إلاّ في عهد الدّولة العبّاسية وأنّ أوّل كتاب كُتبَ في الحديث هو موطأ الإمام مالك ، وذلك بعد الفتنة الكبرى ، وبعد واقعة الحرّة واستباحة المدينة المنوّرة ، وقتل الصحابة فيها صبراً ،

---

(1) صحيح البخاري ج 8 ص 36 وكتاب الديات .
وصحيح مسلم أيضاً ج 1 ص 67 .
(2) سورة الأحزاب آية 36 .

فكيف يطمئنّ الإنسان بعد ذلك إلى روّاة تقرّبوا للسلطان لنيل الدنيا ـ ولذلك إضطربتْ الأحاديث وتناقضت وانقسمتْ الأمة إلى مذاهب ، فما ثبت عند هذا المذهب لم يثبتْ عند غيره وما صحّحه هذا يكذّبه ذاك .

فكيفَ نُصّدق بأنّ رسول الله قالَ تركتُ « كتاب الله وسنّتي » وهو الذي كان يعلمُ بأنّ المنافقين والمنحرفين سوف يكذبون عليه ، وقد قال :

« كثرتْ عليّ الكذّابة فمن كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النّار[1] .

فإذا كانت الكذّابة قد كثرت في حياته فكيف يُكلّف أمّتهُ باتّباع سنّته ، وليس لهم معرفة بصحيحها من سقيمها وغثها من سمينها .

الوجه السادس : يروي أهل السنّة والجماعة في صحاحهم بأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ترك ثقلين ، أو خليفتين ، أو شيئين ، فمرة يروون كتاب الله وسنّة رسوله ، ومرّة يروون عليكم بسنّتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ، ومعلوم بالضرورة أنّ الحديث التّالي يضيف إلى كتاب الله وسنّة رسوله ، سنة الخلفاء فتصبح مصادر التشريع ثلاثة بدلاً من إثنين وكل هذا يتنافى مع حديث الثقلين الصحيح والمتّفق عليه من السنّة والشيعة ، ألا وهو « كتاب الله وعترتي » والذي قدّمنا في ذكره أكثر من عشرين مصدراً من مصادر أهل السنّة الموثوقة فضلاً عن مصادر الشيعة التي لم نذكرها .

الوجه السابع : إذا كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يعلَمُ علم اليقين بأنّ أصحابه الذين نزل القرآنُ بلغتهم ولهجاتهم (كما يقولون) ـ لم يعرفوا كثيراً من تفسيره ولا تأويله ، فكيف بمن يأتي بعدهم وكيف بمن يعتنق الإسلام من الروم والفرس والحبش وكل الأعاجم الذين لا يفهمون العربية ولا يتكلّمونها .

وقد ثبت في الأثر أنّ أبا بكر سُئِل عن قوله تعالى : ﴿ **وفاكهة وأبًا** ﴾

---

(1)

فقال : أي سماء تظلّني وأي أرض تقلّني أن أقول في كتاب الله لما لا أعْلم[1] كما أنّ عمر بن الخطاب أيضاً لم يعرف هذا المعنى فعن أنس بن مالك قال : إن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر :

« فأنبتنا فيها حبّاً وعنباً وقضباً وزيتوناً ونخلاً وحدائق غُلباً وفاكهة وأبّاً » .

قال : كل هذا عرفناه فما الأب ؟ ثم قال هذا لعمر الله هو التكلّف ، فما عليك أن لا تدري ما الأب ، إتّبعوا ما بُيّن لكم هداه من الكتاب فاعملوا به وما لم تعرفوه فكلوه إلى ربّه »[2] .

وما يقالُ هنا في تفسير كتاب الله يقالُ هناك في تفسير السنّة النبويّة الشريفة فكم من حديث نبوي بقِيَ موضوع خلاف بين الصّحابة وبين المذاهب وبين السنّة والشيعة سواء كان الخلاف ناتجاً عن تصحيح الحديث أو تضعيفه ، أم عن تفسير الحديث وفهمه ، وللتوضيح أقدّم للقارىء الكريم بعض الأمثلة عن ذلك .

1 ـ الخلاف بين الصحّابة في صحة الحديث أو كذبه :

هذا ما وقع لأبي بكر في أول أيامه عندما جاءته فاطمة الزهراء تطالبه بتسليم فدك التي أخذها منها بعد وفاة أبيها فكذّبها فيما إدّعته من أنّ أباها رسول الله أنحلها إياها في حياته كما أنها لما طالبته بميراث أبيها ، قال لها بأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال : نحن معشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة » .

فكذّبته هي الأخرى في نسبة هذا الحديث لأبيها وعارضة بكتاب الله واشتدّ

---

(1) القسطلاني في إرشاد الساري ج 10 ص 298 ـ وابن حجر في فتح الباري ج 13 ص 230 .

(2) تفسير ابن جرير ج 3 ص 38 وكنز العمال ج 1 ص 287 .
الحاكم في المستدرك ج 2 ص 14 والذهبي في تلخيصه والخطيب في تاريخه ج 11 ص 468 .
الزمخشري في تفسيره الكشاف ج 3 ص 253 والخازن في تفسيره ج 4 ص 374 .
ابن تيمية في مقدمة أصول التفسير ص 30 تفسير ابن كثير ج 4 ص 473 .

النزاع والخلاف حتّى ماتت وهي غاضبة عليه مهاجرة لـه لا تكلمه ـ كـما ورد ذلك في صحيحي البخاري ومسلم .

كـذلك إختلاف عائشة أمّ المؤمنين مـع أبي هريـرة في الذي يصبـحُ جنباً في رمضان فكانت ترى صحّة ذلك بينما يـرى أبو هـريرة أنّ من أصبـح جنباً أفـطر . وإليك القصّة بالتفصيل .

أخرج الإمام مالك في الموطأ والبخـاري في صحيحه عن عـائشة وأم سلمـة زوجي النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أنهما قالتا كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يُصبحُ جُنباً من جمـاع غير إحتـلام في رمضان ثم يصـومُ ، وعن أبي بكر بن عبد الرحمٰن قال كنتُ أنا وأبي عند مروان بن الحكم وهو أمير المدينة فذُكرَ له أنّ أبا هـريرة يقـول من أصبح جُنبـاً أفطر ذلـك اليوم فقـال مروان : أقسمتُ عليـك يا عبد الرحمٰن لتذهبنّ إلى أُمَّي المؤمنين عائشة وأم سلمة فلتسألنّهما عن ذلك فـذهب عبد الرحمٰن وذهبتُ معه حتّى دخلنا على عائشة فسلّم عليها ثم قال : يا أمّ المؤمنين إنا كنّا عند مروان بن الحكم فذُكِرَ له أنّ أبا هريرة يقول من أصبح جُنباً أفطر ذلك اليوم قالتْ عائشة : ليسَ كما قال أبو هريرة يا عبد الرحمٰن أترغب عمّا كـان رسول الله يصنع ، فقال عبد الرحمٰن لا والله . قالت عائشة فأشهد على رسـول الله صلّى الله عليـه وآله وسلّم أنـه كان يصبـحُ جُنباً من جمـاع غير إحتـلام ثم يصومُ ذلـك اليوم ، قال ثم خرجنا حتّى دخلنا على أمّ سلمـة فسألهـا عن ذلك فقـالت مثل مـا قالت عائشة . قال فخرجنا حتّى جئنـا مروان بن الحكم فـذكر لـه عبد الـرحمٰن ما قـالتا ، فقـال مروان : أقسمتُ عليـك يا أبـا محمـد لـتركبنّ دابّتي فـإنها بـالبـاب فلتذهبنّ إلى أبي هريرة فإنه بأرضـه بالعقيق فلتُخبـرنّه ذلـك ، فركب عبـد الرحمٰن وركبتُ معه حتّى أتينا أبا هريرة فتحدّث معـه عبد الـرحمٰن ساعـة ثم ذكر لـه ذلك فقال له أبو هريرة : لا عِلْمَ لي بذاك إنما أخبرنيه مُخبِرٌ[1] .

أنظر أخي القارىء إلى صحابي مثل أبي هـريرة الـذي هو عنـد أهل السنّـة

---

(1) صحيح البخاري ج 2 ص 232 باب الصائم يصبح جنباً .
موطأ مالك تنوير الحوالك ج 1 ص 272 (ما جاء في الذي يصبح جنباً في رمضان) .

راوية الإسلام كيف يفتي بأحكام دينية على الظنّ وينسبها إلى الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو لا يعلمُ حتّى من أخبره بها .

قصّة أخرى لأبي هريرة يتناقضُ فيها مع نفسه

روى عبد الله بن محمد حدّثنا هشام بن يوسف أخبرنا معمر عن الزهري عن أبي مسلَمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لاَ عدوى ولا صفر ولا هامة ، فقال أعرابيٌّ يا رسول الله فما بالُ الإبلِ تكونُ في الرّمْلِ كأنها الظّباء فيخالطها البعير الأجربُ فيُجربها فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فمنْ أعدى الأوّلَ .

وعن أبي سلمة سمعَ أبا هريرة بعدُ يقولُ قال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لاَ يورِدنّ ممرِضٌ على مُصِحّ ، وأنكرَ أبو هريرة حديثه الأوّل قلنَا : ألم تحدّث أنّه لا عدْوَى فرَطَنَ بالحبشيّةِ قال أبو سلمة فما رأيته نسيَ حديثاً غيره . . . [1] .

* فهذه أيها القارىء اللبيب سنّة الرسول ، أو قل ما يُنسبُ للرسول فمرة يقول أبو هريرة إنه لا علم له بحديثه الأول وإنّما أخبره مُخْبرٌ ومرّة أخرى عندما يجابهوه بتناقضه لا يجيبهم بشيءِ وإنّما يَرطنُ بالحبشية حتّى لا يفهمه أحد .

خلاف عائشة وابن عمر

روى ابن جريج قال سمعتُ عطاء يُخبرُ قالَ أخبرني عروةُ بن الزبير قال كنتُ أنا وابن عُمَر مستندين إلى حجرة عائشة وإنا لنسمع ضربها بالسوّاك تستنّ قال فقلتُ يا أبا عبد الرحمٰن اعتمر النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في رجب قال نعم ، فقلتُ لعائشة أي أمّتاه ألاَ تسمعين ما يقولُ أبو عبد الرحمٰن قالت وما يقولُ ؟ قلتُ يقولُ إعتمر النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في رجب ، فقالت : « يغفِر الله لأبي عبد الرحمٰن لعمري ما اعتمرَ في رجب وما اعتمر من عمرة إلاّ وإنّه

(1) صحيح البخاري ج 7 ص 31 (باب لا هامة) .
صحيح مسلم ج 7 ص 32 (باب لا عدوى ولا طيرة) .

لَعَهُ » قال وابن عمر يَسْمَعُ فما قال لاَ ولا نعمْ سكتَ[1] .

2 ـ اختلاف المذاهب في السنّة النبوية

فإذا كان عمر وأبو بكر يختلفان في سنّـة النبي[2] صلّى الله عليـه وآله وسلّم وإذا كان أبو بكر يختلف مع فاطمة في السنّة النبوية[3] وإذا كان أزواج النبي صـلّى الله عليه وآله وسلّم يختلفن في سنة النبي[4] صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وإذا كـان أبو هريرة يتناقض ويختلف مع عائشة في السنّة النبوية[5] وإذا كان ابن عمر يختلف مـع عائشـة في سنّة النبي[6] وإذا كـان عبد الله بن عبّـاس وابن الزبـير يختلفان في السنّـة النبويـة[7] وإذا كان عـلي بن أبي طالب وعثـمان بن عفّان يختلفـان في السنة النبوية[8] وإذا كـان الصحابـة يختلفون في مـا بينهم في السنّة النبـوية[9] حتى كـان للتـابعين من بعـدهم أكثر من سبعـين مذهبـاً فكان إبن مسعـود صاحب مـذهب وكذلك ابن عمر ـ وابن عباس ـ وابن الزبير ـ وابن عيينـة ـ وابن جريـج والحسن البصري وسفيان الثوري ، ومالك وأبو حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبـل وغيرهم كثير ، ولكن المتغيرات السيـاسية قضتْ عـلى الجميع ولم تُبقِ إلا المـذاهب الأربعة المعروفة عند أهل السنّة والجماعة .

---

(1) صحيح مسلم ج 3 ص 61 صحيح البخاري ج 5 ص 86 .

(2) إشارة إلى إختلافهما في محاربة مانعي الزكاة وقد أشرنا إلى المصادر فارجع إليها .

(3) إشارة إلى قصّة فدك وحديث نحن معشر الأنبياء لا نورث ، أشرنا إلى المصادر .

(4) إشارة إلى قصّة رضاعة الكبـير التي روتها عـائشة وخـالف عنها أزواج النبي صـلى الله عليه وآله وسلّم .

(5) إشارة إلى رواية يصبح النبي جنباً ويصوم والذي كذبته عائشة .

(6) إشـارة إلى رواية إعتمـر النبي صلى الله عليـه وآله وسلّم أربعـاً إحداهن في رجب وكـذّبته عائشة .

(7) إشارة إلى إختلافهما في حلّية المتعة وتحريمها (أنظر البخاري ج 6 ص 129) .

(8) إشارة إلى إختلافهما في متعة الحج (أنظر البخاري ج 2 ص 153) .

(9) في البسملة وفي الـوضوء وفي صـلاة المسافـر وفي الكثير من المسـائـل الفقهيـة التي لا يمكن حصرها .

ورغم قلّة عدد المذاهب إلاّ أنهم يختلفون في أغلب المسائل الفقهية وذلك من أجل إختلافهم في السنّة النبويّة فقد يبني أحدهم حكمه في مسألةٍ طبق ما صحّحه من حديث الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم بينما يجتهد غيره برأيه أو يقيس على مسألةٍ أُخرى لفقدان النّص والحديث .

3 ـ إختلاف السنّة والشيعة في السنّة النبوية

أمّا إختلاف السنّة والشيعة في هذه المسألة فقد يكون لسببين رئيسيّين . أحدهما عدم صحّة الحديث عند الشيعة إذا كان أحد الرّواة من المطعون في عدالته ولو كان من الصحّابة . إذ أنّ الشيعة لا يقولون بعدالة الصحابة أجمعين كما هو الحال عندَ أهل السنّة والجماعة .

أضف إلى ذلك أنّهم يرفضون الحديث إذا تعارض مع رواية الأئمة من أهل البيت ، فهم يقدّمون رواية هؤلاء على غيرهم مهما عَلتْ مرتبتهم ـ ولهم في ذلك أدلّة من القرآن والسنّة ثابتة حتّى عند خصومهم ، وقد سبق الإشارة إلى بعضها .

أمّا السبب الثاني في الإختلاف بينهما فهو ناتجٌ عن مفهوم الحديث نفسه إذ قد يفسّره أهل السنّة والجماعة على غير تفسير الشيعة ـ كالحديث الذي سبق أن أشرنا إليه وهو قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم :

« إختلاف أمّتي رحمة » .

إذ يفسّره أهل السنّة والجماعة بأنّ في إختلاف المذاهب الأربعة في الأمور الفقهية رحمة للمسلمين .

بينما يفسّره الشيعة بالسفر إلى بعضهم البعض والإعتناء بأخذ العلم ونحوه من الفوائد .

أو قد يكون الإختلاف بين الشيعة وأهل السنّة ، ليس في مفهوم الحديث النّبوي ، وإنّما في الشخص أو الأشخاص المعنيّين بهذا الحديث وذلك كقول الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم .

« عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الرّاشدين من بعدي » .

فأهل السنّة يعنون به الخلفاء الأربعة ، أمّا الشيعة فيعنون به الأئمة الإثني عشر إبتداء من علي بن أبي طالب وإنتهاء بالمهدي محمد بن الحسن العسكري (عليه السلام) .

أو كقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم :

« الخلفاء من بعدي إثنا عشر كلهم من قريش » .

فالشيعة يعنون به الأئمة الإثني عشر من أهل البيت (عليهم السلام) بينما لا يجد أهل السنّة والجماعة تفسيراً شافياً لهذا الحديث وقد اختلفوا حتّى في الأحداث التاريخية التي تتعلّق بالنّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم كما هو الحال في يوم مولده الشريف إذ يحتفل أهل السنة بالمولد النبوي الشريف يوم الثاني عشر من ربيع الأول في حين يحتفل الشيعة في اليوم السابع عشر من نفس الشهر .

ولعمري إنّ هذا الإختلاف في السنّة النبويّة أمرٌ طبيعي لاَ مَفرَّ منه إذا لم يكن هناك مرجعٌ يَرجعُ إليه الجميع ويكون حكمه نافذاً ، ورَأيُهُ مقبولاً لدى الجميع كما كان الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ، حيث كان يقطع دابر الخلاف ويحسمُ النزاع ويحكم بما أراه الله فيسلّمون ولو كان في أنْفسهم حرج ، وإن وجود مثل هذا الشخص ضروريّ في حياة الأمّة وعلى طول مداها ! هكذا يحكم العقل ولا يمكنُ أن يغفل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن ذلك وهو يعلم بأن أمّته ستتأوّل كلاَم الله من بعده ، فكان لزاماً عليه أن يُحضّر لها معلّماً قادراً ليقودها إلى الجادّة إذا ما حاولتْ الإنحراف عن الصراط المستقيم ، وقد هيّأ بالفعل لأمّته قائداً عظيماً بذل كل جهوده في تربيته وتعليمه منذ وُلدَ إلى أنْ بلغ الكمال وصار منه بمنزلة هارون من موسى ، فأوكل إليه هذه المهمّة النّبيلة بقوله :

« أنا أقاتِلُهم على تنزيل القرآن وأنتَ تقاتلهم على تأويله »[1] .

---

(1) الخوارزمي في المناقب ص 44 . ينابيع المودّة ص 233 .
الإصابة لابن حجر العسقلاني ج 1 ص 25 كفاية الطالب ص 334
منتخب كنز العمال ج 5 ص 36 إحقاق الحق ج 6 ص 37 .

وقوله :

« أنت يا علي تبينّ لأمّتي ما اختلفوا فيه من بعدي »[1] .

فإذا كان القرآنُ وهو كتاب الله العزيز يتطلّب من يقاتل في سبيل تفسيره وتوضيحه ، لأنّه كتاب صامتٌ لاَ ينطقُ ، وهو حمّال أوجهٍ متعدّدة وفيه الظاهر والباطن فكيف بالأحاديث النّبوية ؟!

وإذا كان الأمر كذلك في الكتاب والسنّة ، فلا يمكنُ للرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم أنْ يترك لأمّته ثقلين صامتين أبْكمين لاَ يتورّع الذينَ في قلوبهم زيغٌ أن يتأوّلوهما لغرض ويتّبعوا مَا تشابه منهما إبتغاء الفتنة وإبتغاء الدنيا ويكونُوا سبباً لضلالة مَن يأتي بعدهم ، لأنهم أحسنوا الظنَّ بهم واعتقدوا بعد التهم ويوم القيامة يندمون فيصدق فيهم قوله تعالى : ﴿ يومَ تُقلَّبُ وجوههم في النّار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولاَ ، وقالوا ربّنا إنّا أطعنا سَادتنا وكُبرآءنَا فأضلّونَا السبيلا ، ربّنا ءاتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً ﴾[2] ﴿ كلّما دخلتْ أمّةٌ لعنتْ أختها حتىّ إذا ادّاركوا فيها جميعاً قالتْ أخراهم لأُولاَهم ، ربّنا هؤلاءِ أضلّونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النّارِ ، قالَ لكلّ ضعفٌ ولكن لا تعلمون ﴾[3] .

وهلْ كانت الضّلالة إلاّ من ذلك ؟ فليس هناك أمّة لم يبعث الله فيهم رسولاً أوضح لهم السبيل وأنار لهم الطريق ولكنّهم بعد نبيّهم راحوا يحرّفون ويتأولون ويبدّلون كلام الله ! فهل يتصوّر عاقل أنّ رسول الله عيسى (عليه السلام) قال للنّصارى بأنّه إله ؟ حاشا وكلاّ « ما قلتُ لهم إلاّ ما أمرتني به » ولكن الأهواء والأطماع وحب الدنيا هو الذي جرّ النصارى لذلك ألم يبشرهم

---

(1) مستدرك الحاكم ج 3 ص 122 تاريخ دمشق لابن عساكر ج 2 ص 488 .
المناقب للخوارزمي ص 236 كنوز الحقائق للمناوي ص 203 .
منتخب كنز العمال ج 5 ص 33 ينابيع المودّة ص 182 .

(2) سورة الأحزاب آية 66 ـ 68 .

(3) سورة الأعراف آية 38 .

عيسى بمحمّد ؟ ومن قبله موسى كذلك ، ولكنّهم تأولوا إسم محمد وأحمد « بالمنقذ » وهم حتّى الآن ينتظرونه .

وهل كانت أمّة محمد على مذاهب وفرق متعدّدة إلى « ثلاث وسبعين كلها في النار إلى فرقة واحدة » إلاّ بسبب التأويل : وها نحنُ نعيش اليوم بين هذه الفرق هل هناك فرقة واحدة تنسبُ لنفْسها الضلالة ؟ أو بتعبير آخر : هل هناك فرقة واحدة تدّعي أنها خالفتْ كتاب الله وسنّة رسوله ؟ بالعكس كل فرقة تقول بأنها هي المتمسكة بالكتاب والسنّة ، فما هو الحلّ إذاً ؟؟

أكان يغيبُ الحلّ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أو بالأحرى عن الله ؟ أستغفر الله إنّه لطيف بعباده ويحبّ لهم الخير فلا بدَّ أن يضع لهم حَلاًّ ، ليهلك من هلك على بيّنةً . وليس في شأنه سبحانه إهمال مخلوقاته وتركهم بدون هداية ، اللّهم إلاّ إذا إعتقدنا بأنّه هو الذي أراد لهم الإختلاف والفرقة والضلالة ليزجّ بهم في ناره ، وهو إعتقاد باطل فاسدٌ . أستغفره وأتوب إليه من هذا القول الذي لا يليق بجلال الله وحكمته وعدالته .

فقول الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم بأنّه ترك كتاب الله وسنّة نبيّه ليس هو الحلّ المعقول لقضيّتنا ، بل يزيدنا تعقيداً وتأويلاً ولاَ يقطع دابر المشاغبين والمنحرفين ، ألا تراهم عندمَا خرجوا على إمامهم رَفعُوا شعار : ليسَ الحكمُ لكَ يا علي وإنما الحكم لله ! إنّه شعار برّاقٌ يأخذُ بلبّ السّامع فيخالُ القائلُ به حريصاً على تطبيق أحكام الله ، ورافضاً لأحكام غيره من البشر ، ولكن الحقيقة ليستْ كذلك .

قال الله تعالى : ﴿ ومن النّاس من يُعجبك قوله في الحياة الدنيا ويُشهِدُ الله على ما في قلبه ، وهو ألدّ الخصام ﴾[1] .

نعم كثيراً ما نغترُّ بالشعارات البرّاقة ولا نعرف ماذا تُخفي وراءهَا ، ولكن

---

(1) سورة البقرة آية 204 .

الإمام علياً يعرف ذلك لأنه باب مدينة العلم ، فأجابهم « إنها كلمة حَق يُراد بها باطل » .

نعم كثيرةٌ هي كلماتُ الحقّ التي يراد بها الباطل ، كيف ذلك ؟ عندما يقول الخوارج للإمام علي الحكم لله ليس لك يا علي ، فهل سيظهر الله على الأرض ويفصل بينهم في ما اختلفوا فيه ؟ أم أنّهم يعلمون أنّ حكم الله في القرآن ، ولكنّ علياً تأوّله حسب رأيه ؟ فما هي حجّتهم ومن يقول بأنهم هم الذين تأوّلوا حكم الله ، والحال أنّه أعلم منهم وأصدق وأسبق للإسلام وهل الإسلام غيره ؟

إذن هو شعار برّاقٌ ليموّهوا به على بسطاء العقول فيكسبوا تأييدهم ليستعينوا بهم على حربه وكسب المعركة لصالحهم كما يقع اليوم فالزمان زمان والرجال رجال والدّهاء والمكر لا ينقطع بل يزداد وينموا لأن دهاة هذا العصر يستفيدون من تجارب الأولين ، فكم من كلمة حق يراد بها باطل في يومنا هذا ؟ شعارات برّاقة كالذي يرفعها الوهابيون في وجه المسلمين وهو « التوحيد وعدم الشرك » فمن من المسلمين لا يوافق عليه ؟ وكتسمية فرقة من المسلمين أنفسهم « بأهل السنّة والجماعة » فمن من المسلمين لا يوافق أن يكون مع الجماعة التي تتبع سنّة النبي ؟ وكشعار البعثيين « أمّةٌ عربيةٌ واحدة ذات رسالة خالدة » فمن من المسلمين لا يغترّ بهذا الشعار ، قبل أن يعرف خفايا حزب البعث ومؤسسه النصراني ميشال عفلق ؟

لك الله يا علي بن أبي طالب إنّ حكمتك بَقِيتْ وستبقى مدوّنةً على مسمع الدّهر فكم من كلمة حق يرادُ بها الباطل ، صَعد أحد العلماء إلى منصّة الخطابة وصاح بأعلى صوته : من قالَ بأنني شيعي نقول له : أنتَ كافر ، ومن قال بأنّني سنّي نقول له : أنت كافر ، نحْنُ لا نريد شيعة ولا سنّة وإنما نريد إسلاماً فقط ـ إنها كلمة حقّ يراد بها باطل ـ فأيّ إسلام يريده هذا العالم ؟ وفي عالمنا اليوم إسلام متعدّد ، بل وحتّى في القرن الأول كان الإسلام متعدّداً ، فهناك إسلام علي وإسلام معاوية وكلاهما له أتباع ومؤيدون حتّى وصل الأمر إلى القتال وهناك إسلام

الحسين وإسلام يزيد الذي قتل أهل البيت باسم الإسلام وادّعى أن الحسين خرج عن الإسلام بخروجه عليه وهناك إسلام أئمة أهل البيت وشيعتهم ، وإسلام الحكام وشعوبهم ، وعلى مرّ التاريخ نجد إختلافاً بين المسلمين وهناك إسلام متسامح كما يسمّيه الغرب لأن أتباعه ألقوا بالمودّة لليهود والنصارى وأصبحوا يركعون للقوّتين العظيمتين وهناك إسلام متشدّد يُسمّيه الغرْب إسلام التعصّب والتحجّر أو مجانين الله .

وبعد كل هذا لم يبق معنا مجالٌ للتصديق بحديث « كتاب الله وسنّتي » للأسباب التي ذُكرتُ .

وتبقى الحقيقة ناصعة جليّة في الحديث الثاني الذي أجمع عليه المسلمون وهو « كتاب الله وعترتي أهل بيتي » لأنّ هذا الحديث يُحلّ كلّ المشكلات فلا يبقى إختلاف في تأويل أية آية من القرآن أو في تصحيح وتفسير أي حديث نبوي شريف إذا ما رجعنا إلى أهل البيت الذين أُمرنا بالرجوع إليهم وخصوصاً إذا علمنا بأنّ هؤلاء الذين عيّنهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم هم أهلٌ لذلك ، ولا يشكّ أحدٌ من المسلمين في غزارة علمهم وفي زهدهم وتقواهم ، وقد أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم وأورثهم علم الكتاب فلا يخالفونه ولا يختلفون فيه بل لا يفارقونه حتّى قيام السّاعة قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم :

« إني تارك فيكم خليفتين ، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ، فإنهما لن يفترقا حتّى يردَا عليّ الحوض »[1] .

« ولأكون مع الصادقين يجبُ عليَّ قول الحقّ لا تأخذني في ذلك لومة لائم وهدفي رضا الله سبحانه وإرضاء ضميري قبل رضا النّاس عنّي » .

---

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج 5 ص 122 . الدر المنثور للسيوطي ج 2 ص 60 كنز العمال ج 1 ص 154 . مجمع الزوائد ج 9 ص 162 ينابيع المودّة ص 38 و 183 . عبقات الأنوار ج 1 ص 16 ـ الحاكم في المستدرك ج 3 ص 148 .

والحقيقة في هذا البحث هي في جانب الشيعة الذين إتّبعوا وصيّة رسول الله في عترته وقدموهم على أنفسهم وجعلوهم أئمتهم يتقرّبونَ إلى الله بحبّهم والإقتداء بهم فهنيئاً لهم بالفوز في الدنيا وفي الآخرة حيث يُحشر المرء من أحبّ فكيف بمن أحبّهم واقتدى بهديهم .

قال الزمخشري في هذا الصدد :

كثُر الشك والإختلاف وكلّ ... يدّعي أنّه الصراط السّوي
فتمسّكتُ بلا إله إلاّ اللّهُ ... وحبّي لأحمد وعلي
فازَ كلبٌ بحبّ أصحاب كهف ... فكيفَ أشقى بحبّ آل النّبي

اللّهم إجعلنا من المتمسكين بحبل ولائهم والسائرين على منهاجهم والراكبين سفينتهم والقائلين بإمامتهم والمحشورين في زمرتهم إنّك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم .

القضاء والقدر
(عند أهل السنة)

كان موضوع القضاء والقدر لغزاً عويصاً في ما مضى من حياتي إذ لم أجد فيه تفسيراً شافياً ولا كافياً يريح فكري ويقنع قلبي ، وبقيتُ محتاراً ، بين ما تعلّمته في مدرسة أهل السنّة من أن الإنسان مسيّرٌ في كل أفعاله بما يوافق : « كلّ ميسّرٌ لما خلقَ له » وأنّ الله سبحانه يبعث إلى الجنين في بطن أمه ملكين من الملائكة فيكتبان أجله ورزقه وعمله ، وإن كان شقيّاً أو سعيداً[1] ، وبين ما يمليه عقلي وضميري ، من عدالة الله سبحانه وتعالى وعدم ظلمه لمخلوقاته ، إذ كيف يجبرهم على أفعال ثم يحاسبُهم عليها ويعذّبهم من أجل جرم كتبه هو عليهم وأجبرهم عليه .

فكنتُ كغيري من شباب المسلمين أعيشُ تلك التناقضات الفكرية في تصوري بأنّ الله سبحانه هو القوي الجبّار الذي لا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسألون[2] ـ وهو فعالٌ لما يريد[3] ـ وقد خلق الخلق وجعل قسماً منهم في الجنّة

(1) صحيح مسلم ج 8 ص 44 .
(2) سورة الأنبياء آية 23 .
(3) سورة البروج آية 16 .

وقسماً آخر في الجحيم ـ ثم هو رحمن رحيم بعباده لا يظلم مثقال ذرة[1] ﴿ **وما ربّك بظلّام للعبيد** ﴾[2] ـ ﴿ **إنّ الله لا يظلم الناس شيئاً ولكنّ الناس أنفسهم يظلمون** ﴾[3] ، ثم هو أحنّ عليهم من المرأة على ولدها كما جاء ذلك في الحديث الشريف[4] .

وكثيراً ما يتراءى هذا التناقض في فهمي لآيات القرآن الكريم فمرةً أفهم بأن الإنسان على نفسه بصيرة وهو المسؤول الوحيد عن أعماله ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شرّاً يره** ﴾[5] .

ومرّة أفهم بأنّه مسيّرٌ وليس له حولٌ ولا قوة ، ولا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً ولا رزقاً ، ﴿ **وما تشاؤون إلاّ أن يشاء الله** ﴾[6] ﴿ **فإن الله يضلّ من يشاء ويهدي من يشاء** ﴾[7] .

نعم لستُ وحدي بل أغلبُ المسلمين يعيش هذه التناقضات الفكرية ولذلك تجد أغلب الشيوخ والعلماء إذا ما سألتهم عن موضوع القضاء والقدر لا يجدون جواباً يقنعون به أنفسهم قبل إقناع غيرهم ، فيقولون : هذا موضوع لا يجبُ الخوض فيه ، وبعضهم يحرّم الخوض فيه ويقول : يجب على المسلم أن يؤمن بالقضاء والقدر خيره وشرّه وأنّه من عند الله .

وإذا ما سألهم معاندٌ : كيف يجبرُ الله عبده على إرتكاب جريمة ثم يَزجُّ به في نار جهنّم ؟ إتّهموه بالكفر والزندقة والخروج عن الدّين إلى غير ذلك من التّهم

---

(1) سورة النساء آية 40 .

(2) سورة فصّلت آية 46 .

(3) سورة يونس آية 44 .

(4) صحيح البخاري ج 7 ص 75 .

(5) سورة الزلزلة آية 7 ـ 8 .

(6) سورة الإنسان آية 30 .

(7) سورة فاطر آية 8 .

البـاردة ، فجمدتْ العقـول وتحجّرتْ وأصبـح الإيمان بـأنّ الـزواج بـالمكتـوب ، والطلاق بالمكتوب ، وحتّى الزّنا فهو مكتوب إذ يقولـون : مكتوب عـلى كل فـرج إسم ناكحه ، وكـذلك شـربُ الخمر ، وقتـل النفس وحتّى الأكل والشرب ، فـلا تأكل ولا تشرب إلاّ ما كتبه الله لك !

قلتُ لبعض علمائنا بعد إستعراض كل هـذه المسائـل : إن القرآن يكـذّب هذه المزاعم ، ولا يمكن للحديث أن يناقض القـرآن ! قال تعـالى في شأن الـزواج ﴿ وانكحوا ما طاب لكم من النّساء ﴾[1] فهذا يدلّ على مرتبـة الإختيار وفي شـأن الطلاق ﴿ الطلاق مرّتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾[2]وهوأيضاً إختيار وفي الزنا قال ﴿ ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً ﴾[3] وهو أيضـاً دليل الإختيار وفي الخمر قال ﴿ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضـاء في الخمـر والميسر ويصدّكم عن ذكـر الله وعن الصلاة فهـل أنتم منتهون ﴾[4]وهي أيضاً تنهى بمعنى الإختيار .

أمّـا قتـل النفس فقـد قـال فيهـا : ﴿ ولا تقتلوا النفس التي حـرّم الله إلاّ بالحق ﴾[5] وقال : ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيهـا وغضب الله عليه لعنه وأعدّ له عذاباً أليماً ﴾[6] فهذه أيضاً تفيد الإختيار في القتل .

وحتّى بخصـوص الأكـل والشرب فقـد رسم لنـا حـدوداً فقـال : ﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ﴾[7] فهذه أيضاً بالإختيار .

فكيف يـا سيدي بعـد هذه الأدلّـة القرآنيـة تقولـون بـأن كـل شيء من الله

---

(1) سورة النساء آية 3 .

(2) سورة البقرة آية 229 .

(3) سورة الإسراء آية 32 .

(4) سورة المائدة آية 91 .

(5) سورة الأنعام آية 151 .

(6) سورة النساء آية 93 .

(7) سورة الأعراف آية 31 .

والعبد مسيّر في كل أفعاله ؟؟ .

أجابني : بأنّ الله سبحانه هو وحده الذي يتصرّف في الكون واستدلّ بقوله **﴿ قل اللّهم مالك الملك توتِ الملك من تشاء وتنزع الملك ممّن تشاء وتعزّ من تشاء وتذلّ من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير ﴾**[1] .

قلتُ : لا خلاف بيننا في مشيئة الله سبحانه وإذا شاء الله أن يفعل شيئاً ، فليس بإمكان الإنس والجنّ ولا سائر المخلوقات أن يعارضوا مشيئته ! وإنّما إختلافنا في أفعال العباد هل هي منهم أم من الله ؟؟

أجابني : لكم دينكم ولي ديني ، وأغلق باب النقاش بذلك . هذه هي في أغلب الأحيان حجّة علمائنا ، وأذكر أني رجعتُ إليه بعد يومين وقلتُ له : إذا كان إعتقادك أنّ الله هو الذي يفعل كل شيء وليس للعباد أن يختاروا أي شيء . فلماذا لا تقول في الخلافة نفس القول ، وأن الله سبحانه هو الذي يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة ؟

فقال : نعم أقول بذلك ، لأن الله هو الذي إختار أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ولو شاء الله أن يكون علي هو الخليفة الأول ما كان الجنّ والإنس بقادرين على منع ذلك .

قُلتُ : الآن وقعت .

قال : كيف وقعتُ ؟

قلتُ : إمّا أن تقولَ بأنّ الله إختار الخلفاء الرّاشدين الأربعة ثم بعد ذلك ترك الأمر للناس يختارون من شاؤوا .

وأما أن تقول بأن الله لم يترك للناس الإختيار وإنّما يختار هو كل الخلفاء من وفاة الرسول إلى قيام الساعة ؟

أجاب : أقول بالثاني **﴿ قل اللّهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع**

---

(١) سورة آل عمران آية 26 .

الملك ممن تشاء . . . ﴾ .

قلتُ : إذاً فكلّ إنحراف وكل ضلالة وكل جريمة وقعت في الإسلام بسبب الملوك والأمراء فهي من الله ، لأنّه هو الذي أمّر هؤلاء على رقاب المسلمين ؟

أجاب : وهو كذلك ، ومن الصالحين من قرأ ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمّرنا مترفيها أي جعلناهم أمراءَ ﴾ .

قلتُ متعجّباً : إذاً فقتلُ علي على يد ابن ملجم وقتل الحسين بن علي أراده الله ؟؟

فقالَ منتصراً : نعم طبعاً ـ ألم تسمع قول الرسول لعلي :

« أشقى الآخرين الذي يضربك على هذه حتىّ تبتّل هذه . وأشار إلى رأسه ولحيته كرّم الله وجهه » .

وكذلك سيدنا الحسين قد علم رسول الله بمقتله في كربلاء وحدّث أم سلمة بذلك كما علم بأن سيدنا الحسن سيصلحُ الله به فرقتين عظيمتين من المسلمين ، فكل شيء مسطر ومكتوب في الأزل وليس للإنسان مفرّ . وبهذا أنت الذي وقعتَ لا أنا .

سكتُّ قليلاً أنظر إليه وهو مزهوٌ بهذا الكلام ، وظنَّ أنه افحمني بالدليل ؛ كيف لي أن أقنعه بأنّ علم الله بالشيء لا يفيد حتماً بأنّه هو الذي قدّره وأجبر النّاس عليه ، وأنا أعلم مسبّقاً بأن فكره لا يستوعب مثل هذه النظرية .

سألته من جديد : إذا فكلّ الرؤساء والملوك قديماً وحديثاً والذين يحاربون الإسلام والمسلمين نصّبهم الله ـ قال : نعم بدون شك .

قلتُ : حتّى الإستعمار الفرنسي على تونس والجزائر والمغرب هو من الله قال : بلَى ، لّما جاء الوقتُ المعلوم خرجتْ فرنسا من تلك الأقطار .

قلتُ : سبحان الله ! فكيف كنت تدافع سابقاً عن نظرية أهل السنّة بأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مات وترك الأمر شورى بين المسلمين

ليختاروا من يشاؤون ؟

قال : نعم ولا زلتُ على ذلك وسأبقى على ذلك إن شاء الله !

قلتُ : فكيف توفّق بين القولين : إختيار الله واختيار الناس بالشورى ؟

قال : بما أن المسلمين إختاروا أبا بكر فقد إختاره الله !

قلتُ : أنزل عليهم الوحي في السقيفة يدلّهم على إختيار الخليفة ؟

قال : أستغفر الله ليس هناك وحي بعد محمّد كما يعتقد الشيعة ! (والشيعة كما هو معروف لا يعتقدون بهذا وإنما هي تهمة الصقها بهم اعداؤهم) .

قلتُ : دعنا من الشيعة وأباطيلهم ، وأقنعنا بما عندك ! كيف علمتَ بأن الله إختار أبا بكر ؟

قال : لو أراد الله خلاف ذلك لما تمكّن المسلمون ، ولا العالمون خلاف ما يريده الله تعالى ؟

عرفتُ حينئذ أنّ هؤلاء لا يفكّرون ولا يتدبّرون القرآن ، وعلى رأيهم سوف لن تستقيم أية نظرية فلسفية أو علمية .

وهذا يذكّرني بقصّة أخرى كنتُ أمشي مع صديق في حديقة كان بها نخلٌ كثير وكنتُ أحدثه في القضاء والقدر فسقطتْ فوقَ رأسي تمرةٌ ناضجة أخذتها من فوق الحشائش لأكلها وضعتها في فيَّ .

تعجّب صديقي قائلاً : لا تأكل إلاّ ما كتبه الله لك ! هذه التمرة سقطت باسمك قلتُ : ما دمتَ تؤمن بأنها مكتوبة فسوف لن آكلها . ولفضتُها .

قال : سبحان الله ! إذا كان الشيء غير مكتوب لك يُخرجه الله حتّى من بطنك قلتُ : إذاً سآكلُها والتقطتها من جديد لأثبتَ له بأني مخيرٌ في أكلها أو تركها بقيَ صديقي يرقُبني حتّى مضغْتُها وابتلعتها ، عند ذلك قال : هي والله كاتبة لك (يقصد كتبها الله إليك) ، وانتصر عليَّ بتلك الطريقة لأنّه لا يمكن لي بعدُ ، أن أُخرجَ التّمرة من جوفي .

نعم هذه عقيدة أهل السنّة في خصوص القضاء والقدر أو قلْ هذه عقيدتي عندما كنتُ سُنّياً .

ومن الطبيعي أن أعيش بهذه العقيدة مشوش الفكر بين المتناقضات ومن الطبيعي أن نبقى في جمود دائم وننتظر أن يغيّر الله ما بنا ، عوض أن نغيّر نحن ما بأنفسنا لكي يغيّر الله ما بنا ، ونتهرب من المسؤولية التي تحمّلناها ونُلقي بها عليه سبحانه ، فإذا قُلتَ للزاني أو للسارق أو حتّى للمجرم الذي إغتصب فتاة قاصرة وقتلها بعد شهوته فسيجيبك : الله غالب ، قدّر ربّي . سبحان هذا الرّب الذي يأمرُ الإنسان بدفن إبنته ثم يسأله بأي ذنب قُتلتْ ؟ سبحانك إن هذا إلاّ بهتانٌ عظيم ! .

ومن الطبيعي أن يزدري بنا علماء الغرب ويضحكون لسخافة عقولنا ، بل وينبزوننا بالألقاب فيسمّونه « مكتوب العرب » ويجعلونه سبباً رئيسياً لجهلنا وتخلّفنا .

ومن الطبيعي أيضاً أن يعرف الباحثون بأنّ هذا الإعتقاد نشأ من الدولة الأمويّة الذين كانوا يروّجون بأنّ الله سبحانه هو الذي أعطاهم الملك وأمّرهم على رقاب الناس فيجب على الناس إطاعتهم وعدم التمرّد عليهم لأن مطيعهم مطيع لله والخارج عليهم هو متمرّد على الله يجب قتله . ولنا في ذلك شواهد عديدة من التاريخ الإسلامي :

فهذا عثمان بن عفّان عندما يطلبون منه أن يعتزل يرفض ويقول لا أخلعُ قميصاً قمّصنيه الله(1) فعلى رأيه الخلافة هي لباس له وقد ألبسه اللّهُ إياه فلا ينبغي لأحد من النّاس أن ينزعه عنه إلاّ الله سبحانه يعني بالوفاة .

وهذا معاوية أيضاً يقول : إني لم أقاتلكم لتصوموا ولتزكّوا وإنّما قاتلتكم لأتأمّر عليكم وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون فهذا يذهب شوطاً أبعد من

---

(1) تاريخ الطبري حصار عثمان وتاريخ ابن الأثير .

عثمان لأنّه يتهم ربّ العزة والجلالة بأنّه أعانه على قتل المسلمين ليأمر عليهم وخطبة معاوية هذه مشهورة[1] .

وحتّى في إختيار ليزيد إبنه وتوْليته على النّاس رغم أنوفهم فقد إدّعى معاوية أنّ الله هو الذي إستخلف إبنه يزيداً على الناس وذلك ما رواه المؤرخون ، عندما كتب بيعتَهُ إلى الآفاق ، وكان عامله على المدينة مروان بن الحكم ، فكتب إليه يذكر الذي قضى الله به على لسانه من بيعة يزيد[2] .

وكذلك فعل إبن زياد الفاسق عندما أدخلوا عليه علياً زين العابدين مكبّلاً بالأغلال فسأل قائلاً من هذا فقالوا علي بن الحسين ! قال : ألم يقتل الله علي بن الحسين فأجابته زينب عمّته : بل قتلَهُ أعداء الله وأعداء رسوله .

فقال لها إبن زياد : كيفَ رأيت فعل الله بأهل بيتك .

قالت : ما رأيتُ إلاّ جميلاً ، هؤلاء قومٌ كتبَ الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم ، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم ، فانظر لمن الفلح يومئذ ، ثكلتك أمك يا ابن مرجانة[3] .

وهكذا تفشّى هذا الإعتقاد من بني أمية وأعوانهم وسرى في الأمة الإسلامية عدا شيعة أهل البيت .

---

(1) مقاتل الطالبين ص 70 وابن كثيرج 8 ص 131 وابن أبي الحديد ج 3 ص 16 .
(2) الإمامة والسياسة ج 1 ص 151 بيعة معاوية ليزيد بالشام .
(3) مقاتل الطالبين ـ مقتل الحسين .

عقيدة الشيعة في القضاء والقدر

وما إن عرفتُ علماء الشيعة[1] وقرأت كتبهم حتّى إكتشفتُ علماً جديداً في القضاء والقدر .

وقد أوضحه الإمام علي (عليه السلام) بأوضح بيان وأشمله إذ قال لمن سأله عن القضاء والقدر :

« ويحك لعلّك ظننتَ قضاء لازماً وقدراً حاتماً ، ولو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب ، وسقط الوعد والوعيد .

إن الله سبحانه أمر عباده تخييراً ، ونهاهم تحذيراً ، وكلّف يسيراً ولم يكلّف عسيراً ، وأعطى على القليل كثيراً ، ولم يُعصَ مغلوباً ، ولم يُطعَ مُكرِهاً ، ولم يرسل الأنبياء لعباً ، ولم ينزل الكتب للعباد عبثاً ، ولا خلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً . **﴿ ذلك ظنّ الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ... ﴾**[2] .

---

(1) كالشهيد محمد باقر الصدر طيّب الله ثراه الذي أفادني كثيراً في الموضوع وكالسيد الخوئي والعلاّمة محمد علي الطباطبائي والسيد الحكيم وغيرهم .

(2) شرح نهج البلاغة للشيخ محمد عبده ج 4 ص 673 .

فما أوضحه من بيان ، وما قرأت في الموضوع كلاماً أبلغ منه وبرهاناً أدلّ على الحقيقة منه ، فالمسلم يقتنع بأن أعماله هي من محض إرادته واختياره ، لأنّ الله سبحانه أمرنا ولكنّه ترك لنا حرية الإختيار وهو قول للإمام « إن الله أمر عباده تخييراً » .

كما أنه سبحانه نهانا وحذّرنا عقابَ مخالفته فدلّ كلامه على أنّ للإنسان حرية التصرّف وبإمكانه أن يخالف أوامر الله ، وفي هذه الحالة يستوجب العقاب ، وهو قول الإمام « ونهاهم تحذيراً » .

وزاد الإمام علي (عليه السلام) توضيحاً للمسألة فقال : بأنّ الله سبحانه لم يُعصَ مغلوباً ، ومعنى ذلك بأن الله لو أراد جبْرَ عباده وإرغامهم على شيء ، لم يكن بمقدورهم جميعاً أن يغلبوه على أمره فدلّ ذلك على أنّه ترك لهم حرّية الإختيار في الطاعة والمعصية وهو مصداقٌ لقوله تعالى ﴿ قل الحق من ربّكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾[1] .

ثم بعد ذلك يخاطب الإمام علي ضمير الإنسان ليصل إلى أعماق وجدانه فيأتي بالدليل القاطع على أنه لو كان الإنسان مجبوراً على أفعاله ، كما يعتقده البعض لكان إرسال الأنبياء وإنزال الكتب ضرباً من اللعب والعبث الذي يتنزّه الله جلّ جلاله عنه ، لأنّ دور الأنبياء سلام الله عليهم أجمعين وإنزال الكتب هو لإصلاح النّاس وإخراجهم من الظلمات إلى النور وإعطائهم العلاج النافع لأمراضهم النفسية ، وتوضيح الطريقة المثلى للحياة السعيدة قال تعالى : ﴿ إنّ هذا القرآن يهدي للّتي هي أقومُ ﴾[2] .

ويختم الإمام علي بيانه بأن الإعتقاد بالجبر هو نفس الإعتقاد ﴿ بخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً ﴾ ، وهو كفرٌ توعّد اللّهُ القائلين به بالنّار ـ

(1) سورة الكهف آية 29 .

(2) سورة الإسراء آية 9 .

وإذا محّصنا قول الشيعة في القضاء والقدر وجدناه قولاً سديداً ورأياً رشيدا ، فبينما فرّطت طائفة فقالت بالجبر أفرطت أخرى فقالت بالتفويض ، جاء أئمة أهل البيت سلام الله عليهم ليصحّحوا المفاهيم والمعتقدات ويرجعوا بهؤلاء وأولئك ، فقالوا : « لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين »[1] .

وقد ضرب الإمام جعفر الصادق لذلك مثلاً مبسّطاً يفهمه كل الناس وعلى قدر عقولهم فقال للسائل عندما سأله : ما معنى قولك لا جبر ولا تفويض ولكن أمرٌ بين أمرين ؟ أجابه عليه السلام : « ليس مشيُك على الأرض كسقوطك عليها » ومعنى ذلك أنّنا نمشي على الأرض باختيارنا ـ ولكنّنا عندما نسقط على الأرض فهو بغير إختيارنا ، فمن منّا يُحبّ السّقوط الذي قد يُسبّبُ كسر بعض الأعضاء من جسمنا فنصبح معاقين .

فيكون القضاء والقدر أمراً بين أمرين ، أي قسم هو من عندنا وباختيارنا ونحن نفعله بمحض إرادتنا .

وقسم ثان هو خارج عن إرادتنا ونحن خاضعون له ، ولا نقدر على دفعه ، فنُحاسَبُ على الأول ولا نُحاسبُ على الثاني .

والإنسانُ في هذه الحالة وفي تلك مُخيّرٌ ومسيّرٌ في نفس الوقتِ .

أ ـ مخيّرٌ في أفعاله التي تصدر منه بعد تفكير ورويّة إذ يمرّ بمرحلة التخيير والصراع بين الإقدام والإحجام ، وينتهي به الأمر إمّا بالفعل أو التّرْك ، وهذا ما أشار إليه سبحانه بقوله : ﴿ **ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكّاها وقد خاب من دسّاها** ﴾[2] .

فالتزكية للنفس والدسّ لها هما نتيجة إختيار الضّمير في كل إنسان ـ كما أن الفلاح والخيبة هما نتيجة حتمية وعادلة لذلك الإختيار .

---

(1) عقائد الشيعة في القضاء والقدر .

(2) سورة الشمس آية 6 ـ 10 .

ب ـ مسيّرٌ في كل ما يحيط به من نواميس الكون وحركته الخاضعة كلها لمشيئة الله سبحانه بكلّ أجزائها ومركبّاتها وأجرامها وذرّاتها ، فالإنسان ليس له أن يختار جنسه من ذكورة وأنوثة ولا أن يختار لونه فضلاً عن إختيار أبويه ليكون في أحضان أبوين موسرين بدلاً من أن يكونوا فقراء ، ولا أن يختار حتّى طول قامته وشكل جسده .

فهو خاضع لعدّة عوامل قاهرة (كالأمراض الوراثية مثلاً) ولعدّة نواميس طبيعية تعمل لفائدته بدون أن يتكلّف فهو ينام عندما يتعب ويستيقظ عندما يرتاح ، ويأكل عندما يجوع ويشرب عندما يعطش ، ويضحك وينشرح عندما يفرح ، ويبكي وينقبض عندما يحزن ، وفي داخله معامل ومصانع تصنع الهورمونات والخلايا الحية ، والنطفْ القابلة للتحول ، وتبني في نفس الوقت جسمه في توازن منسّق عجيب ، وهو في كل ذلك غافل لا يدري بأنّ العناية الإلهية محيطة به في كل لحظة من لحظات حياته بل وحتّى بعد مماته ! يقول الله عزّ وجلّ في هذا المعنى :

﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى ، ألم يكُ نطفةً من منيّ يُمنَى ، ثم كان علقة فخلق فسوّى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى أليس ذلك بقادر على أن يُحيي الموتى ﴾[1] .

بَلَى ، سبحانك وبحمدكَ ربّنا الأعلى أنتَ الذي خلقْتَ فَسّويتَ وأنتَ الذي قدّرْتَ فهديتَ وأنتَ الذي أمَتَّ ثُم أحيَيْتَ ، تباركت وتعاليتَ ، فتعساً وبُعداً لمن خالفك ونأى عنكَ ولم يقدّرك حق قدرك .

ولنختم هذا البحث بما قاله الإمام علي بن موسى الرضا وهو الإمام الثامن من أئمة أهل البيت عليهم السلام وقد إشتهر بالعلم في عهد المأمون ولم يبلغ

---

(١) سورة القيامة آية 36 ـ 40 .

الرابعة عشر من عمره حتّى كان أعلم أهل زمانه[1] .

سأله سائل عن معنى قول جدّه الإمام الصادق « لا جبر ولا تفويض بل أمرٌ بين أمرين » فأجابه الإمام الرضا :

« من زعم أنّ الله يفعل أفعالنا ، ثم يعذبنا عليها عليها فقد قال بالجبر ، ومن زعم أن الله فوّض أمر الخلق والرزق إلى حُججِه - أي الأئمة - فقد قال بالتفويض ، والقائل بالجبر كافرٌ ، والقائل بالتفويض مشركٌ .

أمّا معنى الأمر بين الأمرين فهو وجود السبيل إلى إتيان ما أمر الله به ، وترك ما نهى عنه ، أي أنّ الله سبحانه أقدره علىٰ فعل الشرّ وتركه ، كما أقدره على فعل الخير وتركه ، وأمره بهذا ونهاه عن ذاك » .

وهذا لعمري بيان كافٍ وشافٍ على مستوى العقول ويفهمه كل الناس من المثقفين وغير المثقفين .

وصدق رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إذ قال في حقّهم :

« لا تتقدّموهم فتهلكوا ولا تقصروا عنهم فتهلكوا ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم »[2] .

---

(1) العقد الفريد لابن عبد ربّه . ج 3 ص 42 .
(2) ابن حجر في الصواعق المحرقة ص 148 . مجمع الزوائد ج 9 ص 163 . ينابيع المودة ص 41 - الدر المنثور للسيوطي ج 2 ص 60 كنز العمّال ج 1 ص 168 أسد الغابة ج 3 ص 137 عبقات الأنوار ج 1 ص 184 .

تعليقة على الخلافة

ضمن القضاء والقدر

والطريف في هذا الموضوع أنّ أهل السنّة والجماعة رغم إعتقادهم بالقضاء والقدر الحتمي وأنّ الله سبحانه هو الذي يسيّرُ عباده في أعمالهم وليس لهم الخيرة في شيء ، ولكنّهم في أمر الخلافة يقولون بأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مات وترك الأمر شورى بين النّاس ليختاروا لأنفسهم .

والشيعة على العكس تماماً ، فرغم إعتقادهم بأنّ الإنسان مخيّرٌ في أعماله وأنّ عباد الله يفعلون ما شاؤوا (ضمن مقولة لا جبر ولا تفويض ولكن امر بين أمرين) ، إلاّ أنهم في أمر الخلافة يقولون بأنه لا حقَّ لهم في الإختيار !

ويبدو هذا وكأنه تناقضٌ من الطرفين ، السنّة والشيعة لأوّل وهلة ، ولكنّ الحقيقة ليست كذلك .

فالسنّة عندما يقولون بأنّ الله سبحانه هو الذي يسيّر عباده في أعمالهم ، يتناقضون مع الواقع إذ أنّ الله سبحانه (عندهم) هو المخيّر الفعلي ولكنّه يترك لهم الخيار الوهمي إذ أنّ الذي إختار أبا بكر يوم السقيفة ، هو عمر ثم بعض الصحابة ، ولكن في الحقيقة هم منفّذون لأمر الله الذي جعلهم واسطة ليس إلاّ ، على حسب هذا الزعم .

وأمّا الشيعة عندما يقولون بأنّ الله سبحانه خيّر عباده في أفعالهم ، فلا يتناقضون مع قولهم بأن الخلافة هي باختيار الله وحده ﴿ وربّك يخلق ما يشاء ويختار ، ما كان لهم الخيرة ﴾ لأن الخلافة كالنّبوة ليست هي من أعمال العباد ولا موكولة إليهم ، فكما أن الله يصطفي رسوله من بين الناس ويبعثه فيهم فكذلك بالنسبة لخليفة الرسول ، وللناس أن يطيعوا أمر الله ولهم أن يعصوه ، كما وقع بالفعل في حياة الأنبياء وعلى مرّ العصور فيكون العباد أحراراً في قبول إختيار الله ، فالمؤمن الصالح يقبلُ ما اختاره الله ، والكافر بنعمة ربّه يرفض ما اختاره الله له ويتمرّد عليه ، قال تعالى :

﴿ فمنِ اتّبعَ هدايَ فلا يضلّ ولا يشقى ، ومن أعْرضَ عن ذكري فإنّ له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى، قال ربّ لِمَ حشرتني أعمى وقد كنتُ بصيراً ، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها ، وكذلك اليوم تُنسَى ﴾[1] .

ثم أنظر إلى نظرية أهل السنّة والجماعة في هذه المسألة بالذات فسوف لن تُلقي باللّوم على أحد ، لأن كل ما وقع ويقع بسبب الخلافة وكل الدّماء التي أريقت والمحارم التي هُتكتْ كل ذلك من الله ، حيث عقب بعض من يدعي العلم منهم بقوله تعالى : ﴿ ولو شاء ربّك ما فعلوه ﴾[2] .

أما نظرية الشيعة فهي تحمّل المسؤولية كل من تسبّب في الإنحراف وكل من عصى أمر الله وكلٌ على قدر وزره ووزر من تبع بدعته إلى يوم القيامة ﴿ كلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيته ﴾ قال تعالى : ﴿ وقفوهم إنهم مسؤولون ﴾[3] .

---

(1) سورة طه آية 123 ـ 126 .

(2) سورة الأنعام آية 112 .

(3) سورة الصافات آية 24 .

الخمس

وهو أيضاً من المواضيع الذي يختلف فيه الشيعة والسنّة وقبل الحكم لهم أو عليهم . لا بدّ لنا من بحث موجز في موضوع الخمس : ولنبدأ بالقرآن الكريم .
قال تعالى : ﴿ **واعلموا أنّما غنمتم من شيء فإن الله خُمسه وللرسولِ ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل . .** ﴾[1] .

وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم :

« أُمُركم بأربع : الإيمان بالله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تؤدّوا لله خُمس ما غنمتُم »[2] .

فالشيعة ـ إمتثالاً لأمر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ يُخرجون خمس ما حصلوا عليه من أموال طيلة سنتهم ، ويفسّرون معنى الغنيمة بكل ما يكسبه الإنسان من أرباح بصفة عامّة .

أمّا أهل السنّة والجماعة فقد أجمعوا على تخصيص الخمس بغنائم الحرب

---

(1) سورة الأنفال آية 41 .
(2) صحيح البخاري ج 4 ص 44 .

فقط ، وفسّروا قوله سبحانه وتعالى :﴿ واعلموا أنّ ما غنمتم من شيء ﴾ يعني ما حصّلتم خلال الحرب .

هذه خلاصة أقوال الفريقين في الخمس ، وقد كتب علماء الفريقين عدة مقالات في المسألة .

ولستُ أدري كيف أُقنِع نفسي أو غيري بآراء أهل السنّة التي اعتمدتْ على ما أظنّ أقوال الحكّام من بني أميّة وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان الذي إستأثر بأموال المسلمين وخصّ نفسه وحاشيته بكل صفراء وبيضاء .

فلا غرابة في تأويلهم لآية الخمس على أنها خاصّة بدار الحرب لأنّ سياق الآية الكريمة جاء ضمن آيات الحرب والقتال ، وكم لهم من تأويل للآيات على سياق ما قبلها أو ما بعدها .

فهم يؤولون مثلاً أية إذهاب الرجس والتطهير على أنها خاصّة بنساء النّبي لأنّ ما قبلها وما بعدها يتكلّم عن نساء النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم .

كما يؤولون قوله تعالى :﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشّرهم بعذاب أليم ﴾ على أنها خاصّة في أهل الكتاب .

وقصة أبي ذر الغفاري رضي الله عنه مع معاوية وعثمان بن عفّان ونفيه إلى الربذة من أجل ذلك مشهورة . إذ أنّه عاب عليهم كنزهم الذهب والفضّة وكان يحتجُ بهذه الآية عليهم ـ ولكنّ عثمان إستشار كعب الأحبار عنها فقال له بأنها خاصّة بأهل الكتاب ، فشتمه أبو ذر الغفاري وقال له : ثكلتك أمّك يا ابن اليهوديّة أوَ تُعلّمنا ديننا ؟ فغضب لذلك عثمان ، ثم نفاه إلى الربذة بعدما تعاظم إنزعاجه منه فمات هناك وحيداً طريداً لم تجد إبنته حتّى من يغسّله ويكفنّه .

وأهل السنّة والجماعة لهم في تأويل الآيات القرآنية والأحاديث النّبوية فنٌّ معروف وفقهٌ مشهورٌ وذلك إقتداء بما تأوّله الخلفاء الأوّلون والصحابة المشهورون

في خصوص النصوص الصريحة من الكتاب والسنّة[1] .

ولو أردنا إستقصاء ذلك لاستوجب كتاباً خاصّاً ، ويكفي الباحث أن يرجع إلى كتاب « النّص والإجتهاد » ليعرف كيف يتلاعب المتأولون بأحكام الله سبحانه .

وأنا كباحث ليس لي أن أتأوّل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية حَسبَ ما أهوى أو حسب ما يُمليه عليَّ المذهب الذي أميل إليه .

ولكن ما حيلتي إذا كان أهل السنّة والجماعة هم الذين أخرجوا في صحاحهم فرض الخمس في غير دار الحرب ، ونقضوا بذلك تأويلهم ومذهبهم .

فقد جاء في صحيح البخاري في باب « في الرّكاز الخُمس » وقال مالك وابن إدريس الركازُ دفنُ الجاهلية في قليله وكثيره الخُمس ، وليس المعدنُ بركاز وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم « في المعدن جبارٌ وفي الرّكاز الخمس »[2] وجاء في باب ما يُستخرجُ من البحر : وقال ابن عباس رضي الله عنهما ليس العنبرُ بركازٍ هو شيء دسره البحرُ وقال الحسنُ في العنْبرِ واللؤلؤ الخمس فإنّما جعل النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم في الرّكاز الخمس ليس في الذي يصابُ في الماء[3] .

والباحثُ يفهم من خلال هذه الأحاديث بأنّ مفهوم الغنيمة التي أوجب الله فيها الخمس لا تختصّ بدار الحرب لأنّ الرّكاز الذي هو كنزٌ يستخرج من باطن الأرض وهو ملك لمن إستخرجه ، ولكن يجب عليه دفع الخمس منه لأنه غنيمة . كما أنّ الذي يستخرج العنبر واللؤلؤ من البحر يجب عليه إخراج الخمس لأنّه

---

(1) جمع الإمام شرف الدين في كتابه النص والإجتهاد أكثر من مائة مورد تأولوا فيها النصوص الصريحة فعلى الباحثين قراءة هذا الكتاب لأنّه ما جمع إلاّ ما أخرجوه علماء السنّة معترفين بصحته .

(2) صحيح البخاري ج 2 ص 137 (باب في الركاز الخمس) .

(3) صحيح البخاري ج 2 ص 136 (باب ما يستخرج من البحر) .

غنيمة .

وبما أخرجه البخاري في صحيحه يتبين لنا أن الخمس لا يختص بغنائم الحرب .

فرأيُ الشيعة يبقى دائماً مصداقُ الحقيقة التي لا تناقُض فيها ولا إختلاف وذلك لأنهم يرجعون في كل أحكامهم وعقائدهم إلى أئمة الهدى الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، والذين هم عدلُ الكتاب لا يضلّ من تمسّك بهم ويأمن من يلجأ إليهم .

على أنّه لا يمكن لنا أن نعتمدَ على الحروب لإقامة دولة الإسلام ، وذلك يخالف سماحة الإسلام ودعوته للسّلم فالإسلام ليس دولة إستعمارية تقوم على إستغلال الشعوب ونهب خيراتها وهو ما يحاول الغربيون إلصاقه بنا عندما يتكلّمون عن نبي الإسلام بكل إزدراء ويقولون بأنه توسّع بالقوّة والقهر وبالسيف لاستغلال الشعوب .

وبما أن المال هو عصب الحياة ، وخصوصاً إذا كانت نظرية الإقتصاد الإسلامي تقتضي إيجاد ما يسمّى اليوم بالضّمان الإجتماعي لتضمن للمعوزين والعاجزين معاشهم بكرامة وشهامة .

فلا يمكن لدولة الإسلام أن تعتمد على ما يخرجه أهل السنّة والجماعة من الزكاة وهي تمثل في أحسن الأحوال اثنين ونصف بالمائة وهي نسبة ضعيفة لا تقوم بحاجة الدّولة من إعداد القوّة ومن بناء المدارس والمستشفيات وتعبيد الطرقات فضلاً عن أن تضمن لكل فرد دخلاً يكفي معاشَه ويضمن حياته ، كما لا يمكن لدولة الإسلام أن تعتمد على الحروب الدامية وقتال النّاس لتضمن بقاءها وتطوّر مؤسساتها على حساب المقتولين الذين لم يرغبوا في الإسلام .

فأئمة أهل البيت سلام الله عليهم كانوا أعلم بمقاصد القرآن ، كيف لا وهم ترجمانه ، وكانوا يرسمون للدولة الإسلامية معالم الإقتصاد ، ومعالم الإجتماع ، لو كان لهم رأيٌ يطاع .

ولكن للأسف الشديد كانت السلطة والقيادة في يد غيرهم الذين إغتصبوا الخلافة بالقوّة والقهر وبقتل الصلحاء من الصحابة واغتيالهم كما فعل ذلك معاوية ، وبدّلوا أحكام الله بما إقتضته مصالحهم السياسية والدنيوية فضلّوا وأضلّوا وتركوا هذه الأمة تحت الحضيض لم تقم لها قائمة حتّى يومنا هذا .

فبقيت تعاليم أئمة أهل البيت مجرّد أفكار ونظريات يؤمن بها الشيعة ولم يجدوا لتطبيقها من سبيل إذ أنّهم كانوا مطاردين في مشارق الأرض ومغاربها ، وقد تتبّعهم الأمويون والعبّاسيون عبر العصور .

وما أن انقرضت الدولتان وأوجد الشيعة مجتمعاً عملوا بأداء الخمس الذي كانوا يؤدّونه للأئمة سلام الله عليهم خُفية ، وهم الآن يؤدّونه إلى المرجع الذي يقلّدونه ، نيابة عن الإمام المهدي عليه السلام ، وهؤلاء يقومون بصرفه في أبوابه المشروعة ، من تأسيس حوزات علمية ، ومبرّات خيرية ومكتبات عمومية ، ودور أيتام وغير ذلك من أعمال جليلة كدفع رواتب شهرية لطلبة العلوم الدينية والعلمية وغيرها .

ويكفينا أن نستنتج من هذا أنّ علماء الشيعة مستقلّون عن السلطة الحاكمة ، لأن الخمس يفيْ بحاجاتهم ويقومون بإعطاء كل ذي حق حقّه .

أمّا علماء أهل السنّة والجماعة فهم عالة على الحكّام وموظفون لدى السّلطة الحاكمة في البلاد ، وللحاكم أنْ يقرّبَ من شاء منهم أو يبعّد حسب تعاملهم معه وإفتائهم لمصالحه . فأصبح العالمُ بذلك أقربَ إلى الحاكم منه إلى مجرد عالم ! ، وهو بعض الآثار الوخيمة التي ترتبت على ترك العمل بفريضة الخمس بمعناها الذي فهمه أهل البيت عليهم السلام .

التقليد

يقول الشيعة : أمّا فروع الدّين وهي أحكام الشريعة المتعلّقة بالأعمال العبادية : كالصلاة والصيام ، والزكاة والحج فالواجب في أحكامها أحد الأمور الثلاثة :

أ ـ أن يجتهد وينظر الإنسان في أدلّة الأحكام إذا كان أهلاً لذلك .

ب ـ أو أن يحتاط في أعماله إذا كان يسعه الإحتياط .

ت ـ أو أن يقلّد المجتهد الجامع للشرائط ، بأن يكون من يقلّده حيّاً عاقلاً ، عادلاً ، عالماً ، صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه .

والإجتهاد في الأحكام الفرعية واجب كفائي على جميع المسلمين ، فإذا نهض به من اجتمعت فيه الشروط سقط عن باقي المسلمين ، فيجوز لهم تقليده والرجوع إليه في فروع دينهم ، لأنّ رتبة الإجتهاد ليست من الأمور الميسورة ولا هي في متناول الجميع ـ بل تحتاج إلى كثير من الوقت والعلوم والمعارف والإطّلاع ، وهذا لا يتهيأ إلّا لمن جدّ وكدّ وأمضى عمره في البحث والتعلّم ، ولا ينال الإجتهاد إلّا ذو حظّ عظيم .

قال صلّى الله عليه وآله وسلّم :

« من أراد الله به خيراً فقّهه في الدّين » .

وقول الشيعة هذا لا يختلف عن قول أهل السنّة والجماعة ، إلاّ في شرط حياة المجتهد .

غير أنّ الخلاف الواضح بينهم هو في العمل بالتقليد إذ أنّ الشيعة يعتقدون بأن المجتهد الجامع للشروط المذكورة ، هو نائب للإمام عليه السّلام في حال غيبته فهو الحاكم والرئيس المطلق ، له ما للإمام في الفصل في القضايا والحكومة بين النّاس ، والرّادّ عليه رادّ على الإمام .

فليس المجتهد الجامع للشروط عند الشيعة مرجعاً يرجع إليه في الفتيا فحسب ، بل أنّ له الولاية العامّة على مقلّديه فيرجعون إليه في الأحكام والفصل بينهم في ما اختلفوا فيه من القضاء ، ويعطونه الزكاة وخمس أموالهم يتصرّف بها كما تفرضه عليه الشريعة نيابة عن إمام الزّمان (عليه السلام) .

أمّا عند أهل السنّة والجماعة فليس للمجتهد هذه المرتبة ، ولكنّهم يرجعون في المسائل الفقهية لأحدِ الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب ، وهم أبو حنيفة ومالك، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، والمعاصرون من أهل السنّة قد لا يلتزمون بتقليد واحد من هؤلاء على سبيل التعيين ، فقد يأخذون بعض المسائل من أحدهم والبعض الآخر من غيره حسبما تقتضيه حاجتهم كما فعل ذلك السيد سابق الذي ألف فقهاً مأخوذاً من الأربعة .

لأنّ أهل السنّة والجماعة يعتقدون بأن الرّحمة في إختلافهم فللمالكي مثلاً أن يأخذُ برأي أبي حنيفة إذا وجدَ حلاً لمشكلته قد لا يجده عند مالك .

وأضربُ لذلك مثلاً حتّى يتبيّن للقاريء فيفهم المقصود كان عندنا في تونس (في وقت المحاكم القضائية) فتاةً بالغة أحبّتْ رجُلاً وأرادتْ الزّواج منه ، ولكنّ أباها رفض أن يزوّجَها من هذا الشاب لسبب « الله أعلم به » فهربت الفتاة من بيت أبيها وتزوجتْ ذلك الشّاب بدون إذْن أبيها ، ورفع الأب شكوى ضدّ الزواج .

ولمّا حضرت الفتاة وزوجها لدى القاضي وسألَهَا عن السبب في الهروب من البيت والزواج بدون إذن وليّها قالتْ : سيدي ، أنا عمري خمسة وعشرون عاماً وأحبْبتُ الزواج من هذا الرجل على سنّة الله ورسوله ، ولأن أبي يريد أن يزوجني بمن أكره ، فتزوجتُ على رأي أبي حنيفة الذي يعطيني حق الزواج بمن أحبّ لأني بالغة .

يقول القاضي رحمة الله عليه (روى لي هو بنفسه هذه القصّة) « فجئنا في المسألة فوجدناها على حقّ ، وأعتقد بأن أحد العلماء المطّلعين هو الذي لقّنها ماذا تقول » يقول هذا القاضي فرددتُ دعوة الأب وأمضيتُ الزواج فخرج الأب غاضباً يضرب يديه على بعضها ويقول : « حَنّفَتْ الكَلْبَة » أي أن إبنته تركت مالك واتبعتْ أبا حنيفة ، وكلمة الكلبة فيها إهانة لإبنته التي قال فيها بعد بأنه يتبرّأ منها . والمسألة هي إختلاف في إجتهاد المذاهب فبينما يرى مالك أنّ الفتاة البكر لا يصحّ زواجها إلاّ بإذن ولي الأمر وحتى إذا كانت ثيبا فهو شريكها في الزواج فلا تنفرد به وحدها ولا بدّ من موافقته ، يرى أبو حنيفة : أن البالغة بكراً كانتْ أم ثيباً ، لها أن تنفرد باختيار الزّوج وأن تنشىء العقد بنفسها .

فهذه المسألة الفقهية فرّقتْ بين الأب وابنته حتّى تبرّأ منها وكثيراً ما كان الآباء يتبرّؤون من بناتهم لعدّة أسباب منها الهروب من البيت مع رجُلٍ تحبُّ الزواج منه ولهذا التبرىء عواقب وخيمة إذ أنّ الأب يلجأ في أغلب الأحيان إلى حرمان إبنته من الميراث وتبقى الفتاة عدوّة للإخوة الذين يتبرّؤون بدورهم من أختهم التي جلبت لهم العار .

فليست القضية إذن كما يقول أهل السنّة بأن في إختلافهم رحمة ـ أو على الأقل ليست الرّحمة في كلّ القضايا الخلافية .

ويبقى بعد هذا خلاف آخر بينهما ألا وهو تقليد الميّت ، فأهل السنّة يقلّدون أئمةً ماتوا منذ قرون ، وأغلق عندهم باب الإجتهاد من ذلك العهد ، وكلّ من جاء بعدهم من العلماء إقتصروا على الشروح والمدوّنات شعراً ونثراً لفقه المذاهب الأربعة ، وقد تعالت أصوات المنادين من بعض المعاصرين بفتح الباب

والرجوع للإجتهاد لما تقتضيه مصلحة الزّمان ولما إستجدّ من أمور كانت مجهولـه في زمن الأئمة الأربعة .

أمّا الشيعة فلا يجوّزون تقليد الميّت ويرجعون في كل أحكـامهم إلى المجتهد الحي الجامع للشروط التي ذكرناها سابقاً وذلك بعـد غيبة الإمـام المعصوم والـذي كلّفهم بالرجوع إلى العلماء العدول في زمن غيبته وحتّى ظهوره .

فالسنّي المالكي مثلاً يقول : هذا حلال وهذا حرام على قول الإمام مالك : وهـو ميّت منذ أكـثر من اثني عشر قرنـاً ، وكذلـك يقول السنّي الحنفي والشـافعي والحنبلي لأنّ هؤلاء الأئمة عاشوا في عصر واحد وتتلمذ بعضهم على بعض .

كما لا يعتقد السنّي في عصمـة هؤلاء الأئمة الـذين لم يدّعـوها لأنفسهم بـل جوّزوا عليهم الخطأ والصواب ويقولون بأنهم مـأجورون في كـل إجتهاداتهم فلهم أجران إن أصابوا ولهم أجرٌ واحد إذا أخطأوا .

والشيعي الإمامي مثلاً عنده مرحلتان في التقليد :

المـرحلة الأولى : وهي زمن الأئمة الإثنى عشر وقـد إمتـدّتْ هـذه المـرحلة ثلاثة قرون ونصف تقريباً ، وفيها كان الشيعي يقلّد الإمام المعصوم الذي لا يقول برأيه واجتهاده ، وإنما بعلم وروايات توارثهـا عن جدّه رسـول الله صلّى الله عليـه وآله وسلّم فيقول في المسألة : روى أبي عن جدّي عن جبريل عن الله عزَّ وجلّ .

المـرحلة الثانيـة : وهي زمن الغيبة التي إمتـدّت حتى اليوم فـالشيعي يقول هذا حلال وهذا حرام على رأي السيد الخـوئي أو السيد الخميني مثـلاً . وكلاهمـا حيّ ورأيهـما لا يتعدّى الإجتهـاد في إستنباط الأحكـام من نصوص القـرآن والسنّة على روايات أئمة أهل البيت أولاً ثم الصحابة العدول ثانياً وهم عندما يبحثون في روايات أئمة أهل البيت بالدرجة الأولى ذلك لأنّ هؤلاء الأئمة يـرفضون إستعـمال الرأي في الشريعة ويقولون : ما من شيء إلاّ ولله فيه حكم ، فإذا ما فقـدنا حكـماً في مسـألة مَـا فليس ذلك يعني أنّ الله سبحـانه أهمله ، ولكن قصـورنـا وجهلنـا لم يصلا بنا إلى معرفة الحكم ـ فالجهل بالشيء وعدم معرفته ليس دليـلاً على عـدمه ـ

والدّليل على ذلك قوله سبحانه وتعالى ﴿ وما فرّطنا في الكتاب من شيء ﴾[1]

(1) سورة الأنعام آية 38 .

العقائد التي يشنع بها
أهل السنة على الشيعة

ومن العقائد التي يشنّع بها أهل السنّة على الشيعة ما هو من محض التعّب المقيت الذي أولده الأمويّون والعبّاسيون في صدر الإسلام، بما كانوا يحقدون على الإمام علي ويبغضونه حتّى لعنوه على المنابر أربعين عاماً .

فلا غرابة أنْ يشتموا كل من تشيّع له ويرموه بكل عار وشنار حتى وصل الأمر بهم أن يقال لأحدهم يهودي أحب إليه من أن يقال له شيعي . ودأب أتباعهم على ذلك في كل عصر ومصر وأصبح الشيعي مسبّة عند أهل السنّة والجماعة لأنّه يخالفهم في معتقداتهم وخارج عن جماعتهم ، فهم يقذفونه بما شاؤوا ويرمونه بكل التّهم وينبزونه بشتّى الألقاب ، ويخالفونه في كل أقواله وأفعاله .

الا ترى بأنّ بعض علماء أهل السنّة المشهورين يقولون : « بأن لبس الخاتم في اليد اليمنى هو سنّة نبوية ، ولكن يجبُ تركُهَا لأن الشيعة إتخذوا ذلك شعاراً لهم »[1] .

---

(1) مصنّف « الهداية » .
كما أخرج الزمخشري في كتابه ربيع الأبرار بأنّ أول من تختّم باليسار خلاف السنّة النبوية هو معاوية بن أبي سفيان .

وهذا حجة الإسلام أبو حامد الغزالي يقول : إنّ تسطيح القبور هو المشروع في الدّين لكن لمّا جعلته الرافضة شعاراً لهم عدلنا عنه إلى التسنيم .

وهذا ابن تيمية الموصوف بالمصلح المجدد عند بعضهم يقول : ومن هنا ذهب من الفقهاء إلى ترك بعض المستحبّات إذا صارت شعاراً لهم . أي للشيعة ـ فإنّه وإن لم يكن الترك واجباً لذلك ، لكن في إظهار ذلك مشابهة لهم فلا يتميّز السنّي من الرّافضي ، ومصلحة التمييز عنهم لأجل هجرانهم ومخالفتهم أعظم من مصلحة هذا المستحب[1] .

وقال الحافظ العراقي عندما تساءل عن كيفية إسدال العمامة : لم أرَ ما يدلّ على تعيين الأيمن إلاّ في حديث ضعيف عند الطبراني ، وبتقدير نبوته فلعلّه كان يرخيها من الجانب الأيمن ثم يردّها إلى الجانب الأيسر كما يفعله بعضهم ، إلاّ أنّه صارَ شعاراً للإماميّة فينبغي تجنّبه لترك التشبّه بهم[2] .

سبحان الله ! ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله ! أنظر أخي القاريء إلى هذا التعصّب الأعمى كيف يُجيز لهؤلاء « العلماء » أن يخالفوا سنّة النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لأنّ الشيعة تمسّكتْ بتلك السّنين حتّى صارت شعاراً لهم ، ثم هم لا يتحرجون من الإعتراف بذلك صراحة ، وأنا أقول الحمد لله الذي أظهر الحقّ لذي عينين ولكل مخلص يبحث عن الحقيقة ، الحمد لله الذي أظهر لنا بأنّ الشيعة هُمُ الذين يتّبعون سنّة رسول الله وذلك بشهادتكم أنْتُم ! كما شهدتم على أنفسكم بأنّكم تركتُم سنّة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عمداً لتخالفوا بذلك أئمة أهل البيت وشيعتهم المخلصين واتبعتم سنّة معاوية بن أبي سفيان كما شهد بذلك الإمام الزمخشري عندما أثبتَ أنّ أول من تختّم باليسار خلاف السنّة النبوية هو معاوية بن أبي سفيان[3] .

---

(1) منهاج السنّة لابن تيمية ج 2 ص 143 (التشبّه بالروافض) .
(2) شرح المواهب للزرقاني ج 5 ص 13 .
(3) الزمخشري في كتاب ربيع الأبرار .

واتبعتُم سنّـة عمر في بـدعته للتراويـح خـلافـاً للسنّـة النبـويـة التي أمـرتُ المسلمـين بصلاة النـافلة في بيوتهم فُـرادى لاَ جماعـة كـما أثبت ذلـك البخـاري في صحيحه[1] وكما اعترف عمر نفسه بأنها بدعة [2] ابتدعها مـع أنّه لم يصلّهـا لأنّه لا يؤمن بها ، فقد جاء في البخاري عن عبد الرحمن بن عبد القاريّ أنّه قال خـرجتُ مع عمر بن الخـطاب رضي الله عنه ليلة في رمضـان إلى المسجد فـإذا النّاسُ أوزاع متفرّقون يصلّي الرجلُ لنفسه ويصلّي الرجلُ فيُصَلّي بصـلاته الـرّهطُ فقال عمـر إني أرى لو جمعتُ هؤلاء على قارىء واحدٍ لكان أمثل ، ثم عـزم فجمعهم على أبي بن كعب ، ثم خرجتُ معه ليلة أخرى والنّاس يصلّون بصلاة قارئهم ، قال عمرُ نعم البدعةُ هذه . . . [3]

ومن المستغرب عدهـا نعمة بعـد نهي الرسـول عنها ؟ وذلـك عندمـا رفعوا أصواتهم وحصبوا بابَهُ ليصـلّي بهم نافلة رمضـان ، فخرج إليهم مغضبـاً فقال لهم صلّى الله عليه وآله وسلّم :

« ما زال بكم صنيعكم حتىّ ظننتُ أنّه سيكتَبُ عليكم ، فعليكم بالصلاة في بيوتكم فإنّ خير صلاة المرء في بيتِهِ إلاّ الصلاة المكتوبة » [4] .

كما إتّبعتم سنّة عثمان بن عفّان وهي إتمام صلاة السفر خلافـاً لسنة الـرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم التي صلاّها قصراً [5] .

ولو أردت أن أحصي ما خالفتُم به سنّة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لاستوجب ذلك كتاباً خاصّاً ولكن تكفي شهادتكم فيما أقـررتم به عـلى أنفسكم ـ وتكفي شهادتكم أيضاً بإقراركم بأنّ الشيعة الروافض هم الذين إتّخذوا سنّة النّبي شعاراً لهم .

---

(1) صحيح البخاري ج 7 ص 99 (باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله عزّ وجلّ) .
(2، 3) صحيح البخاري ج 2 ص 252 (كتاب صلاة التراويح) .
(4) صحيح البخاري : ج 7 ص 99 (باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله عزّ وجلّ)
(5) صحيح البخاري ج 2 ص 35 وكذلك تأولتْ عائشة فصلّت أربعاً ص 36 .

أفبعد هذا يبقى دليل على قول الجهلة الذين يدّعون بأنّ الشيعة إتّبعوا علي بن أبي طالب ، أمّا أهل السنّة فإنهم إتّبعوا رسول الله ؟ أيريد هؤلاء أن يثبتوا بأنّ عليّاً خالف رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وابتدع ديناً جديداً ؟ كبُرتْ كلمة تخرجُ من أفواههم ، فعلي هو محض السنّة النبوية وهو مفسّرُها والقائم عليها وقد قال فيه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم :

« علي منّي بمنزلتي من ربّي »[1] .

أي كما أنّ محمّد هو الوحيد الذي يُبلّغُ عن ربّه ، فعليٌّ هو الوحيد الذي يبلّغ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ولكنّ ذنب علي هو أنّه لم يعترف بخلافة من قبله وذنبُ شيعته أنهم إتّبعوه في ذلك فرفضوا أن ينْضوُوا تحت خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ولذلك سمّوهم « الروافض » .

فإذا أنكر هؤلاء السنّة على معتقدات الشيعة وأقوالهم فهو لسببين ، أوّلهما العداء الذي أجج ناره حكام بين أميّة بالأكاذيب والدعايات واختلاف الروايات المزوّرة .

وثانيهما : لأنّ معتقدات الشيعة تتنافى وما ذهبوا إليه من تأييد الخلفاء وتصحيح أخطائهم واجتهاداتهم مقابل النصوص خصوصاً حكّام بني أميّة وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان .

ومن هنا يجد الباحث المتتبّع أنّ الخلاف بين الشيعة وأهل السنّة نشأ يوم السقيفة ، وتفاقم ، وكل خلاف جاء بعده فهو عيالٌ عليه ، وأكبر دليل على ذلك أنّ العقائد التي يُشنّع أهل السنة على إخوانهم من الشيعة ، ترتبط إرتباطاً وثيقاً بموضوع الخلافة وتتفرع منه ، كعدد الأئمة والنّص على الإمام ، والعصمة ، وعلم الأئمة ، والبداء ، والتقية والمهدي المنتظر وغير ذلك .

---

(1) الصواعق المحرقة لابن حجر ص 106 ـ ذخائر العقبى ص 64 .
الرياض النضرة ج 2 ص 215 ـ إحقاق الحق ج 7 ص 217 .

ونحن إذا بحثنَا في أقوال الطرفين مجرّدين عن العاطفة فسوف لا نجـد بُعداً شاسعاً بين معتقداتهم ، ولا نجدُ مُبرّراً لهذا التهويل وهذا التشنيع ، لأنّك عنـدما تقرأ كتب السنّة الذي يشتمون الشيعة ، يخيّل إليك بأنّ الشيعـة ناقضـوا الإسلام وخالفوه في مبادئه وتشريعه ، وابتدعوا ديناً آخر .

بينما يجد الباحث المنصف في كل عقائد الشيعة أصْلاً ثابتاً في القـرآن والسنّة وحتّى في كتب من يُخالفهم في تلك العقائد ويُشنّع بما عليهم .

ثم ليس هنـاك في تلك العقائـد ما يخالف العقـلَ أو النّقـل أو الأخـلاق ـ وليتبَينَ لك أيها القارىء اللبيب صحّة ما أدّعيه سأستعرض معك تلك العقائد .

العصمة

يقول الشيعة : ونعتقدُ أنّ الإمام كالنّبي يجبُ أن يكون معصوماً من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن ، من سنّ الطفولة إلى الموت ، عمداً وسهواً .

كما يجبُ أن يكون معصوماً من السهو والخطأ والنسيان ، لأنّ الأئمة حفظة الشرع والقوّامين عليه حالهم في ذلك حال النّبي والدليل الذي إقتضانا أن نعتقد بعصمة الأنبياء هو نفسه يقتضينا أن نعتقد بعصمة الأئمة بلا فرق[1] .

نعم هذا كما نرى هو رأي الشيعة في موضوع العصمة فهل فيه ما ينافي القرآن والسنّة ؟ أو ما يقول العقل باستحالته ؟ أو ما يشين الإسلام ويُسيء إليه ، أو ما يُنقصُ قدر النبي أو الإمام ؟

حاشا وكلاّ ، لم نجد في هذا القول إلاّ التأييد لكتاب الله وسنّة نبيّه ، وما يتماشى مع العقل السليم ولا يناقضه ، وما يرفع من قيمة النّبي والإمام ويشرّفه .

ولنبدأ بحثنا في استقراء القرآن الكريم .

---

(1) عقائد الإمامية ص 67 العقيدة رقم 24

قال تعالى : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجْس أهل البيت ويطهركم تطهيرا . .** ﴾[1] .

فإذا كان إذهاب الرجس الذي يشمل كل الخبائث ، والتطهير من كل الذنوب ، لا يفيد العصمة ، فما هو المعنى إذاً ؟؟

يقول الله تعالى :

﴿ **إنّ الذين إتّقوا إذا مسّهم طائف من الشيطان تذكرّوا فإذا هم مبصرون** ﴾[2] .

فإذا كان المؤمن التّقي يعصمه الله من مكايد الشيطان إذا حاول إستفزازه وإضلاله ، فيتذكّر ويبصر الحقّ فيتّبعه ، فما بالك بمن إصطفاهم الله سبحانه وأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً . ؟

ويقول تعالى :

﴿ **ثم أورثنا الكتاب الذين أصطفينا من عبادنا** ﴾[3] والذي يصطفيه الله سبحانه يكون بلا شك معصوماً من الخطأ وهذه الآية بالذات هي التي إحتجّ بها الإمام الرضا من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) على العلماء الذين جمعهم الخليفة العبّاسي المأمون ابن هارون الرشيد وأثبت لهم بأنّهم (أي أئمة أهل البيت) هم المقصودون بهذه الآية وبأنّ الله إصطفاهم وأورثهم علم الكتاب ، واعترفوا له بذلك[4] .

هذه بعض الأمثلة ممّا جاء في القرآن الكريم وهناك آياتٌ أخرى تفيد العصمة للأئمة كقوله ﴿ **أئمة يهدون بأمرنا** ﴾ وغيرها ولكن نكتفي بهذا القدر روماً للإختصار دائماً .

---

(1) سورة الأحزاب آية 33 .

(2) سورة الأعراف آية 201 .

(3) سورة فاطر آية 32 .

(4) العقد الفريد لابن عبد ربّه ج 3 ص 42 .

وبعد القرآن الكريم فإليك ما ورد في السنّة النبوية

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم :

« يا أيها النّاس إني تارك فيكم ما إنْ أخذتم به لن تضلّوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي »[1] .

وهو كما ترى صريحٌ بأنّ الأئمة من أهل البيت معصومون أولاً لأن كتاب الله معصوم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو كلام الله ، ومن شك فيه كفر .

ثانياً : لأن المتمسّك بهما « الكتاب والعترة » يأمنُ من الضلالة فدلّ هذا الحديث على أن الكتاب والعترة لا يجوز فيهما الخطأ .

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم :

« إنّما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلّف عنها غرق »[2] .

وهو كما ترى صريح في أن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام معصومون ، عن الخطأ ولذلك يأمن وينجو كل من ركب سفينتهم وكلّ من تأخّر عن ركوب سفينتهم غرق في الضلالة .

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم :

« من أحبّ أن يحيا حياتي ويموت ميتتي ويدخل الجنّة التي وعدني ربي ، وهي

---

(1) صحيح الترمذي ج 5 ص 328 .
الحاكم في المستدرك ج 3 ص 148 .
الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج 5 ص 189 .

(2) مستدرك الحاكم ج 2 ص 343 .
كنز العمّال ج 5 ص 95 .
الصواعق المحرقة لابن حجر ص 184 .

جنّة الخلد ، فليتولّ علياً وذريته من بعده فإنهم لن يخرجوكم باب هدى ولن يدخلوكم باب ضلالة »[1] .

وهو كما ترى صريح في أنّ الأئمة من أهل البيت وهم عليّ وذريته معصومون عن الخطأ لأنهم لن يُدخلوا النّاس الذين يتبّعوهم في باب ضلالة ، ومن البديهي أنّ الذي يجوز عليه الخطأ لا يمكنُ له هداية النّاس .

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم :

« أنا المنذرُ وعليٌّ الهادي ، وبك يا علي يهتدي المهتدون من بعدي »[2] .

وهذا الحديث هو الآخر صريح في عصمة الإمام كما لا يخفى على أولي الألباب .

والإمام علي نفسه أثبتَ العصمة لنفسه وللأئمة من ولده عندما قال : « فأين تذهبون وأنّى تؤفكون ؟ والأعلام قائمةٌ والآياتُ واضحةٌ ، والمنار منصوبةٌ فأين يُتاه بكم ، بل كيف تعمهون وبينكم عترة نبيّكم وهم أزمّة الحق ، وأعلام الدّين ، وألسنةُ الصدق ، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن وردوهم ورود الهيم العطاش ، أيها النّاس خذوها من خاتم النبيّين صلّى الله عليه وآله وسلّم إنه يموت

---

(1) كنز العمّال ج 6 ص 155 . ومجمع الزوائد للهيثمي ج 9 ص 108 .
الإصابة لابن حجر العسقلاني ـ الطبراني في الجامع الكبير . تاريخ ابن عساكر ج 2 ص 99 .
مستدرك الحاكم ج 3 ص 128 حلية الأولياء ج 4 ص 349 ـ إحقاق الحق ج 5 ص 108 .

(2) تفسير الطبري ج 13 ص 108 تفسير الرّازي ج 5 ص 271 تفسير ابن كثير ج 2 ص 502 .
تفسير الشوكاني ج 3 ص 70 تفسير السيوطي الدر المنثور ج 4 ص 45 نور الأبصار ص 71 .
مستدرك الحاكم ج 3 س 129 تفسير ابن الجوزي ج 4 ص 307 . شواهد التنزيل ج 1 ص 293 الفصول المهمة ـ ينابيع المودة .

من ماتَ منّا وليس بميّتٍ ، ويبلى من بلي منّا وليس ببالٍ ، فلا تقولوا بما لا تعرفون فإنّ أكثر الحقّ فيما تنكرون ، واعذروا من لا حجة لكم عليه وأنا هو ، ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر وأترك فيكم الثقل الأصغر ، وركزتُ فيكم راية الإيمان . . . »[1] .

وبعد هذا البيان من القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة وأقوال الإمام علي الدالة كلها على عصمتهم سلام الله عليهم .

هل يرفض العقلُ عصمةَ من يصطفيه الله سبحانه للهداية ؟ والجواب : كلّا لا يرفض ذلك ، بالعكس ، العقل يقول : بوجوب تلك العصمة ، لأن من توكَلُ إليه مهمّة القيادة وهداية البشرية لا يمكنُ أن يكون إنساناً عاديّاً يعتريه الخطأ والنسيان وتُثقل ظهره الذنوب والأوزار فيكون عُرضة لانتقاص النّاس ونقدهم .

بل العقل يَفرض أن يكون أعلم النّاس في زمانه وأعدلهم وأشجعهم وأتقاهم ، وهي صفاتٌ ترفَعُ من شأن القائد وتُعظّمه في أعين الناس وتجلب له إحترام الجميع وتقديرهم وبالتّالي طاعتهم له بدون تحفّظ ولا تملّق .

وإذا كان الأمر كذلك ، فلماذا كل هذا التشنيع والتهويل على من يعتقد بذلك ؟

ويخيّلُ إليك وأنت تسمع وتقرأ إنتقاد أهل السنّة على موضوع العصمة بأن الشيعة ، هم الّذين يقلّدون وسام العصمة لمن أحبّوا ، أو أنّ القائل بالعصمة يقول مُنكراً وكفراً ، فلا هذا ولا ذاك ، إنّما العصمة عند الشيعة هي أن يكون المعصوم مُحاطاً بعناية إلهية ورعاية ربّانية فلا يتمكّن الشيطان من إغوائه ، ولا تتمكّن النفس الأمارة بالسوء من التغلّب على عقله فتجرّه للمعصية وهذا الأمر لم

---

(1) نهج البلاغة للإمام علي ج 1 ص 155 .
وقد علّق الشيخ محمد عبده في شرحه لهذه الخطبة بقوله : إنه يموت الميّت من أئمة أهل البيت وهو في الحقيقة غير ميت . لبقاء روحه ساطعة النور في عالم الظهور .

يحـرم الله منه عبـاده المتّقين كـما تقدم في آيـة ﴿ الذين اتقـوا إذا مسّهم طـائف من الشيطان تذكّروا فإذا هم مبصرون ﴾ .

وهذه العصمة الموقوتة لعباد الله في حالة معيّنـة ، قد تـزول لفقد سببهـا ألا وهي التقـوى ، فالعبـد إذَا كان بعيـداً عن تقوى الله لا يعصمـه الله ، أمّا الإمـام الذي إصطفاه الله سبحانه فلا يحيد ولا يتزحـزح عن التقوى وخشيـة الله سبحانـه وتعالى .

وقد جاء في القرآن الحكيم حكاية عن سيدنا يوسف عليـه السلام ﴿ ولقـد همّتْ به وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربّه ، كذلك لنصرف عنـه السّوء والفحشـاء إنه من عبادنا المخلصين ﴾[1] .

ولأن سيدنا يوسف لم يهم بالزنا كـما فسّره بعض المفسّرين فحاشـا أنبياء الله من هـذا الفعل القبيـح ، ولكنّه همّ بـدفعها وضربهـا إذا إقتضت الحال ولكنّ الله سبحـانه عصمـه من إرتكاب مثـل هذا الخـطأ لأنّه لـو فعله لكان سببـاً في إتّهامـه بالفاحشة وتكون حجّتها قويّة ضدّه فيلحقه منهم عند ذلك السّوء .

---

(1) سورة يوسف آية 24 .

عدد الأئمة (اثنى عشر)

يقـول الشيعة بـأنّ عدد الأئمـة المعصومـين بعد النّبي صـلّى الله عليه وآلـه وسلّم هو إثنا عشر إماماً لاَ يزيدون ولا ينقصون ، وقد ذكرهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بأسمائهم وعددهم[1] وهم :

1 ـ الإمام علي بن أبي طالب .
2 ـ الإمام الحسن بن علي .
3 ـ الإمام الحسين بن علي .
4 ـ الإمام علي بن الحسين (زين العابدين) .
5 ـ الإمام محمد بن علي (الباقر) .
6 ـ الإمام جعفر بن محمد (الصّادق) .
7 ـ الإمام موسى بن جعفر (الكاظم) .
8 ـ الإمام علي بن موسى (الرضا) .
9 ـ الإمام محمد بن علي (الجواد) .
10 ـ الإمام علي بن محمد (الهادي) .

---

(1) ينابيع المودّة للقندوزي الحنفي ص 99 الجزء الثالث .

11 ـ الإمام الحسن بن علي (العسكري) .
12 ـ الإمام محمد بن الحسن (المهدي المنتظر) .

فهؤلاء هم الأئمة الإثنا عشر الذين تقول الشيعة بعصمتهم ، حتّى لا ينطلي المكر على بعض المسلمين .

فالشيعة لا يعترفون قديماً وحديثاً بالعصمة إلّا لهؤلاء الأئمة الذين سمّاهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ولم يولَدوا بعدُ ، وقد أخرج بعض علماء السنّة أسماءهم كما مرّ علينا وأخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما حديث الأئمة بعددهم وهم إثنا عشر كلّهم من قريش[1] .

وهذه الأحاديث لا تصحّ ولا تستقيم إلّا إذا فسّرناها على أئمة أهل البيت الذين تقول بهم الشيعة الإمامية وأهل السنّة والجماعة هم المُطالبونَ بحلّ هذا اللّغز إذْ أنّ عدد الأئمة الإثنى عشر الذي أخرجوه في صحاحهم بقيَ حتّى الآن لُغزاً لا يجدون له جواباً .

---

(1) صحيح البخاري ج 8 ص 127 .
صحيح مسلم ج 6 ص 3 .

علم الأئمة

وممّا يشنّع به أهل السنّة والجماعة على الشيعة قولهم : بأنّ الأئمة من أهل البيت سلام الله عليهم قد خصّهم الله سبحانه بعلمٍ لم يشاركهم فيه أحد من النّاس ، ومن أنّ الإمام يكون أعلم أهل زمانه فلا يمكن أن يسأله أحد فيعجز عن الجواب !

فهل لهذا الإدّعاء من دليل ؟

ولنبدأ كما هي عادتنا في كل بحث بالقرآن الكريم .

يقول الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله :

﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين إصطفينا من عبادنا ﴾[1] فالآية تدلّ دلالة واضحة بأنّ الله سبحانه إصطفى عباداً من بين النّاس وأورثهم علم الكتاب ، فهل لنا أن نعرف هؤلاء العباد المصطفين ؟

ذكرنا في ما تقدّم بأنّ الإمام الثامن من أئمة أهل البيت علي بن موسى الرضا إستدلّ بنزول هذه الآية فيهم ، وذلك لمّا جمع له المأمون أربعين قاضياً من

---

(1) سورة فاطر آية 32 .

مشاهير القُضاة ، وأعدّ له كل واحد منهم أربعين مسألة ، فأجاب عليها وأفحمهم وأقرُّوا له بالأعلمية [1] .

وإذا كـان هذا الإمـامُ الثامن ولمّـا يبلغ من العمر أربعـة عشر عامـاً عندمـا وقعتْ هذه المُحاورة بينه وبين الفقهاء الذين أقـرّوا له بـالأعلمية فكيف يستغـربُ بعدها قول الشيعة بأعلميّتهم ما دام أنّ علماء السنّة وأئمتهم يعترفون لهم بذلك .

أمّا إذا أردنا تفسير القرآن بالقرآن فسوف نجد العديد من الآيات ترمي إلى معنى واحد وتبينّ بأنّه سبحانه ولحكمة بالغة إختصّ الأئمة من أهـل البيت النّبوي بعلمٍ من لَدُنْه موهوب حتّى يكونوا أئمة الهدى ومصابيح الدّجى .

قال تعالى : ﴿ **يؤتِ الحكمـة من يشاء ومن يؤت الحكمـة فقد أوتي خيـراً كثيراً وما يذكّر إلاّ أولُوا الألباب** ﴾ [2] .

وقال أيضاً : ﴿ **فلا أُقسم بمواقع النّجوم ، وإنه لقسمٌ لو تعلمـون عظيم ، إنّه لقرآنٌ كريم في كتاب مكنون لا يمسّه إلاّ المطهّرون** ﴾ [3] .

أقسمَ سبحانه في هذه الآية بقسم عظيم بأنّ القرآن الكريم له أسرار ومعانٍ باطنية مكنونة ، لا يدرك معانيها وحقائقها إلاّ المطهّرون ، وهم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجْس وطهّرهم تطهيراً .

دلّت الآيـة أيضاً عـلى أنّ للقرآن بـاطناً إختصّ الله سبحـانه بـه أئمة أهـل البيت ولا يمكن لغيرهم معرفتها إلاّ عن طريقهم .

ولذلك أشار رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى هذه الحقيقة فقال :

« لاَ تتقـدّموهم فتهلكـوا ولا تقصروا عنهم فتهلكـوا ، ولا تعلّمـوهم فـإنّهم

---

(1) العقد الفريد لابن عبد ربّه ج 3 ص 42 .

(2) سورة البقرة آية 269 .

(3) سورة الواقعة آية 75 ـ 79 .

أعلم منكم »[1] .

وكما قال الإمام علي نفسه :

«أين الذين زعموا أنهم الرّاسخون في العلم دوننا كذباً وبغياً علينا أن رفعنا الله ووضعهم ، وأعطانا وحرمهم ، وأدخلنا وأخرجهم ، بنا يُستعطى الهدى ويُستجلى العمى . . . إنّ الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاة من غيرهم »[2] .

وقالَ تعالى : ﴿ فاسئلوا أهل الذكر إن كنتُم لا تعلمون ﴾[3] وهذه الآية أيضاً نزلت في أهل البيت (عليهم السلام)[4] .

وتفيد بأنّ الأمة لا بد لها بعد فقد نبيّها أن ترجع إلى الأئمة من أهل البيت لمعرفة الحقائق ، وقد رجع الصحابة رضي الله تعالى عنهم إلى الإمام عليّ بن أبي طالب ليبينّ لهم ما أشكل عليهم ، كما رجع النّاس على مرّ السنين إلى الأئمة من أهل البيت لمعرفة الحلال والحرام ولينْهلوا من معارفهم وعلومهم وأخلاقهم .

وإذا كان أبو حنيفة يقول : لولا السنتان لهلك النعمان يقصد بذلك العامين الذين قضاهما في التعلم من الإمام جعفر الصادق .

وإذا كان الإمام مالك بن أنس يقول : ما رأتْ عينٌ ، ولاَ سمعتْ أذنٌ ، ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر الصادق فضلاً وعلماً وعبادة وورعاً[5] .

---

(1) الصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي ص 148 ـ الدر المنثور للسيوطي ج 2 ص 60 . كنز العمال ج 1 ص 168 أسد الغابة في معرفة الصحابة ج 3 ص 137 .

(2) نهج البلاغة ج 2 ص 143 شرح محمد عبده الخطبة رقم 143 .

(3) سورة النحل آية 43 وسورة الأنبياء آية 7 .

(4) تفسير الطبري ج 14 ص 134 تفسير ابن كثير ج 2 ص 570 تفسير القرطبي ج 11 ص 272 شواهد التنزيل للحسكاني ج 1 ص 334 ينابيع المودة إحقاق الحق للتستري ج 3 ص 482 .

(5) كتاب مناقب آل أبي طالب في أحوال الإمام الصّادق .

إذا كان الأمر كذلك باعتراف أئمة أهل السنّة والجماعة فلماذا كل هذا التشنيع وهذا الإستنكار بعد هذه الأدلّة وبعدما أثبت تاريخ المسلمين كافّة بأنّ أئمة أهل البيت عليهم السلام كانوا أعلم أهل زمانهم ، فأي غرابة في أن يخصّ الله سبحانه وتعالى أولياءه « الذين اصطفاهم » بالحكمة والعلم اللّدنّي ويجعلهم قدوة المؤمنين وأئمة المسلمين .

ولو تتبّع المسلمون أدلّة بعضهم بعضاً ، لاقتنعوا بقول الله ورسوله ، ولكانوا أمّة واحدة يشدّ بعضها بعضاً ، ولم يكن هناك إختلاف ولا مذاهب متعددة !

ولكن لا بدّ من كل ذلك ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ﴿ **ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيا من حي عن بيّنة وإن الله لسميع عليم** ﴾[1] .

---

(1) سورة الأنفال آية 42 .

البداء

وهو أن يبدو له شيء في أمر مَا يريد فعله ثم يتغيّر رأيه في ذلك الشيء فيفعل فيه غير ما عزم على فعله سابقاً .

وأمّا قول الشيعة بالبداء ونسبته إلى الله تعالى والتشنيع عليهم بأنه يستوجب نسبة الجهل والنقص إلى الله سبحانه وتعالى ـ كما يريد أهل السنّة والجماعة حمله على هذا المعنى ، فهذا التفسير باطل ولا تقول به الشيعة أبداً ومن ينسب ذلك إليهم فقد إفترى عليهم ، وهذه أقوالهم قديماً وحديثاً تشهد لهم .

قال الشيخ محمد رضا المظفر في كتابه عقائد الإمامية : « والبداء بهذا المعنى يستحيل على الله تعالى لأنّه من الجهل والنقص وذلك محالٌ عليه تعالى ولا تقول به الإمامية .

قال الإمام الصادق عليه السلام : « من زعم أنّ الله تعالى بدا لَهُ في شيء بداء ندامة فهو عندنا كافر بالله العظيم » ، وقال أيضاً : « من زعم أنّ الله بدا لَهُ في شيء ولم يعلمه أمس فأبرأ منه » .

إذاً فالبداء الذي تقول به الشيعة ، لا يتعدّى حدود القرآن في قوله سبحانه

وتعالى : ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ﴾[1] .

وهذا القول يقول به أهل السنّة والجماعة كما يقول به الشيعة ، فلماذا يشنّع على الشيعة ولا يشنّع على أهل السنّة والجماعة القائلين بأنّ الله سبحانه يُبدّل الأحكام ويُغيّر الآجال والأرزاق .

فقد أخرج ابن مردويه وابن عساكر عن علي رضي الله عنه أنّه سأل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن هذه الآية ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب ﴾ فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم :

« لأقرنّ عينيك بتفسيرها ، ولأقرنّ عين أمّتي بعدي بتفسيرها ، الصدقة على وجهها وبرّ الوالدين ، واصطناع المعروف ، يحوّل الشقاء سعادة ويزيد في العمر ويقي مصارع السّوء » .

وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب عن قيس بن عبّاد رضي الله عنه قال : لله أمرٌ في كل ليلة العاشر من أشهر الحرم ، أما العاشر من رجب ففيه يمحو الله ما يشاء ويثبت .

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ أنّه قال وهو يطوف بالبيت :

« اللّهم إن كنتَ كتبت عليَّ شقاوة أو ذنباً فامحه ، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت ، وعندك أم الكتاب ، فاجعله سعادة ومغفرة »[2] .

وأخرج البخاري في صحيحه[3] قصّة عجيبة وغريبة تحكي معراج النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ولقاءه مع ربّه ، وفيها يقول الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم :

---

(1) سورة الرعد : آية 39 .

(2) جلال الدين السيوطي في الدّر المنثور في التفسير بالمأثور ج 4 ص 661 .

(3) صحيح البخاري ج 4 ص 78 (كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة) .

« ثم فُرضتْ عليَّ خمسون صلاة فأقبلتُ حتىّ جئتُ موسى ، فقال : ما صنعتَ ؟ قلتُ : فُرضتْ عليَّ خمسون صلاة . قال : أنا أعلم بالنّاس منك عالجتُ بني إسرائيل أشدّ المعالجة وإن أمّتك لا تطيق ، فارجع إلى ربّك فسلْهُ ، فرجعتُ فسألتُه فجعلها أربعين ، ثم مثله ، ثم ثلاثين ثم مثله فجعل عشرين ، ثم مثله فجعل عشراً ، فأتيتُ موسى فقال : مثله فجعلها خمساً ، فأتيت موسى فقال : ما صنعتَ ؟ قلتُ جعلها خمساً فقال مثله ، قلتُ : فسلّمتُ فنوديَ إنيّ قد أمضيتُ فريضتي وخففّتُ عن عبادي وأجزي الحسنة عشراً »[1] .

وفي رواية أخرى نقلها البخاري أيضاً ، وبعد مراجعة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم ربّه عديد المرّات وبعد فرض الخمس صلوات ، طلب موسى (عليه السلام) من محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يُراجع ربّهُ للتخفيف لأنّ أمّته لا تطيق حتّى خمس صلوات، ولكن محمداً صلّى الله عليه وآله وسلّم أجابه : قد استحييت من ربّي[2] .

نعم إقرأ واعجب من هذه العقائد التي يقول بها رواة أهل السنّة والجماعة ، ومع ذلك فهم يشنّعون على الشيعة أتباع أئمة أهل البيت في القول بالبداء .

وهم في هذه القصّة يعتقدون بأنّ الله سبحانه فرض على محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم خمسين صلاة ، ثم بدا له بعد مراجعة محمد إيّاه أن جعلها أربعين ، ثم بدا له بعد مراجعة ثانية أن جعلها ثلاثين ، ثم بدا له بعد مراجعة ثالثة أن جعلها عشرين ثم بدا له بعد مراجعة رابعة أن جعلها عشراً ، ثم بدا له بعد مراجعة خامسة أن جعلها خمساً .

وبغض النظر عن قبولنا لهذه الرواية وعدمه فإن القول بالبداء عقيدة سليمة

(1، 2) صحيح البخاري ج 4 ص 250 (باب المعراج)
صحيح مسلم ج 1 ص 101 (باب الإسراء برسول الله وفرض الصلوات) .

تتماشى ومفاهيم الدّين الإسلامي وروح القرآن ﴿ **إن الله لاَ يُغيّر ما بقوم حتى يُغيّروا ما بأنفسهم** ﴾ ولولا إعتقادنا ـ سنّة وشيعة ـ بأنّ الله سبحانه يبدّلُ ويُغيّر، لما كان لصلاتنا ودعائنا من فائدة ولا تعليل ولا تفسير، كما أنّنا نؤمن جميعاً بأنّ الله سبحانه يبدّل الأحكام، وينسخ الشرائع من نبي لآخر بل وحتّى في شريعة نبيّنا صلّى الله عليه وآله وسلّم هناك ناسخ ومنسوخ، فالقول بالبداء ليس كفراً ولا خروجاً على الدّين، وليس لأهل السنّة أن يشنّعوا على الشيعة من أجل هذا الإعتقاد، كما أنّه ليس للشيعة أن يشنّعوا على أهل السنّة أيضاً.

والحقيقة أني أرى رواية المعراج هذه مستوجبة لنسبة الجهل إلى الله عزّ وجلّ، وموجبة لإنتقاص شخصية أعظم إنسان عرفه تاريخ البشرية، وهو نبيّنا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم، إذ تقول الرّواية بأنّ موسى قال لمحمّد: **إنا أعلم بالنّاس منك**، وتجعل هذه الرواية الفضل والمزيّة لموسى الذي لولاه لما خفّف الله عن أمّة محمد.

ولستُ أدري كيف يعلمُ موسى بأنّ أمّة محمد لا تطيق حتّى خمس صلوات في حين أنّ الله لا يعلمُ ذلك ويكلّف عباده بما لا يطيقون فيفرض عليهم خمسين صلاة ؟!

وهل تتصور معي أخي القاريء كيف تكون خمسين صلاة في اليوم الواحد، فلا شغل ولا عمل، ولا دراسة ولا طلب رزق ولا سعي ولا مسؤولية، فيصبح الإنسان كالملائكة مكلّف بالصلاة والعبادة، وما عليك إلاّ بعملية حسابية بسيطة لتعرف كذب الرواية، فإذا ضربتَ عشر دقائق ـ وهو الوقت المعقول لأداء فريضة واحدة للصلاة جماعة ـ في الخمسين فسيكون الوقت المفروض بمقدار عشر ساعات، وما عليك إلاّ بالصبر، أو أنّك ترفض هذا الدّين الذي يكلّف أتباعه فوق ما يتحمّلون ويفرض عليهم ما لا يطيقون.

فإذا كان أهل السنّة والجماعة يشنّعون على الشيعة قولهم بالبداء، وأنّ الله سبحانه وتعالى يبدو له فيغيّر ويبدّل كيف شاء فلماذا لا يشنّعون على أنفسهم في

قولهم بأنّ الله سبحانه يبدو له فيغيّر ويبدّل الحكم خمس مرّات في فريضة واحدة وفي ليلة واحدة وهي ليلة المعراج ـ

لعنَ الله التعصّب الأعمى والعناد المقيت الذي يغطي الحقائق ويقلّبها ظهراً على عقب ، فيتحامل المتعصّب على من يخالفه في الرأي وينكر عليه الأمور الواضحة ويقوم بالتشنيع عليه وبثّ الإشاعات ضدّه ، والتهويل في أبسط القضايا ، التي يقول هو بأكثر منها .

وهذا يذكّرني بما قاله سيدنا عيسى عليه السلام لليهود عندما قال لهم :

« أنتم تنظرون إلى التّبنةِ في أعين النّاس . ولاَ تنظرون إلى الخشبة في أعينكم » .

أو بالمثل القائل : « رمتني بدائها وانسلّت » ولعلّ البعض يعترض بأنّه لم يرد لفظ البداء عند أهل السنّة وبأنّ هذه القصّة وإن.كان معناها التغيير والتبديل في الحكم ولكن لا تقطع بأنّه بدا لله فيها .

وأقول هذا لأنّه كثيراً ما كنتُ أستعرض قصّة المعراج للإستدلال بها على القول بالبداء عند أهل السنّة ، فاعترض عليَّ بعضُهم بهذا الرأي ولكنّهم سلّموا بعدها عندما أوقفتهم على رواية أخرى من صحيح البخاري تذكر البداء بلفظة صراحة لا لبس فيها .

فقد روى البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال : « إنّ ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأعمى وأقرع بدا لله أن يبتليهم ، فبعث إليهم ملكاً فأتى الأبرص ، فقال : أي شيء أحبّ إليك ؟ فقال لون حسن وجلد حسن ، قد قذرني النّاس فمسحه فذهب عنه ، فأعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً ، ثم قال له : أي المال أحبّ إليك ، فقال : الإبل ، فأعطي ناقة عشراء ، وأتى الأقرع فقال : أي شيء ، أحبّ إليك ، قال : شعر حسن ويذهبُ عنّي هذا قد قذرني النّاس ، فمسحه فذهب عنه وأعطي شعراً حسناً ، ثم قال له : أي المال أحبّ إليك فقال : البقر ، فأعطاه بقرة حاملاً ، وأتى الأعمى فقال : أي شيء

أحب إليك قال : يرد الله بصري ، فمسحه فرد الله إليه بصره ، قال : فأي المال أحب إليك ، قال : الغنم ، فأعطاه شاة ولوداً . . .

ثم رجع الملك بعد أن تكاثرت عند هؤلاء الإبل والبقر والغنم حتّى أصبح يملك كل منهم قطيعاً فأتى الأبرص والأقرع والأعمى كلّ على صورته ، وطلب من كل واحد منهم أن يعطيه ممّا عنده فردّه الأقرع والأبرص فأرجعهما الله إلى ما كانا عليه ، وأعطاه الأعمى فزاده الله وأبقاه مبصراً »[1] .

ولهذا أقول لإخواني قول الله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قومٌ من قومٍ عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نساءٌ من نساءٍ عسى أن يكنّ خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الإسمُ الفسوقُ بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ﴾[2] .

كما أتمنّى من كل قلبي أن يثوب المسلمون إلى رشدهم وينبذُوا التعصّب ويتركوا العاطفة لتحلّ العقلُ محلّها في كلّ بحث ، حتّى مع أعدائهم وليتعلّموا من القرآن الكريم أسلوب البحث والنّقاش والمجادلة بالتي هي أحسن ، فقد أوحى إلى رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم بأنْ يقول للمعاندين **﴿ وإنّا أو إياكم لعلى هُدىً أو في ضلال مُبين ﴾**[3] فرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يرفع من قيمة هؤلاء المشركين ويتنازل هو ليعطيهم النصف حتّى يُدلوا ببرهانهم وأدلّتهم إن كانوا صادقين ـ فأين نحن من هذا الخلق العظيم .

---

(1) صحيح البخاري ج 2 ص 259 .

(2) سورة الحجرات آية 11 .

(3) سورة سبأ آية 24 .

التقية

وكما قدّمنا بالنّسبة إلى القول بالبداء فإنّ التقيّة هي أيضاً من الأمور المستنكرة عند أهل السنّة والجماعة وهم ينبزون بها إخوانهم الشيعة ويعتبرونهم منافقين إذ يظهرون ما لا يبطنون !!

وكثيراً ما حاورْتُ البعض منهم وحاولتُ إقناعهم بأنّ التقيّة ليستْ نفاقاً ، ولكنّهم لم يقتنعوا بل إنك تجد السّامع لهذا يشمئزّ أحياناً ، ويتعجّب أحياناً أخرى ، وهو يظنّ أنّ هذه العقائد مبتدعة في الإسلام وكأنّها من مختلقات الشيعة وبدعهم .

ولكن إذا بحث الباحث وأنصف المنصف سيجد أن هذه العقائد كلّها من صلب الإسلام وهي وليدة القرآن الكريم والسنّة النّبوية الشريفة ، بل لا تستقيم المفاهيم الإسلامية السمحاء والشريعة القويمة إلاّ بها .

والأمر العجيب في أهل السنّة والجماعة ، أنّهم يستنكرون عقائد يقولون بها ، وكتبهم وصحاحهم ومسانيدهم مليئة بذلك وتشهد عليهم .

فاقرأ معي ما يقوله أهل السنّة والجماعة في مسألة التقيّة :

ـ أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله

تعالى : ﴿ إلاّ أن تتّقوا منهم تُقاة ﴾[1] قال : التقيّـة باللسـان ، من حمل عـلى أمر يتكلّم به وهو معصيةٌ لله فيتكلّم به مخـافة النّـاس ، وقلبه مـطمئنٌ بالإيمـان ، فإن ذلك لا يضرّه ، إنما التّقية باللسان[2] .

ـ وأخـرج الحاكم وصحّحـه ، والبيهقي في سننه من طـريق عـطاء عن ابن عبّاس في قوله تعالى : ﴿ إلاّ أنْ تتّقوا منهم تقاة ﴾ قال : التقاة هي التكلّم بـاللّسان والقلب مطمئنّ بالإيمان[3] .

ـ وأخرج عبد بن حميد عن الحسن قال : التّقية جائزة إلى يوم القيامة[4] .

ـ وأخرج عبد بن أبي رجاء أنّه كان يقرأ : ﴿ إلاّ أنْ تتّقوا منهم تقيّةً ﴾[5] .

ـ وأخـرج عبـد الـرزاق وابن سعـد وابن جـريـر ، وابن أبي حـاتم وابن مـردويه ، وصححـه الحاكم في المستـدرك ، والبيهقي في الدّلائـل : قال : أخـذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتّى سبّ النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وذكر آلهتهم بخير ثم تركوه فلما أتى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال : ما وراءك شيء ؟ قـال : شرّ ، ما تُـركتُ حتّى نلتُ منك وذكـرتُ آلهتهم بخير قـال : كيف تجد قلبك ؟ قال : مطئنّ بالإيمان ، قال : إن عادوا فعد ، فنزلتْ ﴿ إلاّ من أكـره وقلبه مطمئنّ بالإيمان ﴾[6] .

ـ وأخـرج ابن سعد عن محمـد بن سيرين : أنّ النبي صـلّى الله عليـه وآلـه وسلّم لَقي عـماراً وهو يبكي ، فجعـل يمسحُ عن عينيـه ويقول : « أخـذك الكفّار فغطّوك في الماء فقلتَ كذ وكذا فإن عادوا فقل لهم ذلك »[7] .

---

(1) سورة آل عمران آية 28 .

(2) الدّر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي .

(3) سنن البيهقي ـ مستدرك الحاكم .

(4، 5) جلال الدين السيوطي في الدّر المنثور ج 2 ص 176 .

(6) سورة النحل آية 106 .

(7) الطبقات الكبرى لابن سعد .

- وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في سننه من طريق علي عن ابن عبّاس في قوله تعالى : ﴿ من كفر بالله . . . ﴾ الآية قال : أخبر الله سبحانه : بأنّ من كفر بالله من بعد إيمانه فعليه غضبٌ من الله وله عذاب عظيم ، فأمّا من أكره ، فتكلّم بلسانه وخالفه قلبُه بالإيمان لينجُوَ بذلك من عدوّه ، فلا حرج عليه ، لأنّ الله سبحانه إنّما يؤاخذ العباد بما عقدتْ عليه قُلوبهم [1] .

- وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد قال : نزلتْ هذه الآية في أُناس من أهل مكّة آمنوا ، فكتب إليهم بعض الصحابة بالمدينة ، أن هاجروا فإنّا لا نرى أنكم منّا حتّى تهاجروا إلينا ، فخرجوا يريدون المدينة فأدركتهم قريش في الطريق ففتنوهم ، فكفروا مُكرهينَ ، ففيهم نزلت هذه الآية ﴿ إلاّ من أُكرِهَ وقلبه مطمئن بالإيمان ﴾ [2] .

- وأخرج البخاري في صحيحه في باب المداراة مع الناس ويذكرُ عن أبي الدرْداء قال : « إنّا لنُكشّرُ في وجوه أقوامٍ وأن قلوبنا لتلعَنُهم » . [3] .

- وأخرج الحلبي في سيرته قال : لمّا فتح رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مدينة خيبر ، قال له حجاج بن علاط : يا رسول الله إنّ لي بمكّة مالاً ، وإنّ لي بها أهلاً ، وأنا أريد أن آتيهم فأنا في حلّ إن أنا نلتُ منك ، وقلتُ شيئاً ؟ فأذن له رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يقول ما يشاء » [4] .

- وجاء في كتاب إحياء العلوم للإمام الغزالي قوله : « إنّ عصمة دم المسلم واجبة ، فمهما كان القصد سفك دم مسلم قد إختفى من ظالم فالكذب فيه واجب [5] .

---

(1) سنن البيهقي .
(2) الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي ج 2 ص 178 .
(3) صحيح البخاري ج 7 ص 102
(4) السيرة الحلبية ج 3 ص 61 .
(5) إحياء علوم الدين لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي

ـ وأخرج جلال الدين السيوطي في كتاب الأشباه والنظائر . قال : « ويجوز أكل الميتة في المخمصة ، وإساغة اللقمة في الخمر والتلفّظ بكلمة الكفر ، ولو عمّ الحرامُ قطراً بحيث لا يوجد فيه حلال إلاّ نادراً فإنّه يجوز إستعمال ما يحتاج إليه » .

ـ وأخرج أبو بكر الرّازي في كتابه أحكام القرآن في تفسير قوله تعالى : ﴿ إلاّ أن تتّقوا منهم تُقاة ﴾ قال يعني أن تخافوا تلف النّفس أو بعض الأعضاء ، فتتّقوهم بإظهار الموالاة من غير إعتقاده لها ، وهذا هو ظاهر ما يقتضيه اللفظ ، وعليه الجمهور من أهل العلم ، كما جاء عن قتادة في قوله تعالى : ﴿ لاَ يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون الله ﴾ قال : لا يحلّ لمؤمن أن يتخذ كافراً وليّاً في دينه ، وقوله تعالى : ﴿ إلاّ أن تتّقوا منهم تقاة ﴾ يقتضي جواز إظهار الكفر عند التقية »(1) .

ـ وأخرج البخاري في صحيحه عن قتيبة بن سعيد عن سفيان عن ابن المكندر حدّثه عن عروة بن الزبير أنّ عائشة أخبرته أنّه إستأذن على النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم رجلٌ ، فقال : إئذنوا له فَبئس ابن العشيرة أو بئس أخو العشيرة ، فلمّا دخَلَ ألاَنَ له الكلامَ ، فقلتُ : يا رسول الله قُلتَ ما قُلتَ ثُم ألنْتَ له في القول ؟ فقال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم :

« أي عائشة إنّ شرّ النّاس منزلة عند الله من تركه أو ودعه النّاسُ إتّقاء فُحشِهِ »(2) .

وهذا يكفينا دلاَلة بعد إستعراض ما سبق على أن أهل السنّة والجماعة يؤمنون بجواز التّقية إلى أبعد حدودها من أنها جائزة إلى يوم القيامة كما مرّ عليك ومن وجوب الكذب كما قال الغزّالي ، ومن إظهار الكفر وهو مذهب الجمهور من أهل العلم كما إعترف بذلك الرّازي ومن جواز الإبتسام في الظاهر واللّعن في

---

(1) أحكام القرآن للرّازي ج 2 ص 10 .

(2) صحيح البخاري ج 7 ص 81 (باب لم يكن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فاحشاً ولا متفحشاً) .

الباطن كما إعترف بذلك البخاري ومن جواز أن يقول الإنسان ما يشاء وينال من رسول الله خوفاً على ماله كما صرّح بذلك صاحب السيرة الحلبية ، وأن يتكلّم بما فيه معصية الله مخافة الناس كما إعترف به السيوطي .

فلا مبرّر لأهل السنّة والجماعة في التشنيع والإنكار على الشيعة من أجل عقيدة يقولون بها هم أنفسهم ويروونها في صحاحهم ومسانيدهم بأنها جائزة بل واجبة ، ولم يزد الشيعة على ما قاله أهل السنّة شيئاً ، سوى أنهم إشتهروا بالعمل بها أكثر من غيرهم لما لاقوه من الأمويين والعباسيين من ظلم واضطهاد ، فكان يكفي في تلك العصور أن يقال : هذا رجلٌ يتشيّع لأهل البيت ليلاقي حتفه ويُقتَل شرّ قتلة على يد أعداء أهل البيت النّبوي .

فكان لا بدّ لهم من العمل بالتقيّة إقتداء بما أشارَ عليهم أئمة أهل البيت عليهم السلام ، فقد رُوي عن الإمام جعفر الصادق أنه قال « التقية ديني ودين أبائي » وقال : « من لا تقية له لا دين له » وقد كانت التقيّة شعاراً لأئمة أهل البيت أنفسهم دفعاً للضرر عنهم وعن أتباعهم ومحبّيهم ، وحقناً لدمائهم واستصلاحاً لحال المسلمين الذين فُتِنُوا في دينهم كما فُتِنَ عمار بن ياسر رضي الله عنه وحتّى أكثر .

أمّا أهل السنّة والجماعة فقد كانوا بعيدين عن ذلك البلاء لأنهم كانوا في معظم عهودهم على وفاق تام مع الحكّام فلم يتعرّضوا لا لقتلٍ ولا لنَهبٍ ولا لظلم ، فكان منَ الطبيعي جدّاً أن ينكروا التّقية ويشنّعون على العاملين بها وقد لعبَ الحكّام من بني أميّة وبني العبّاس دوراً كبيراً في التشهير بالشيعة من أجل التقية .

وبما أنّ الله سبحانه أنزلَ فيها قرآناً يُتلى وأحكاماً تُقضَى ، وبما أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عمل هو نفسه بها كما مرّ عليك في صحيح البخاري ، وأنّه أجاز لعمار بن ياسر أن يسبّه ويكفر إذا عاوده الكفار بالتعذيب ، وبما أنّ علماء المسلمين أجازوا ذلك إقتداء بكتاب الله وسنّة رسوله فأي تشنيع وأي استنكارٍ بعد هذا يصحّ أنْ يوجّه إلى الشيعة ؟!

وقد عمل بالتقية الصحابة الكرام في عهد الحكام الظالمين أمثال معاوية الذي كان يقتل كلّ من امتنع عن لعن علي بن أبي طالب ، وقصة حجر بن عدي الكندي وأصحابه مشهورة وأمثال يزيد وابن زياد والحجّاج وعبد الملك بن مروان وأضرابهم ولو شئتُ جمع الشواهد على عمل الصّحابة بالتّقية لاستوجب كتاباً كاملاً ، ولكن ما أوردتُه من أدلّة أهل السنّة والجماعة كاف بحمد الله .

ولا أترك هذه الفرصة تفوت لأروي قصّة طريفة وقعتْ لي شخصيّاً مع عالم من علماء أهل السنّة إلتقينا في الطائرة وكنا من المدعوّين لحضور مؤتمر إسلامي في بريطانيا وتحادثنا خلال ساعتين عن الشيعة والسنّة وكان من دعاة الوحدة وأُعجبتُ به غير أنّه ساءني قوله بأنّ على الشيعة الآن أن تترك بعض المعتقدات التي تُسبّبُ إختلاف المسلمين والطعن على بعضهم البعض ، وسألتُه مثل ماذا ؟ وأجاب على الفور : مثل المتعة والتقية ، وحاولتُ جهدي إقناعَه بأنّ المتعة هي زواج مشروع والتّقية رخصة من الله ، ولكنّه أصرّ على رأيه ولم يقنعه قولي ولاَ أدلّتي مدّعياً أن ما أوردتُه كلّه صحيح ولكن يجبُ تركه من أجل مصلحة أهم ألا وهي وحدة المسلمين .

واستغربتُ منه هذا المنطق الذي يأمرُ بترك أحكام الله من أجل وحدة المسلمين وقلتُ له مجاملة : لو توقّفتْ وحدة المسلمين على هذا الأمر لكنتُ أوّل من أجابَ .

ونزلْنا في مطار لندن وكنتُ أمشي خلفه ولّما تقدّمنا إلى شرطة المطار سُئل عن سبب قدومه إلى بريطانيا فأجابهم بأنه جاء للمعالجة ، وادّعيتُ أنا بأني جئتُ لزيارة بعض أصدقائي ، ومررنا بسلام وبدون تعطيل إلى قاعة إستلام الحقائب ، عند ذلك همستُ له : أرأيت كيف أنّ التقيّة صالحة في كل زمان ؟ قال : كيف ؟ قلتُ لأنّنا كذبنا على الشرطة ، أنا بقولي جئتُ لزيارة أصدقائي ، وأنتَ بقولك جئتُ للعلاج ، في حين أنّنا قدمنا للمؤتمر .

إبتسم وعرفَ بأنّه كذبَ على مسمع منّي فقال : أليس في المؤتمرات الإسلامية علاج لنفوسنا ؟ ضحكتُ قائلاً : أو ليس فيها زيارة لإخواننا ؟

أعـود إلى الموضـوع فأقـول بأنّ التقيـة ليستْ كما يـدّعي أهل السنّـة ـ بأنّها ضربٌ من النّفاق ، فالعكس هو الصحيح ، لأن النّفاق هـو إظهار الإيمـان وكتمان الكفر بينما التّقيّـة هو إظهـارُ الكفر وكتـمان الإيمان وشتّـانَ ما بـين الموقفـين ، هذا الموقف أعني النّفاق الذي قال في شأنه سبحانه وتعالى :

﴿ وإذا لقـوا الذين آمنـوا قالـوا آمنّا ، وإذا خلوا إلى شيـاطينهم قالـوا إنـا معكم إنما نحنُ مستهزئون ﴾ فهذا يعني إيمان ظاهر + كفر باطن = نفاقٌ .

أمّا الموقف الثاني أعنى التّقية التي قال في شأنها سبحانه وتعالى :

﴿ وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتُم إيمانه ﴾ فهـذا يعني كفرٌ ظـاهر + إيمان باطن = تقيّة .

فإنّ مؤمن آل فرعون كان يكتم في الباطن إيمانه ولا يعلم به إلاّ الله ويتظاهر لفرعون وللنّاس جميعاً أنّه على دين فرعون ـ (وقد ذكره الله في محكم كتـابه تعـظيماً لقدْرِه) .

وتعالى معي الآن أيها القارىء الكريم لتعرف قول الشيعـة في التقية حتى لاَ تغترَّ بما يقالُ فيهم كذباً وبهتاناً ـ

يقول الشيخ محمد رضا المظفّر في كتابه (عقائد الإمامية) ما هذا نصّه :

« وللتقية أحكامٌ من حيث وجـوبها وعـدم وجوبهـا بحسب إختلاف مـواقع خوف الضرر ، مذكـورة في أبوابهـا في كتب العلماء الفقهية ، وليستْ هي بـواجبة على كل حال ، بل قـد يجوز أو يجب خـلافها في بعض الأحـوال ، كما إذا كـان في إظهار الحقّ والتظاهر به نصرة للدّين وخدمة للإسلام وجهاد في سبيله ، فإنـه عند ذلك يستهانُ بالأموال ولا تعزّ النفوس . وقد تحرمُ التقيةَ في الأعمال التي تستـوجب قتل النفوس المحترمة أو رواجـاً للباطـل ، أو فساداً في الـدّين أوْ ضرراً بالغـاً على المسلمين . بإضلالهم أو إفشاء الظلم والجور فيهم .

وعل كل حـال ليس معنى التقية عنـد الإماميـة أنها تجعل منهم جمعيـة سرّية

لغاية الهدم والتخريب ـ كما يريد أن يصورها بعض أعدائهم غير المتورّعين في إدراك الأمور على وجهها ولا يكلّفون أنفسهم فهْم الرأي الصحيح عندنا .

كما أنه ليس معناها أنها تجعل الدّين وأحكامه سرّاً من الأسرار لَا يجوز أن يُذاع لمن لا يدين به ، كيف وكتب الإمامية ومؤلفاتهم فيما يخصّ الفقه والأحكام ومباحث الكلام والمعتقدات قد ملأت الخافقين وتجاوزت الحد الذي ينتظر من أية أمة تدين بدينها » . إنتهى كلامهُ .

وأنتَ ترى أنه ليس هناك نفاق ولا غشّ ولا دسّ ولا كذب ولا خداع كما يدعيه أعْداؤهم .

المتعة

(أو الزواج المؤقت)

والمقصود بها نكاح المتعة ، أو الزواج المنقطع ، أو الزواج المؤقت إلى أجل مسمّى ، وهي كالزواج الدائم لا تصحّ إلاّ بعقد يشتملُ على قبول وإيجاب ، كأن تقول المرأة للرجل زوّجْتك نفسي بمهر قدره كذا ولمدّة كذا فيقول الرجل قبلتُ .

ولهذا الزواج شروطه المذكورة في كتب الفقه عند الإمامية كوجوب تعيين المهر والمدّة ، فيصحّ بكل ما يتراضى عليه الطرفان ، وكحرمة التمتّع بذات محرم كما في الزواج الدّائم .

وعلى المرأة المتمتّع بها أن تعتدّ بعد إنتهاء الأجل بحيضتين وبأربعة أشهر وعشرة أيام في حالة وفاة زوجها .

وليس بين المتمتّعين إرثٌ ولا نفقة فلا ترثُه ولا يرثها والولد من الزواج المؤقت كالولد من الزواج الدائم تماماً في حقوق الميراث والنفقة وكل الحقوق الأدبية والمادّية ، ويلحقُ بأبيه .

هذه هي المتعة بشروطها وحدودها وهي كما ترى ليست من السفاح في شيء كما يدعيه الناس .

وأهل السنّة والجماعة كإخوانهم الشيعة متّفقون على تشريع هذا الزواج من الله سبحانه وتعالى في الآية 24 من سورة النساء بقوله : **﴿ فما استمتعتم به منهنّ فأتوهن أجورهنّ فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ، إنّ**

الله كان عليماً حكيماً ﴾ .

كما أنهم متّفقون في أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أذن بها واستمتع الصحابة على عهده .

إلاّ أنهم يختلفون في نسخها أو عدم نسخها فأهل السنّة والجماعة يقولون بنسخها وأنها حُرّمتْ بعد أنْ كانتْ حلالاً ، وأنّ النسخ وقع بالسنّة . لا بالقرآن .

والشيعة يقولون بعدم النّسخ وأنها حلال إلى يوم القيامة .

إذن فالبحث يتعلّق فقط في نسخها أو عدمه والنظر في أقوال الفريقين حتّى يتبينُ للقارىء جلية الأمر وأين يوجد الحق فيتّبعه بدون تعصّب ولا عاطفة .

أمّا من ناحية الشيعة القائلين بعدم النّسخ وحليّتها إلى يوم القيامة فحجّتهم هي : لم يثبتْ عندنا أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم نهى عنها ، وأئمتنا من العِترة الطاهرة يقولون بحليتها ولو كان هناك نسخٌ من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لعِلمهُ الأئمة من أهل البيت وعلى رأسهم الإمام علي فأهل البيت أدرى بما فيه ، ولكنّ الثابتْ عندنا أنّ الخليفة الثاني عمر بن الخطاب هو الذي نهى عنها وحرّمها إجتهاداً منه كما يشهد بذلك علماء السنّة أنفسهم ، ونحن لا نترك أحكام الله ورسوله لرأي واجتهاد عمر بن الخطّاب ! هذا ملخّص ما يقوله الشيعة في حليّة المتعة ، وهو قول سديد ورأيٌ رشيد ، لأنّ كل المسلمين مطالبون باتّباع أحكام الله ورسوله ورفض ما سواهما مهما علتْ مكانته إذا كان في اجتهاده مخالفة للنصوص القرآنية أو النّبوية .

أما أهل السنّة والجماعة فيقولون بأنّ المتعة كانتْ حلالاً ، ونزل فيها القرآن ورخّص فيها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وفعلها الصحابة ، ثم بعد ذلك نُسِخَتْ . ويختلفون في الناسخ لها . فمنهم من يقول بأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم نهى عنها قبل موته ، ومنهم من يقول بأنّ عمر بن الخطاب هو الذي حرّمها ، وقوله حجّة عندنا لقول الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم :

« عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين بعدي عضّوا عليها بالنواجذ » .

أمّا القائلين بتحريمها لأن عمر بن الخطاب حرّمها وأنّ فعله سنّة ملزمة ، فهؤلاء لا كلام لنا معهم ولا بحث لأنّه محض التعصّب والتكلّف ، وإلاّ كيف يترك المسلم قول الله وقول الرّسول ويخالفهما ويتبع قول بشر مجتهد يُخطىء ويصيب ـ هذا إذا كان إجتهاده في مسألة ليس فيها نصّ من الكتاب والسنّة ـ أمّا إذا كان هناك نصّ ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً ﴾[1] .

ومن لا يتفقْ معي على هذه القاعدة فعليه بمراجعة معلوماته في مفاهيم التشريع الإسلامي ودراسة القرآن الكريم والسُنة النبوية ـ فالقرآن دلّ بذاته في الآية المذكورة أعلاه ومثلها في القرآن كثير يدلّ على كفر وضلال من لا يتمسّك بالقرآن والسنّة النبوية .

أمّا الدليل من السنّة النبوية الشريفة فكثير أيضاً ، ولكن نكتفي بقول الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم :

« حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة » .

فليسَ من حقّ أحد أن يحلّل أو يُحرّم في مسألة ثبتَ فيها نصّ وحكم من الله أو من رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم .

ولكلّ ذلك نقول لهؤلاء الذين يريدون إقناعنا بأنّ أفعال الخلفاء الرّاشدين واجتهاداتهم مُلزمةٌ لنا ، نقول : ﴿ أتحاجّوننا في الله وهو ربّنا وربّكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون ﴾ [2] .

على أنّ هؤلاء القائلين بهذا الدّليل يوافقون الشيعة على دعواهم ويكونون حجّةً على إخوانهم من أهل السنّة والجماعة .

---

(1) سورة الأحزاب آية 36 .

(2) سورة البقرة آية 139 .

فبحثنا يتعلّق فقط مع الفريق القائل بأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم هو الذي حرّمها ونسخ القرآن بالحديث .

وهؤلاء مضطربون في أقوالهم وحجّتهم واهية لا تقوم على أساس متين ولو روى النهي عنه مسلم في صحيحه لأنّه لو كان هناك نهيٌ من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لما غاب عن الصحّابة الذين تمتّعوا في عهد أبي بكر وشطر من عهد عمر نفسه كما روى ذلك مسلم في صحيحه[1] .

قال عطاء قدم جابر بن عبد الله معتمراً فجئناه في منزله فسأله القومَ عن أشياء ثم ذكروا المتعة : فقال نعم إستمتعنا على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأبي بكر وعمر -

فلو كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم نهى عن المتعة لما جازَ للصحابة أن يتمتّعوا على عهد أبي بكر وعمر كما سمعتَ .

فالواقع أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لم ينهَ عنها ولا حرّمها وإنّما وقع النهيُ من عمر بن الخطاب كما جاء ذلك في صحيح البخاري .

- عن مسدّد حدّثنا يحيى عن عمران أبي بكر حدّثنا أبو رجاء عن عمران بن حُصين رضي الله تعالى عنه قال : نزلتْ أيةُ المُتعةِ في كتاب الله ففعلناها مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ولم يُنزلْ قرآنٌ يحرّمهُ ولم ينْهَ عنها حتّى مَاتَ قالَ رجلٌ برأيه ما شاء قال محمدٌ يقال إنّه عُمَرُ[2] .

فأنتَ ترى أيها القارىء أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لم ينهَ عنها حتّى ماتَ كما صرّح به هذا الصحابي وتراه ينسبُ التحرم إلى عمر صراحة وبدون غموض ويُضيف أنه قال برأيه ما شاء .

---

(1) صحيح مسلم ج 4 ص 158 .
(2) صحيح البخاري ج 5 ص 158 .

وها هو جابر بن عبد الله الأنصاري يقول صراحة : كنّا نستمتِع بالقبضة من التّمر والدّقيق الأيام على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأبي بكر حتّى نهى عنه عُمرُ في شأن عَمروٍ بن حُريث[1] .

وممّا يدلّنا على أنّ بعض الصحابة كانوا على رأي عمر وهذا ليس غريب إذ تقدّم في بحثنا خلال رزية يوم الخميس أن بعض الصحابة كانوا على رأي عمر في قوله بأنّ رسول الله يهجر وحسبنا كتاب الله ! وإذا ساندوه في مثل ذلك الموقف الخطير بما فيه من طعن على الرسول فكيف لا يوافقوه في بعض إجتهاداته ، فلنستمع إلى قول أحدهم : كنتُ عند جابر بن عبد الله فأتاه آتٍ فقال : ابن عبّاس وابن الزبير إختلفا في المتعتين ، فقال جابر : فعلناهما مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ثم نهانا عنهما عُمرُ فلم نعدْ لهما[2] .

ولذلك أعتقد شخصياً بأنّ بعض الصحابة نسبَ النهيَ عن المتعة وتحريمها إلى النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لتبرير موقف عمر بن الخطاب وتصويب رأيه .

وإلاّ فما يكون لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يحرّم ما أحلّ القرآن لأنّا لا نجدُ حكماً واحداً في كل الأحكام الإسلامية أحلّه الله سبحانه وحرّمه رسوله ، ولا قائل بذلك إلاّ معانداً ومتعصّباً ، ولو سلّمنا جدلاً بأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم نهى عنها فما كان للإمام علي وهو أقرب الناس للنبي وأعلمهم بالأحكام أن يقول :

« إن المتعة رحمةٌ رحم الله بها عباده . ولولا نهي عمر ما زنا إلاّ شقي »[3] .

على أنّ عمر بن الخطاب نفسه لم ينسب التحريم إلى النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بل قال قولته المشهورة بكل صراحة :

---

(1) صحيح مسلم ج 4 ص 131 .

(2) صحيح مسلم ج 4 ص 131 .

(3) الثعلبي في التفسير الكبير والطبري عند تفسير آية المتعة في تفسيره الكبير أيضاً .

« متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما ، متعة الحجّ ومتعة النّساء »[1] .

وهذا مسند الإمام أحمد بن حنبل خير شاهد على أنّ أهل السنّة والجماعة مختلفون في هذه المسألة إختلافاً كبيراً فمنهم من يتبع قول الرسول فيحلّلها ، ومنهم من يتّبع قول عمر بن الخطاب فيحرّمها ، أخرج الإمام أحمد :

ـ عن ابن عباس قال : تمتّع النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ، فقال عروة ابن الزبير : نهى أبو بكر وعمر عن المتعة ، فقال ابن عباس : ما يقول عُرية ؟ (تصغير لعروة) قال : يقول نهى أبو بكر وعمر عن المتعة ، فقال ابن عبّاس : أراهم سيهلكون أقول : قال النبي ويقولون نهى أبو بكر وعمر[2] .

وجاء في صحيح الترمذي أن عبد الله بن عمر سُئِل عن متعة الحجّ ، قال : هي حلال . فقال له السائل إنّ أباك قد نهى عنها . فقال : أرأيتَ إن كان أبي نهى عنها وصنعها رسول الله أأمر أبي أتبع أم أمر رسول الله ؟ فقال الرجل : بل أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم[3] .

وأهل السنّة والجماعة أطاعوا عمر في متعة النساء وخالفوه في متعة الحج ـ على أنّ النهي عنهما وقع منه في موقف واحد كما قدّمنا .

والمهم في كل هذا أنّ الأئمة من أهل البيت وشيعتهم خالفوه وأنكروا عليه وقالوا بحلّيتهما إلى يوم القيامة . وهناك من علماء أهل السنّة والجماعة من تبعهم في ذلك أيضاً وأذكر من بينهم عالم تونس الجليل وزعيم الجامع الزيتوني فضيلة الشيخ الطاهر بن عاشور رحمة الله عليه ، فقد قال بحلّيتها في تفسيره المشهور عند ذكره آية ﴿ فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ﴾[4] .

---

(1) التفسير الكبير للفخر الرّازي في تفسير قوله تعالى ﴿ فما استمتعتم به منهن ﴾ .

(2) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج 1 ص 337 .

(3) صحيح الترمذي ج 1 ص 157 .

(4) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج 3 ص 5 .

وهكذا يجب أن يكون العلماء أحراراً في عقيدتهم لا يتأثّرون بالعاطفة ولا بالعصبية ولا تأخذهم في الله لومة لائم

وبعد هذا البحث الموجز ، لا يبقى لتشنيع أهل السنّة والجماعة وطعنهم على الشيعة في إباحتهم نكاح المتعة مبرر ولا حجة ، فضلاً عن أن الدّليل القاطع والحجّة النّاصعة مع الشيعة

وللمسلم أنْ يتصوّر قول الإمام علي عليه السّلام : بأنّ المتعةَ رحمةٌ رحم الله بها عباده ، وفعلاً أية رحمة هي أكبر منها وهي تُطفي نار شهوة جامحة قد تطغى على الإنسان ذكراً كان أم أنثى فيصبحُ كالحيوان المفترس .

وللمسلمين عامّة وللشبّان خاصّة أن يعرفوا بأنّ الله سبحانه أوجب على الزاني عقوبة القتل رجماً بالحجارة على المحصنين ذكوراً وإناثاً ، فلا يمكن أن يترك عباده بغير رحمة وهو خالقهم وخالق غرائزهم ويعرف ما يصلحهم ، وإذا كان الله الرحمٰن الرحيم رَحم عباده بأنْ رخّص لهم في المتعة فلا يدخل في الزنا بعدها إلاّ الشّقي تماماً كالحكم بقطع يد السّارق ، فما دام هناك بيت مال للمعوزين والمحتاجين ، فلا يسرق إلاّ الشّقي .

القول بتحريف القرآن

هذا القول في حدّ ذاته شنيع لا يتحمّله مسلم آمن برسالة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم ، سواء كان شيعياً أم سنّياً .

لأن القرآن الكريم تكفّل ربّ العزّة والجلالة بحفظه فقال عزّ من قائل ﴿ **إنا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون** ﴾ فلا يمكن لأحد أن يُنقّص منه أو يزيد فيه حرفاً واحداً وهو معجزة نبيّنا صلّى الله عليه وآله وسلّم الخالدة ، والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

والواقع العملي للمسلمين يرفض تحريف القرآن لأنّ كثيراً من الصحابة كانوا يحفظونه عن ظهر قلب ، وكانوا يتسابقون في حفظه وتحفيظه إلى أولادهم على مرّ الأزمنة حتّى يومنا الحاضر ، فلا يمكن لإنسان ولا لجماعة ولا لدولة أن يُحرّفوه أو يبدّلوه .

ولو جُبنَا بلاد المسلمين شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً وفي كل بقاع الدنيا فسوف نجد نفس القرآن بدون زيادة ولا نقصان . وإن إختلف المسلمون إلى مذاهب وفرق ، وملل ونحل فالقرآن هو الحافز الوحيد الذي يجمعهم ولا يختلف فيه من الأمّة إثنان ، إلاّ ما كان من التفسير أو التأويل فكل حزب بما لديهم

فرحُون .

وما يُنْسبُ إلى الشيعة من القول بالتحريف هو مجرّد تشنيع وتهويل وليس له في معتقدات الشيعة وجود .

وإذا ما قرأنا عقيدة الشيعة في القرآن الكريم ، فسوف نجد إجماعهم على تنزيه كتاب الله من كل تحريف .

يقول صاحب كتاب عقائد الإمامية الشيخ المظفّر : « نعتقد أنّ القرآن هو الوحي الإلٰهي المنزّل من الله تعالى على لسان نبيه الأكرم فيه تبيان كل شيء ، وهو معجزته الخالدة التي أعجزتْ البشر عن مجاراتها في البلاغة والفصاحة وفيما إحتوى من حقائق ومعارف عالية ، لا يعتريه التبديل والتغيير والتحريف ، وهذا الذي بين أيدينا نتلوه هو نفس القرآن المنزّل على النبي ، ومن إدّعى فيه غير ذلك فهو مخترق أو مغالط أو مشتبه ، وكلهم على غير هدى ، فإنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه - (إنتهى كلامه) .

وبعد هذا فكلّ بلاد الشيعة معروفة وأحكامهم في الفقه معلومة لدى الجميع ، فلو كان عندهم قرآن غير الذي عندنا لعلمه النّاس ، وأتذكّر أني عندما زرتُ بلاد الشيعة للمرّة الأولى كان في ذهني بعض هذه الإشاعات ، فكنتُ كلّما رأيتُ مجلّداً ضخماً تناولتُه علّني أعثر على هذا القرآن المزعوم ، ولكن سرعان ما تبخّر هذا الوهم ، وعرفتُ فيما بعد أنها إحدى التشنيعات المكذوبة لينفّروا الناس من الشيعة ولكن يبقى هناك دائماً من يُشنّع ويحتج على الشيعة بكتاب إسمه « فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب ربُ الأرباب » ومؤلّفه محمد تقي النوري الطبرسي المتوفي سنة 1320 هجري وهو شيعي ويريد هؤلاء المتحاملون أن يحمّلُوا الشيعة مسؤولية هذا الكتاب ! وهذا مخالف للإنصاف .

فكم من كُتبٍ كتبتْ وهي لا تُعبّر في الحقيقة إلاّ عن رأي كاتبها ومؤلّفها ، ويكون فيها الغثّ والسمين وفيها الحق والباطل وتحمل في طيّها الخطأ والصّواب ونجد ذلك عند كل الفرق الإسلامية ولا يختصّ بالشيعة دونَ سواها . أفيجوز لنا

أنّ نحمّلَ أهل السنّة والجماعة مسؤولية ما كتبه وزير الثقافة المصري وعميد الأدب العربي الدكتور طه حسين بخصوص القرآن والشعر الجاهلي ؟

أو ما رواه البخاري وهو صحيح عندهم ، من نقص في القرآن وزيادة ، وكذلك صحيح مسلم ، وغيره[1] .

ولكن لنضرب عن ذلك صفحاً ونقابل السيئة بالحسنة ولنعم ما قاله في هذا الموضوع الأستاذ محمد المديني عميد كلية الشريعة بالجامعة الأزهرية إذ كتب يقول :

« وأمّا أنّ الإمامية يعتقدون نقص القرآن فمعاذ الله وإنّما هي روايات رُويت في كتبهم ، كما رُوي مثلها في كتُبنا ، وأهل التحقيق من الفريقين قد زيّفوها ، وبيّنوا بطلانها وليس في الشيعة الإمامية أو الزيدية من يعتقد ذلك ، كما أنه ليس في السنّة من يعتقده .

ويستطيع من شاء أن يرجع إلى مثل كتاب الإتقان للسيوطي ليرى فيه أمثال هذه الروايات التي نضرب عنها صفحاً .

وقد ألّف أحد المصريين في سنة 1498 م كتاباً إسمه « الفرقان » حشاه بكثير من أمثال هذه الروايات السّقيمة المدخولة المرفوضة ، ناقلاً لها عن الكتب والمصادر عند أهل السنّة ، وقد طلب الأزهر من الحكومة مصادرة هذا الكتاب بعد أن بيّن بالدليل والبحث العلمي أوجه البطلان والفساد فيه . فاستجابت الحكومة لهذا الطلب وصادرتْ الكتاب ، فرفع صاحبه دعوى يطلب فيها تعويضاً ، فحكم القضاء الإداري في مجلس الدولة برفضها .

أفيقال أنّ أهل السنّة ينكرون قداسة القرآن ؟ أو يعتقدون نقص القرآن لرواية رواها فلان ؟ أو لكتاب ألّفه فلان ؟

---

(1) إذ إن كتاب (فصل الخطاب) لا يعدّ شيئاً عند الشيعة ، بينما روايات نقص القرآن والزيادة فيه أخرجها صحاح أهل السنّة والجماعة أمثال البخاري ومسلم ومسند الإمام أحمد .

فكذلك الشيعة الإمامية ، إنما هي روايات في بعض كتبهم كالروايات التي في بعض كتبنا ، وفي ذلك يقول الإمام العلاّمة السعيد أبو الفضل بن الحسن الطبرسي من كبار علماء الإمامية في القرن السادس الهجري في كتاب « مجمع البيان لعلوم القرآن » .

« فأمّا الزيادة فيه فمجمع على بطلانها ، وأما النقصان منه فقد روي جماعة من أصحابنا وقوم من حشوية أهل السنّة أنّ في القرآن تغييراً ونقصاناً ، والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه ، وهو الذي نصره المرتضى قدّس الله روحه ، واستوفى الكلام فيه غاية الإستيفاء في جواب « مسائل الطرابلسيات » وذكر في مواضع : أنّ العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام ، والكتب المشهورة ، وأشعار العرب ، فإنّ العناية إشتدّتْ والدّواعي توفّرتْ على نقله وحراسته ، وبلغتْ إلى حدّ لم تبلغهُ فيما ذكرناه لأنّ القرآن معجزة النبوّة ، ومأخذ العلوم الشرعية ، والأحكام الدينية ، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية حتّى عرفوا كل شيء أُختلفَ فيه من إعرابه . وقراءاته ، وحروفه وآياته ، فكيف يجوز أن يكون مغيّراً أو منقوصاً مع العناية الصادقة والضّبط الشديد »[1] .

وحتّى يتبينّ لك أيها القارىء أنّ هذه التّهمة ، (نقص القرآن والزيادة فيه) هي أقربُ لأهل السنّة منها إلى الشيعة ، وذلك من الدّواعي التي دعتني إلىٰ أن أراجعُ كل معتقداتي لأنّي كلّما حاولتُ إنتقاد الشيعة في شيء والإستنكار عليهم إلاّ وأثبتوا براءتهم منه وإلصاقَه بي ، وعرفتُ أنهم يقولون صدْقاً وعلى مرّ الأيام ومن خلال البحث إقتنعتُ والحمد لله ، وها أنا مقدم لك ما يثبت ذلك في هذا الموضوع :

---

(1) مقال الأستاذ محمد المديني عميد كلية الشريعة في الجامع الأزهر مجلة رسالة الإسلام العدد الرابع من السنة الحادية عشر ص 382 و 383 .

أخرج الطبراني والبيهقي

إنّ من القرآن سورتين ـ إحداهما هي :

بسم الله الرحمٰن الرحيم إنّا نستعينك ونستغفرك ونُثني عليك الخير كلّه ولا نكفُركَ ونخلَعُ ونتركُ من يفجرك .

والسورة الثانية هي :

بسم الله الرحمٰن الرحيم ـ اللّهم إياك نعبدُ ولك نُصلّي ونَسجد وإليك نسعى ونحفد ، نرجو رحمتك ونخشى عذابكَ الجدّ إن عذابكَ بالكافرين ملحقٌ .

وهاتان السّورتان سمّاهما الرّاغب في المحاضرات سورتي القنوت وهما ممّا كان يقنتُ بهما سيدنا عمر بن الخطّاب وهما موجودتان في مصحف ابن عبّاس ومصحف زيد بن ثابت[1] .

أخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده .

عن أبي بن كعب قال : كم تقرأون سورة الأحزاب ؟ قال : بضعاً وسبعين آية ، قال : لقد قرأتها مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مثل البقرة أو أكثر منها وإن فيها آية الرّجم[2] .

وأنتَ ترى أيها القارىء اللّبيب ، أنّ السّورتين المذكورتين في كتابي الإتقان والدر المنثور للسيوطي واللتين أخرجهما الطبراني والبيهقي واللتين تسميان بسورتي القُنوت لاَ وجود لهما في كتاب الله تعالى .

وهذا يعني أنّ القرآن الذي بين أيدينا ينقص هاتين السّورتين الثابتتين في مصحف ابن عباس ومصحف زيد بن ثابت كما يدلّ أيضاً بأنّ هناك مصاحف أخرى غير التي عندنا ، وهو يذكّرني أيضاً بالتشنيع على أنّ للشيعة مصحف فاطمة ، فافهم !

---

(1) جلال الدين السيوطي في الإتقان وكذلك في الدر المنثور .

(2) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج 5 ص 132 .

وإنّ أهـل السنّة والجـماعة يقـرؤون هاتـين السورتـين في دعاء القنـوت كل صباح ، وكنتُ شخصياً أحفظهما وأقرأ بهما في قنوت الفجر .

أمّا الرواية الثانية التي أخرجها الإمام أحمد في مسنده والتي تقـول بأنّ سـورة الأحزاب ناقصة ثلاثة أرباع ، لأن سورة البقرة فيها 286 آية بينما لاّ تتعدّى سورة الأحزاب 73 آية . وإذا اعتبرنا عدّ القرآن بالحزب فإنّ سورة البقرة فيها أكـثر من خمسة أحزاب بينما لا تعد سورة الأحزاب إلاّ حزباً واحداً .

وقول أبي بن كعب : « كنتُ أقرأها مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مثل البقرة أو أكثر » وهو من أشهر القرّاء الـذين كانـوا يحفظون القـرآن على عهـد النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو الـذي إختاره عُمـر[1] ليُصلّي بـالنّاس صـلاة التراويح . فقوله هذا يبعث الشكّ والحيرة كما لا يخفى .

ـ وأخـرج الإمام أحمـد بن حنبل في مسنـده[2] عن أبي بن كعب قـال : إن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال :

« إنّ الله تبارك وتعالى أمرني أن أقرأ عليك القرآن فقال فقرأ : لم يكن الـذين كفروا من أهل الكتاب ، فقرأ فيهـا : « ولو أنّ ابن آدم سـأل وادياً من مـال فأعطيه لسأل ثانياً فلو سأل ثانياً فأعطيه لسأل ثالثاً ، ولاَ يملأ جـوف ابن آدم إلاّ التراب ويتوب الله على من تابَ ، وإنّ ذلك الدّين القيّمُ عنـد الله الحنفية غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية ومن يفعل خيراً فلن يكفره » .

ـ وأخرج الحافظ ابن عساكر في ترجمة أبي بن كعب أنّ أبـا الدّرداء ركب إلى المدينة في نفر من أهل دمشق فقرأ فيها على عمر بن الخطاب هذه الآية :

﴿ إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية ولو حميتم كـما حَمُوا لفسدَ المسجد الحرام ﴾ فقال عمر بن الخطاب من أقرأكم هذه القراءة ؟ فقالـوا :

---

(1) البخاري ج 2 ص 252 .
(2) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج 5 ص 131

أبي بن كعب ، فدعاه فقال لهم عمر إقرأوا ، فقرأوا : ﴿ ولو حميتم كما حموا لفسد المسجد الحرام ﴾ فقال أبي بن كعب لعمر بن الخطاب ، نعم أنا أقرأتُهم فقال عمر لزيد بن ثابت إقرأ يا زيد ، فقرأ زيد قراءة العامّة فقال عمر : اللّهم لا أعرف إلاّ هذا ! فقال أبي بن كعب :

والله يا عمر إنّك لتعلمُ أنّي كنتُ أحْضر ويغيبون وأدنو ويحجبون ، ووالله لئنْ أحْببْتَ لألزمنّ بيتي فلا أحدّث أحداً ولاَ أُقرِىءُ أحداً حتّى أموت ، فقال عمر اللّهمّ غفراً ، إنّك لتعلم أنّ الله قد جعل عندك علماً فعلّم الناس مَا علمتَ .

قال ومرّ عمر بغلام وهو يقرأ في المصحف :

﴿ النّبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أبٌ لهم ﴾ فقالَ : يا غلام حكها ، فقال هذا مصحف أبي بن كعب فذهب إليه فسأله فقال له : إنّه كان يُلهيني القرآنُ ويُلهيكَ الصّفقُ بالأسواق[1] .

وروى مثل هذا ابن الأثير في جامع الأصول وأبو داود في سننه ، والحاكم في مستدركه .

وأترك لك أخي القارىء أنْ تُعلّقَ في هذه المرّة بنفسك على أمثال هذه الروايات التي ملأتْ كتب أهل السنّة والجماعة ، وهم غافلون عنها ويشنّعون على الشيعة الذين لا يوجد عندهم عشر هذا! .

ولكن لعلّ بعض المعاندين من أهل السنّة والجماعة ينفُر من هذه الروايات فيرفضها كعادته وينكر على الإمام أحمد تخريجه مثل هذه الخرافات فيضعّف أسانيدها ويعتبر أنّ مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود ليسا عند أهل السنّة بمستوى صحيحي البخاري ومسلم ، ولكن مثل هذه الروايات موجودة في صحيح البخاري وصحيح مسلم أيضاً .

---

(1) تاريخ دمشق للحافظ بن عساكر ج 2 ص 228 .

فقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه[1] في باب مناقب عمّار وحذيفة رضي الله عنهما عن علقمة قال : قدمتُ الشام فصلّيتُ ركعتين ثم قلتُ : اللّهم يسّر لي جليساً صالحاً ، فأتيت قوماً فجلستُ إليهم فإذا شيخٌ قد جاء حتّى جلس إلى جنبي قلتُ من هذا ؟ قالوا : أبو الدرداء ، قلتُ إنّي دعوتُ الله أن ييسّر لي جليساً صالحاً فيسّرك لي ، قال ممّنْ أنتَ ، فقلتُ من أهل الكوفة ، قال : أو ليس عندكم ابن أمّ عبدٍ صاحبُ النّعلين والوسادِ والمطهرة ، وفيكم الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم ، أو ليس فيكم صاحبُ سرّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم الذي لا يعلمُ أحد غيرهُ ، ثم قال كيف يقرأ عبد الله ﴿ والليل إذا يغشى ﴾ فقرأت عليه ﴿ والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلّى والذكر والأنثى ﴾ قالَ واللّهِ لقد أقرأنيها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من فيه إلى فيَّ .

ثم زاد في رواية أخرى قال ما زال بي هؤلاء حتّى كادوا يستنزلوني عن شيء سمعتُه من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم[2] .

وفي رواية قال : ﴿ والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلّى والذكر والأنثى ﴾ قال : أقرأنيها النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فاهُ إلى فِيَّ فما زالَ هؤلاء حتّى كادوا يردّوني[3]

فهذه الروايات كلّها تفيد بأنّ القرآن الذي عندنا زيد فيه كلمة « وما خلق » .

ـ وأخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عبّاس أنّ عمر بن الخطاب قال : إن الله بعث محمداً صلّى الله عليه وآله وسلّم بالحقّ وأنزل عليه الكتاب فكان ممّا أنزل الله آية الرّجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها ، فلذا رجم رسول الله

---

(1) صحيح البخاري ج 4 ص 215 .
(2) صحيح البخاري ج 4 ص 216 .
(3) صحيح البخاري ج 4 ص 218 (باب مناقب عبد الله بن مسعود) .

صلّى الله عليه وآله وسلّم ورجمنا بعده ، فأخشى إن طال بالنّاس زمانٌ أين يقول قائلٌ : والله ما نجدُ آية الرّجم في كتاب الله فيضلّوا بترك فريضة أنزلها الله ، والرّجمُ في كتاب الله حقٌّ على من زنى إذا أُحْصِنَ من الرّجال والنّساء إذا قامتْ البيّنة أو كان الحبل والإعتراف ، ثم إنّا كنّا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفرٌ بكم أن ترغبوا عن آبائكم أو إنّ كفراً بكم أنْ ترغبوا عن أبائكم[1] .

ـ وأخرج الإمام مسلم في صحيحه[2] (في باب لوْ أنّ لابن آدم واديين لا بتغى ثالثاً) .

قال : بعث أبو موسى الأشعري إلى قرّاء أهل البصرة فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرأوا القرآن ، فقال : أنتم خيار أهل البصرة وقُرّاءهم فاتلوه ولا يطولنّ عليكم الأمد فتقسوَ قلوبكم كما قستْ قلوب من كان قبلكم ، وإنّا كنّا نقرأ سورةً كنّا نشبّهُها في الطّول والشدّة ببراءةَ فأُنسيتها غير أني قد حفظت منها ﴿ **لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلاّ التّراب** ﴾ .

وكنّا نقرأ سورةً كنّا نشبّهها بإحدى المسبّحات فأنسيتها غير أني حفظتُ منها ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون فتُكتب شهادة في أعناقكم فتُسألون عنها يوم القيامة** ﴾[3] .

وهاتان السورتان المزعومتان اللّتان نسيهما أبو موسى الأشعري إحداهما تُشبه براءة يعني 129 آية والثانية تُشبه إحدى المسبحات يعني عشرون آية . لا وجود لهما إلاّ في خيال أبي موسى ، فاقرأ واعجب فإنّي أترك لك الخيار ـ أيها الباحث المنصف .

فإذا كانتْ كتب أهل السنّة والجماعة ومسانيدهم وصحاحهم مشحونة بمثل

---

(1) صحيح البخاري ج 8 ص 26 (باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنتْ) .
(2، 3) صحيح مسلم ج 3 ص 100 (باب لو أن لابن آدم واديان لابتغى ثالثاً) .

هـذه الرّوايـات التي تدّعي بـأنّ القرآن نـاقص مرّة ، وزائـد أخرى ، فلماذا هـذا التشنيع على الشيعة الذين أجمعوا على بطلان هذا الإدّعاء .

وإذا كان الشيعي صاحب كتـاب « فصل الخـطاب في إثبات تحـريف كتاب رب الأرْباب » وهو المتوفّي سنة 1320 هجرية كتب كتابه منذ ما يقرب مائة عام ، فقد سَبقه السُنيّ في مصر صـاحب كتاب « الفـرقان » بمـا يقارب أربعـة قرون كـما أشار إلى ذلك الشيخ محمد المدني عميد كلية الشريعة بالأزهر[1] .

والمهم في كل هذا أن علماء السنّة وعلماء الشيعة من المحقّقين قد أبطلوا مثل هذه الروايات واعتبروها شاذّة وأثبتوا بالأدلّة المقنعة بأنّ القرآن الذي بين أيدينا هو نفس القرآن الذي أنزل على نبيّنا محمد صلّى الله عليه وآلـه وسلّم وليس فيه زيـادة ولا نقصان ولا تبديل ولا تغيير .

فكيف يشنّـع أهل السنّـة والجماعـة على الشيعـة من أجل روايـات ساقـطة عندهم ، ويبرّؤون أنفسهم ، بينما صحاحهم تثبتُ صحّة تلك الروايات ؟

وإني إذ أذكر مثل هذه الروايات بمرارة كبيرة وأسف شديد ، فما أغنانا اليـوم عن السكوت عنها وطيّها في سلّة المهملات ، لولا الحملة الشعواء التي شنّها بعض الكتّاب والمؤلّفين ممن يدّعون التمسّـك بالسنَـة النّبويـة ومن ورائهم دوائر معـروفة تموّلهم وتشجّعهم على الطعن وتكفير الشيعة خصوصاً بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران ، فإلى هؤلاء أقول : إتّقوا الله في إخوانكم ، واعتصموا بحبـل الله جميعاً ولا تفرّقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بـين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً .

---

(1) رسالة الإسلام العدد الرابع من السنة الحادية عشر ص 382 و 383 .

ومّا يُشنّع به على الشيعة أيضاً جمعهم بين صلاة الظّهر والعصر وبين صلاة المغرب والعشاء .

وأهل السنّة والجماعة إذ يشنّعون على الشيعة فإنهم يؤكدون في المقابل بأنّهم يحافظون على الصلاة لأنّ الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ **إنّ الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً** ﴾ .

وقبل أنْ نحكُم لهم أو عليهم يجبُ علينا أن نبحث في الموضوع من جميع جوانبه ونرى أقوال الطرفين :

أمّا أهل السنّة والجماعة فهم متّفقون على جواز الجمع بعرفه بين الظهر والعصر ويُسمّى جمع تقديم ، وجواز الجمع بالمزدلفة وقت العشاء بينها وبين فريضة المغرب ويُسمّى جمع تأخير ، وهذا ما يتفّق عليه كل المسلمون شيعة وسنّة بل كل الفرق الإسلامية بدون إستثناء .

والخلاف بين الشيعة وأهل السنّة هو في جواز الجمع بين الفريضتين الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء في كل أيام السنة بدون عذر السفر .

أما الحنفية فيقولون بعدم الجواز حتّى في السفر وذلك مع وجود النصوص

الصريحة بجوازه لا سيّما في السفر وخالفوا بذلك إجماع الأمة سنّة وشيعة .

وأمّا المالكية والشافعية والحنبلية فيقولون بجواز الجمع بين الفريضتين في السفر ، ويختلفون بينهم في جوازه لعذر الخوف والمرض والمطر والطّين .

وأمّا الشيعة الإمامية فمتّفقون على جوازه مُطلقاً في غير سفر ولا مطر ولا مرض ولا خوف ، وذلك إقتداء بما رووه عن أئمة أهل البيت من العترة الطاهرة (عليهم السلام) .

وهنا يجبُ علينا أن نقف منهم موقف الإتّهام والتشكيك ، لأنّه كلّما إحتجّ أهل السنّة والجماعة عليهم بحجّة ، إلّا ويردّونها بأنّ الأئمة من أهل البيت عليهم السلام علّموهم وبيّنوا لهم كل ما أشكل عليهم ويفتخرون بأنهم يقتدون بأئمة معصومين يعلمون القرآن والسنّة !

وأنا أتذكّر بأنّ أوّل صلاة جمعتُ فيها بين الظهر والعصر كانتْ بإمامة الشهيد محمد باقر الصدر عليه رضوان الله إذ كنتُ وأنا في النجف أفرّق بين الظهر والعصر حتّى كان ذلك اليوم السعيد الذي خرجتُ فيه مع السيد محمد باقر الصدر من بيته إلى المسجد الذي يؤمّ فيه مُقلّديه الذين إحترموني وتركوا لي مكاناً خلفه بالضبّط ولمّا إنتهت صلاة الظهر وأقيمتْ صلاة العصر ، حدّثتني نفسي بالإنسحاب ولكن بقيتُ لسببين أوّلهما هيبةُ السيد الصّدر وخشوعه في الصّلاة حتّى تمنّيتُ أن تطول ـ وثانيهما وجودي في ذلك المكان وأنا أقرب المصلّين إليه وأحسستُ بقوّة قاهرة تشدّني إليه ولمّا فرغْنا من أداء فريضة العصر وانهال عليه النّاس يسألونه بقيتُ خلفَه أسمع الأسئلة والإجابة عليها إلا ما كان خفيّاً ، ثم أخذني معه إلى بيته للغذاء وهناك وجدتُ نفسي ضيف الشّرف ، واغتنمتُ فرصة ذلك المجلس وسألته عن الجمع بين الصلاتين .

ـ سيدي ! أيمكن للمسلم أن يجمع بين الفريضتين في حالة الضرورة ؟

قال : يمكن له أن يجمع بين الفريضتين في جميع الحالات وبدون ضرورة .

قلتُ : وما هي حجّتكم ؟

قال : لأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم جمع بين الفريضتين في المدينة في غير سفر ولا خوف ولا مطر ولا ضرورة ، وإنما فقط لدفع الحرج عنّا ، وهذا بحمد الله ثابتٌ عندنا من طريق الأئمة الأطهار وثابتٌ أيضاً عندكم .

ـ إستغربتُ كيف يكون ثابتاً عندنا ولم أسمع به قبل ذلك اليوم ولا رأيتُ أحداً من أهل السنّة والجماعة يعمل به بل بالعكس يقولون ببطلان الصلاة إذا وقعتْ حتى دقيقة قبل الأذان فكيف بمن يصلّيها قبل ساعات مع الظهر ، أو يصلّي صلاة العشاء مع المغرب فهذا يبدوا عندنا مُنكراً وباطلاً .

وفهِمَ السيد محمد باقر الصدر حيرتي واستغرابي وهمس إلى بعض الحاضرين فقام مسرعاً وجاءه بكتابين عرفتُ بأنّهما صحيح البخاري وصحيح مسلم ، وكلّف السيد الصدر ذلك الطالب بأن يطلعني على الأحاديث التي تتعلّق بالجمع بين الفريضتين . وقرأتُ بنفسي في صحيح البخاري كيف جمع النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فريضة الظهر والعصر وكذلك فريضة المغرب والعشاء كما قرأتُ في صحيح مسلم باباً كاملاً في الجمع بين الصلاتين في الحضر في غير خوف ولا مطر ولا سفر .

ولم أُخفِ تعجّبي ودهشتي وإن كان الشكّ داخلني بأنّ البخاري ومسلم اللذين عندهم قد يكونان محرفين وأخفيتُ في نفسي أن أراجع هذين الكتابين في تونس .

وسألني السيد محمد باقر الصدر عن رأيي بعد هذا الدّليل .

ـ قلتُ : أنتم على الحق ، وأنتُم صادقون في ما تقولون ، وبودّي أن أسألكم سؤالاً آخر .

قال : تفضّل .

قلتُ : هل يجوز الجمع بين الصلوات الأربع كما يفعل كثيرٌ من الناس عندنا لما يرجعوا في الليل يصلّون الظهر والعصر والمغرب والعشاء قضاء .

قال : هذا لا يجوز .

قلتُ : إنّك قلتَ لي فيما سبق بأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فرّق وجَمع وبذلك فهمنا مواقيت الصلاة التي إرتضاها الله سبحانه .

ـ قال : إنّ لفريضتي الظهر والعصر وقتٌ مشترك ويبتدىء من زوال الشمس إلى الغروب ، ولفريضتي المغرب والعشاء أيضاً وقتٌ مشترك ويبتدىء من غروب الشمس إلى منتصف اللّيل ولفريضة الصبح وقتٌ واحدٌ يبتدىء من طلوع الفجر إلى شروق الشمس فمن خالف هذه المواقيت يكون خالف الآية الكريمة ﴿ إن الصلاة كانتْ على المؤمنين كتاباً موقوتاً ﴾ فلا يمكن لنا مثلاً أن نصلّي الصبح قبل الفجر ولا بعد شروق الشمس كما لا يمكن لنا أن نصلّي فريضتي الظهر والعصر قبل الزوال أو بعد الغروب كما لا يجوز لنا أن نصلّي فريضتي المغرب والعشاء قبل الغروب ولا بعد منتصف اللّيل .

وشكرتُ السيد محمد باقر الصدر ، وإن كنتُ إقتنعَتُ بكلّ أقواله غير أنّي لم أجمع بين الفريضتين بعد مغادرته إلاّ عندما رجعتُ إلى تونس وانهمكتُ في البحث واستبصرتُ .

هذه قصّتي مع الشهيد الصدر رحمة الله عليه في خصوص الجمع بين الفريضتين أرويها ليتبيّن إخواني من أهل السنّة والجماعة أولاً ، كيف تكون أخلاق العلماء الذين تواضعوا حتّى كانوا بحق ورثة الأنبياء في العلم والأخلاق .

وثانياً : كيف نجهَلُ ما في صحاحنا ونُشنّعُ على غيرنا بأمور نعتقدُ نحن بصحّتها ، وقد وردت في صحاحنا .

فقد أخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده[1] عن ابن عباس قال : صلّى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في المدينة مقيماً غير مسافر سبعاً وثمانياً .

وأخرج الإمام مالك في الموطأ[2] . عن ابن عباس قال : صلّى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم الظهر والعصر جميعاً والمغرب والعشاء جميعاً في غير خوف

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج 1 ص 221 .

(2) موطأ الإمام مالك (شرح الحوالك) ج 1 ص 161 .

ولا سفرٍ .

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه[1] في باب الجمع بين الصلاتين في الحضر قال : عن ابن عبّاس قال : صلّى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم الظهر والعصر جميعاً ، والمغرب والعشاء جميعاً في غير خوف ولا سفر .

كما أخرج عن ابن عباس أيضاً قال : جمع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بين الظُّهر والعصر والمغرب والعشاء بالمدينة في غير خوفٍ ولا مطرٍ - قال قلتُ لابن عباس لِمَ فعلَ ذلك قال : كي لا يحرجَ أُمّتَهُ[2] .

وممّا يدلّك أخي القارىء أن هذه السنّة النبّوية كانتْ مشهورة لدى الصحابة ويعملون بها ، ما رواه مسلم أيضاً في صحيحه في نفس الباب قال : خطبنا ابن عباس يوماً بعد العصر حتّى غَرُبت الشمسُ وبدت النجوم وجعل النّاس يقولون الصّلاة الصّلاة، قال فجاءه رجل من بني تميم لا يفتر ولا ينثني الصلاة الصلاة، فقال ابن عباس : أتُعلّمني بالسّنة لاَ أمّ لك ثم قال رأيتُ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم جمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء . وفي رواية أخرى قال ابن عباس للرجل : لا أم لك أتعلّمنا بالصّلاة وكنّا نجمعُ بين الصّلاتين على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم[3] .

وأخرج الإمام البخاري في صحيحه[4] في باب وقت المغرب قال : حدّثنا آدم قال حدّثنا شعبة قال حدثنا عمرو بن دينار قال سمعتُ جابر بن زيد عن ابن عبّاس قال : صلّى النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلّم سبعاً جميعاً وثمانياً جميعاً .

كما أخرج البخاري في صحيحه[5] في باب وقت العصر قال سمعتُ أبا

---

(1) صحيح مسلم ج 2 ص 151 (باب الجمع بين الصلاتين في الحضر) .
(2) صحيح مسلم ج 2 ص 152 .
(3) صحيح مسلم ج 2 ص 153 (باب الجمع بين الصلاتين في الحضر) .
(4) صحيح البخاري ج 1 ص 140 (باب وقت المغرب) .
(5) صحيح البخاري ج 1 ص 138 (باب وقتُ العصر) .

أمامة يقول : صلّينا مع عمر بن عبد العزيز الظهر ثم خرجنَا حتّى دخلنا على أنس بن مالك فوجدناه يصلّي العصرَ فقلتُ يا عمّ ما هذه الصّلاة التي صلّيت قال العصرُ وهذه صلاة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم التي كنّا نصلّي معه .

ومع وضوح هذه الأحاديث فإنك لا تزال تجد من يشنع بذلك على الشيعة ، وقد حدث ذلك مرة في تونس ، فقد قام الإمام عندنا في مدينة قفصة ليشنّع علينا ويُشهّر بنا وسط المصلّين قائلاً : أرأيتم هذا الدّين الذي جاؤوا به إنهم بعد صلاة الظهر يقومون ويصلّون العصر ، إنه دين جديد ليس هو دين محمد رسول الله ، هؤلاء يخالفون القرآن الذي يقول ﴿ **إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً** ﴾ وما ترك شيئاً إلا وشتم به المستبصرين .

وجاءني أحد المستبصرين وهو شاب على درجة كبيرة من الثقافة وحكي لي ما قاله الإمام بألم ومرارة ، فأعطيته صحيح البخاري وصحيح مسلم وطلبتُ منه أن يطلعه على صحّة الجمع وهو من سنّة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ، لأنني لا أريد الجدال معه فقد سبق لي أن جادلته بالتي هي أحسن فقابلني بالشتم والسبّ والتّهم الباطلة ـ والمهم أن صديقي لم ينقطع من الصلاة خلفه فبعد إنتهاء الصلاة جلس الإمام كعادته للدّرس فتقدّم إليه صديقي بالسؤال عن الجمع بين الفريضتين فقال : إنها من بدع الشيعة ، فقال له صديقي : ولكنّها ثابتة في صحيح البخاري ومسلم ، فقال له : غير صحيح فأخرج له صحيح البخاري وصحيح مسلم وأعطاه فقرأ باب الجمع بين الصلاتين ـ يقول صديقي فلمّا صدمتهُ الحقيقة أمام المصلّين الذين يستمعون لدروسه ، أغلق الكتب وأرجعها إليّ قائلاً : هذه خاصّة برسول الله وحتّى تصبح أنت رسول الله فبإمكانك أن تصلّيها ، يقول هذا الصديق فعرفتُ أنّه جاهل متعصّبٌ وأقسمتُ من يومها أن لا أصلّي خلفَهُ[1] .

---

(1) يحكى أن رجلين خرجا للصيد ولقيا سواداً ، بعيداً فقال الأوّل إنه غرابٌ وعانده الثاني بأنّه عنزة وتعاندا وأصرّ كل منهما على رأيه ولكنهما عندما إقتربا من السواد فإذا به غراب إنـزعج وطار هارباً . فقال الأول : ألم أقل لك بـأنه غـرابٌ هل إقتنعتَ الآن ولكن صـديقه أصرّ على رأيه وقال : سبحان الله عنزة تطير ؟

بعد ذلك طلبتُ من صديقي بأن يرجع إليه ليُطلِعَه على أنّ ابن عبّاس كان يصلّي تلك الصلاة وكذلك أنس بن مالك وكثير من الصحابة فلماذا يريد هو تخصيصها برسول الله ، أو لم يكن لنا في رسول الله أسوةٌ حسنة ؟ ولكنّ صديقي إعتذر لي قائلاً : لا داعي لذلك وإنّه لا يقتنع ولو جاءه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم .

وإنّه والحمد لله بعد أن عرف كثيرٌ من الشباب هذه الحقيقة وهي الجمع بين الصلاتين رجع أغلبهم إلى الصّلاة بعد تركها لأنهم كانوا يُعانُونَ من فوات الصّلاة في وقتها ويجمعون الأوقات الأربعة في اللّيل فتملّ قلوبهم ، وأدركوا الحكمة في الجمع بين الفريضتين لأن كل الموظفين والطلبة وعامة الناس يقدرون على أداء الصلوات في أوقاتها وهم مطمئنون ، وفهموا قول الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم كي لا أحرج أمّتي .

السجود على التربة

أجمع علماء الشيعة على القول بأفضلية السجود على الأرض لما يروونـه عن ائمة أهل البيت عليهم السلام قول جدّهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم :

« أفضل السجود على الأرض » .

وفي رواية أخرى :

« لا يجوز السجود إلاّ على الأرض أو ما انْبتت الأرض غير مأكول ولا ملبوس » .

وقد روى صاحب وسائل الشيعة عن محمد بن علي بن الحسين بإسناده عن هشام بن الحكم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : السجود على الأرض أفضل لأنه أبلغ في التواضع ، والخضوع لله عزّ وجلّ - وفي رواية أخرى عن محمد بن الحسن بإسناده عن إسحاق بن الفضل : أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن السجود على الحصر والبواري المنسوجة من القصب فقال : لا بأس ، وأن يسجد على الأرض أحب إليّ ، فإنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان يحبّ ذلك ، أنْ يمكّن جبهته من الأرض ، فأنا أحبّ لك ما كان يحبّه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم .

أمّا علماء أهل السنة والجماعة فلا يرون بأساً في السجود على الزرابي والفرش وإن كان عندهم أفضلية في الحصر .

وهناك بعض الروايات التي يخرجها البخاري ومسلم في صحيحيهما تؤكّد أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كانتْ له خُمرةٌ مصنوعة من سَعف يسجد عليها فقد أخرج مسلم في صحيحه في كتاب الحيض عن يحيى بن يحيى وأبو بكر بن أبي شيبة عن أبي معاوية عن الأعمش عن ثابت بن عبيد عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت : قال لي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ناوليني الخُمْرةَ من المسجدِ قالتْ فقلت إنّي حائضٌ فقال : إن حيضتِكَ ليستْ في يدكِ[1] (يقول مسلم : والخُمرة هي السجادة الصغيرة مقدار ما يسجد عليها) .

ومما يدلّنا على أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان يحبّ السجود على الأرض ، ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان يعتكِفُ في العشر الأواسط من رمضانَ فاعتكفَ عاماً حتّى إذا كان ليلةَ إحدى وعشرين وهي اللّيلةُ التي يخرجُ صبيحتها من إعتكافه قال: من كان إعتكف معي فليعتكف العشر الأواخرَ وقد رأيتُ هذه الليلة ثم أُنسيتُها وقد رأيتني أسجُدُ في ماء وطين من صبيحتها فالتمسوها في العشر الأواخر والتمسوها في كل وِترٍ ، فمطرتِ السّماءُ تلك اللّيلة وكان المسجد على عريش فوكف المسجدُ فبصُرتْ عيناي رسُولَ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على جبهتِهِ أثرُ الماءِ والطّين من صبح إحدى وعشرين[2] .

ومّما يدلّنا أيضاً على أنّ الصحابة كانوا يفضّلون السجود على الأرض . وذلك بحضرة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ما أخرجه الإمام النسائي في سننه في باب تبريد الحصى للسجود عليه ـ قال : أخبرنا قتيبة قال حدّثنا عبّادٌ عن

(1) صحيح مسلم ج 1 ص 168 (باب جواز غسل الحائض رأس زوجها) .
سنن أبي داود ج 1 ص 68 (باب الحائض تناول من المسجد) .
(2) صحيح البخاري ج 2 ص 256 (باب الإعتكاف في العشر الأواخر) .

محمد بن عمرو عن سعيد بن الحرث عن جابر بن عبد الله قال : كنّا نصلّي مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم الظّهْرَ فأخذُ قبضةً من حصىً في كفّي أبرّدهُ ثم أحوّله في كفّي الآخر فإذا سجدتُ وضعتُه لجبهتي[1] .

أضف إلى كلّ ذلك أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال :

« جُعلت لي الأرضُ مسجداً وطهوراً »[2] .

وقال أيضاً :

« جُعلتْ لنا الأرضُ كلّها مسجداً وجُعلتْ تُربتُها لنا طَهُوراً »[3] .

فكيف يتعصّب المسلمون ضدّ الشيعة لأنهم يسجدون على الأرض بدَلاً من السجود على الزرَابي .

وكيف يصل بهم الأمر إلى تكفيرهم والتشنيع عليهم وقذفهم زوراً وبهتاناً بأنّهم عبّاد الأصنام .

وكيف يضربونهم في السعودية لمجرّد وجود التربة في جيوبهم أو في حقائبهم .

أهذا هو الإسلام الذي يأمرنا باحترام بعضنا وعدم إهانة المسلم الموحّد الذي يشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله ويقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويصوم رمضان ويحجّ البيت وهل يعقلُ عاقلٌ بأنّ الشّيعي يتكبّد تلك الأتعاب ويخسرُ تلك الخسائر ويأتي لحجّ بيت الله الحرام وزيارة قبر النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو يعبُدُ الحجارة كما يحلو للبعض أن يصوّروه ؟

أفلا يقتنع أهل السنّة والجماعة بقول الشهيد محمد باقر الصدر الذي نقلتُه في كتابي الأول « ثم اهتديت » عندما سألتُه عن التربة فقال : نحن نسجد لله على

---

(1) سنن الإمام النسائي ج 2 ص 204 (باب تبريد الحصى للسجود عليه) .

(2) صحيح البخاري ج 1 ص 86 (كتاب التيمّم) .

(3) صحيح مسلم ج 2 ص 64 (كتاب المساجد ومواضع الصلاة) .

الأرض ، فهناك فرق بين السجود على التراب . والسجود للتّراب !

وإذا كان الشيعي يحتاط ليكون سجوده طاهراً ومقبولاً عند الله فيمتثل أوامر رسول الله والأئمة الأطهار من أهل البيت وخصوصاً في زماننا هذا الذي أصبحت فيه كل المساجد مفروشة بالزّرابي الوثيرة وفي البعض بما يُسمى (Moquette) وهي مادّة مجهولة الصنع لدى عامة المسلمين ولم تُصنع في بلاد إسلامية ولعلّ البعض منها فيها ما لا يجوز السجود عليه ، أفيحقّ لنا أن ننبُذَ هذا الشيعي الذي يهتمّ بصحّة صلاته ، ونتّهمه بالكفر والشرك لمجرّد شبهةٍ زائفة ؟

والشيعي الذي يهتمّ بأمور دينه وخصوصاً بصلاته التي هي عمود الدّين فتراه ينزع حزامه وينزع ساعته لأنّ فيها حزاماً من الجلد الذي لا يعلم منشأه وفي بعض الأوقات ينزع سرواله الإفرنجي ليصلّي في سروال فضفاض كل ذلك إحتياطاً وإهتماماً بتلك الوقفة العظيمة بين يدي الله لكي لاَ يقابل ربّه بشيء يكرهه ، أيستحقُّ هذا منّا الإستهزاء والنفُور ، أم يستحقّ الإحترام والإكبار ؟ لأنّه عَظَّمَ شعائر الله ﴿ **ومن يعظّم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب** ﴾ .

يا عباد الله إتقوا الله وقُولوا قولاً سديداً .

﴿ **ولولاَ فضْلُ الله عليكم ورحمتُه في الدنيا والآخرة لمسَّكم في ما أفضتم فيه عذابٌ عظيم ، إذْ تَلَقَّونَهُ بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علمٌ وتحسبُونَه هيّناً وهو عند الله عظيم** ﴾[1] .

---

(1) سورة النور آية 15 .

الرجعة

(العودة إلى الحياة)

هذه المسألة مما إختصّت الشيعة بالقول بها ، وأنـا بحثْتُ في كتب السنّة فلم أجد لها أثراً يذكرُ .

وهم يعتمدون في ذلك على أخبارٍ وروايات رووها عن الأئمة الأطهار سلام الله عليهم في أنّ الله سبحـانَـه وتعـالى سيُحيي بعض المؤمنـين وبعض المجــرمـين المفسدين لينتقِم المؤمنون من أعدائهم أعداء الله في الدنيا قبل الآخرة .

ولو صحّتْ هذه الروايات وهي صحيحة ومتواترة عند الشيعة فلا تُلزِم أهل السنّة والجماعة إذا لم يثقوا بصحتها ، ومن ثم فإنهم غير ملزمين بـوجوب الإعتقـاد بها ، لأن أئمة أهل البيت حدّثوا بها عن جدّهم صلّى الله عليـه وآله وسلّم ! كـلاَّ لأنّا ألزمنا أنفسنا بالإنصاف في البحث وعدم التعصّب ، فلا نكلّفهم إلاّ ما ألزموا به أنفسهم وأخرجوه في صحاحهم ، ولأنّ روايـات الرجعـة لم ترد عنـدهم ، فهم أحـرارٌ في عدم الأخـذ بها ، ورفضهـا هذا في صـورة ما إذا أراد أحـد الشيعـة أن يفرض عليهم تلك الروايات .

أمّا وأن الشّيعة لم يفرضوا على أحد أن يقول بالرجعة ولا أنهم يقولون بكُفـر منْ يكـذّبها ، فـلا داعي لكلّ هـذا التشنيـع والتهـويـل عـلى الشيعـة سيـما وأنهم

يفسرونَ بعض الآيات بنحو يوافق ذلك ، وذلك كما في قوله تعالى : ﴿ ويوم نحشر من كل أمّةٍ فوجاً ممّن يكذّب بآياتنا فهم يوزعون ﴾[1] .

فقد جاء في تفسير القمّي عن ابن أبي عمير عن حمّاد عن أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام قال : ما يقول النّاس في هذه الآية ﴿ ويوم نحشر من كل أمّة فوجاً ﴾ ؟ قلتُ : يقولون إنّه في يوم القيامة ، قال : ليس كما يقولون إنها في الرجعة ، أيحشُرُ اللّهُ في القيامة من كل أمة فوجاً ويدع الباقين ؟ إنما آية القيامة ﴿ وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً ﴾[2] .

كما جاءَ في كتاب عقائد الإمامية للشيخ محمد رضا المظفّر قوله : إن الذي تذهب إليه الإمامية أخذاً بما جاء عن آل البيت عليهم السلام أنّ الله تعالى يعيد قوماً من الأموات إلى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها ، فيعزّ فريقاً ويذلّ فريقاً آخر ويديل المحقّين من المبطلين والمظلومين منهم من الظالمين ، وذلك عند قيام مهدي آل محمد عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام .

ولا يرَجع إلاّ من علتْ درجته في الإيمان أو من بلغ الغاية من الفساد ، ثم يصيرون من بعد ذلك إلى الموت ، ومن بعده إلى النّشور وما يستحقّونه من الثواب أو العقاب ، كما حكى الله تعالى في قرآنه الكريم تمنّي هؤلاء المرتجعين الذين لم يصلحوا بالإرتجاع فنالوا مقتَ الله ، أن يخرجوا ثالثاً لعلّهم يُصلحون : ﴿ قالوا ربّنا أمتّنا إثنتين وأحييتنا إثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل ﴾ (سورة المؤمن آية 11)[3] .

أقول إذا كان أهل السنّة والجماعة لا يؤمنون بالرجعة فلهم كامل الحقّ : ولكن ليس من حقّهم أنّ يشنّعوا على من يقول بها ، لثبوت النّصوص عنده . فليس لمن لا يعلم حجّةٌ على من يعلَمُ ولا حجّة للجاهل على العالم وليس عدمُ

(1) سورة النمل آية 83 .

(2) سورة الكهف آية 47 .

(3) كتاب عقائد الإمامية للمظفّر ص 80 (العقيدة الثانية والثلاثون) .

الإيمان بالشيء دليل على بُطلانه فكم من حجّة دامغة عند المسلمين لا يؤمِنُ بها أهل الكتاب من يهود ونصارى .

وكم من إعتقادات وروايات عند أهل السنّة والجماعة بخصوص الأولياء والصالحين وأصحاب الطرق الصوفية تبدوا مستحيلة ومنكرة ولكن لا تستدعي التشنيع والتهويل على عقيدة أهل السنّة والجماعة .

وإذا كانت الرّجعة لها سند في القرآن والسنّة النبوية وهي ليستْ مستحيلة على الله الذي ضرب لنا أمثلة منها في القرآن كقوله تعالى :

﴿ أو كالذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها ، قال : أنّى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه ﴾[1] .

أو كقوله سبحانه وتعالى :

﴿ ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوفٌ حذر الموتِ فقال لهم الله موتُوا ثم أحياهم ﴾[2] .

وقد أماتَ الله قوماً من بني إسرائيل ثم أحياهم قال تعالى .

﴿ وإذ قُلتُم يا موسىَ لن نؤمن لك حتّى نرى الله جهرةً فأخذتكم الصّاعقةُ وأنتم تنظرونَ ، ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ﴾[3] .

وقال في أصحاب الكهف الذين لبثوا في كهفهم موتى أكثر من ثلثمائة عام ﴿ ثم بعثناهم لنعلمَ أيُّ الحزبين أحْصىَ لَما لبثوا أمداً ﴾[4] .

فهذا كتاب الله يحكي أنّ الرجعة وقعتْ في الأمم السابقة فلا يستحيل وقوعها في أمّة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم وخصوصاً إذا روى ذلك أئمة أهل

---

(1) سورة البقرة آية 259 .

(2) سورة البقرة آية 243 .

(3) سورة البقرة آية 56 .

(4) سورة الكهف آية 12 .

البيت سلام الله عليهم . فهم الصّادقون ، العالمون .

أمّا قول بعض المتطفّلين بأنّ القول بالرّجعة هو القول بالتناسخ الذي يقول به بعض الملحدين .

فهو قول ظاهر الفساد والبطلان ، ويقصدون من ورائه التشنيع والتهويل على الشيعة .

إذ أن القائلين بالتناسخ لا يقولون بأن الإنسان يرجع إلى الدنيا بجسمه وروحه وصورته وكُنهه .

إنما يقولون بأن الرّوح تنتقل من إنسان مات إلى جسد إنسان آخر يولد من جديد أو حتَى إلى حيوان .

وهذا كما نعلم بعيد كل البعد عن عقيدة المسلمين القائلين بأن الله يبعث من في القبور بأجسامهم وأرواحهم .

فليست الرجعة من التناسخ في شيء وهو قول الجهلة الذين لا يفقهون أو المغرضين غير الورعين .

الغلو

(في حب الأئمة)

لَا نقصد بالغلوّ هنا هو الخروج عن الحق واتّباع الهوى حتّى يصبح المحبوب هو الإله المعبود فهذا كُفر وشركٌ لا يقول به أي مسلم يعتقد برسالة الإسلامي ونبوّة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم .

وقد وضع الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم حدوداً لهذا الحب عندما قال للإمام علي عليه السلام :

« هلك فيك إثنان محبٌّ غالٍ ومبغضٌ قالٍ » .

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم :

« يا علي إنّ فيك مثلاً من عيسى بن مريم أبغضتْهُ اليهود حتّى بهتوا أمّه ، وأحبّه النصارى حتّى أنزلوه بالمنزلة التي ليس بها »[1] .

---

(1) مستدرك الحاكم ج 3 ص 123 تاريخ دمشق لابن عساكر ج 2 ص 234 .
التاريخ الكبير للبخاري ج 2 ص 281 تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 173 .
خصائص النسائي ص 27 ذخائر العقبى ص 92 ـ الصواعق المحرقة لابن بحر ص 74 .

وهو المعنى المرفوض للغلوّ أنّ يطغى الحب حتّى يُؤلّه المحبوب وينـزله منـزلة ليس فيها أو أن يطغى البغض حتّى يصل إلى درجة البهتُ والإتهام الباطل .

والشيعة في حب علي والأئمة من ولده لم يغالوا بل أنزلـوهم المنزلـة المعقولـة التي بـوأهم فيها رسـول الله صـلّى الله عليـه وآلـه وسلّم وهي أنّهم أوصيـاء النبيّ وخلفـاؤه ولم يقل أحـدٌ بنبوّتهم فضـلاً عن الوهيّتهم ، ودع عنـك قول المشـاغبـين الـذين يدّعـون بأنّ الشيعـة ألهوا عليـاً وقالـوا بربـوبيته ، فهؤلاء إنْ صحّ الخبر لم يكونوا فرقة ولا مذهباً ولا شيعة ولا خوارج .

وما هو ذنب الشيعة إذا كان ربُّ العـزّة والجلاَلـة يقول : ﴿ **قـل لا أسألكم عليـه أجراً إلاّ المـودّة في القُربى** ﴾ والمـودّة كما هـو معلوم أكبر من الحبّ وإذا كـان الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول :

« لا يؤمن أحدكم حتىّ يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه فإن المودّة تفرض عليك أنْ تحرم نفسك من شيء لتودّ به غيرك » .

وما هو ذنبُ الشيعة إذا كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول :

« يـا علي أنت سيّـدٌ في الدنيـا وسيّـد في الآخـرة من أحبّـك فقـد أحبّني ومن أبغضـك فقد أبغضني وحبيبـك حبيب الله وبغيضك بغيض الله والـويل لمن أبغضك »[1] .

ويقول أيضاً :

« حبّ عليٍّ إيمان وبُغْضه نفاقٌ »[2] .

ويقول :

« من مـات عـلى حبّ آل محمـد مـات شهيـداً ، ألا ومن مـات عـلى حب

(1) مستـدرك الحاكم ج 3 ص 128 قـال حديث صحيـح على شرط الشيخـين نـور الأبصـار للشبلنجي ص 73 ينابيع المودّة ص 205 الرياض النضرة ج 2 ص 165 .

(2) صحيح مسلم ج 1 ص 48 ـ الصواعق المحرقة ص 73 كنز العمال ج 15 ص 105 .

آل محمد ماتَ مغفوراً له ، ألا ومن ماتَ على حبّ آل محمد مات تـائباً ، ألاَ ومن ماتَ على حبّ آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان ألاَ ومن ماتَ عـلى حب آل محمد بشّره ملك الموت بالجنّة . . . »[1] .

وما هو ذنب الشيعة إذا كانوا يحبّون رجلاً قال فيه رسول الله صـلّى الله عليه وآله وسلّم :

« غداً لأعطين رايتي إلى رجُل يحبّ الله ورسولَه ويحبّهُ اللّهُ ورسولُه »[2] .

فحبيبُ علي هو حبيبُ الله ورسوله وهـو مؤمن وبغيض علي هـو بغيض الله ورسوله وهو منافق .

وقد قال الإمام الشافعي في حبّهم :

يـا أهــل بـيت رســول الله حـبّكـم ... فــرض مـن الله في القــرآن أنــزلــه
كفــاكم من عــظيم الـفضــل أنـكم ... من لم يصــلّ عـليكـم لا صــلاة لــه

وقد قال فيهم وفي حبّهم الفرزدق في ميميته المشهورة .

مـن معشر حـبّهـم ديـنٌ وبـغـضـهـم ... كـفــرٌ وقــربهم مـنجـى ومعـتـصـم
إن عُــدّ أهـل التّقى كــانــوا أئمتهم ... أو قيل من خير أهـل الأرض قيل هُمُ

فالشيعة أحبّوا الله ورسولَه ، وحبُّهم لله ورسوله هو الذي فرض حبّ أهـل البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين والأحاديث في هذا المعنى كثـيرة لا تُحصى وقد أخـرجها علماء أهـل السنّة والجـماعة في صحـاحهم وقد ذكـرنا البعض منهـا دومـاً للإختصار .

وإذا كان حبّ علي وأهل البيت بصفة عـامّة هـو حبٌّ لرسـول الله صلّى الله

---

(1) تفسير الثعلبي « الكبير » في آية المودّة وكذلك تفسير الزمخشري « الكشـاف » تفسير الفخـر الرّازي ج 7 ص 405 ـ إحقاق الحق للتستري ج 9 ص 486 .

(2) صحيح البخاري ج 4 ص 20 وج 5 ص 76 .
صحيح مسلم ج 7 ص 120 (باب فضائل علي بن أبي طالب) .

عليه وآله وسلّم ، فعلينا أن نعرف مدى هذا الحبّ المطلوب من المسلمين حتّى نعرف إن كان هناك غلوّ كما يزعمون .

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم :

« لاَ يؤمن أحدُكم حتّى أكونَ أحبَّ إليه من ولَده ووالده والناس أجمعين »[1] .

وعلى هذا الأساس فلا بد أن يحبّ المسلمُ عليّاً وأولاده الأئمة الطاهرين أكثر من النّاس أجمعين بما في ذلك الأهل والأولاد ولا يتمّ الإيمان إلاّ بذلك لأن رسول الله قال : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه . . . الحديث .

فالشيعةُ إذن لاَ يُغالون وإنّما يعطون كلّ ذي حقّ حقّه وقد أمرهم رسول الله أن ينزلوا عليّاً بمنزلة الرأس من الجسد وبمنزلة العينين من الرأس فهل هناك من الناس من يتنازل عن عينيه أو عن رأسه ؟

ولكنّ في المقابل هناك مغالات عند أهل السنة والجماعة في حب الصحابة وتقديسهم في غير محلّه ، وإنما يبدو أنها ردّ فعل على الشيعة الذين لم يقولوا بعدالة الصحابة أجمعين فكان الأمويون يرفعون من شأن الصحابة ويحطون من قيمة وشأن أهل البيت النّبوي حتّى إذا صلّوا على محمد وآله أضافوا إليهم ، وعلى أصحابه أجمعين لأنّ في الصلاة على أهل البيت فضل لم يسبقه سابق ولا يلحقه لاحق فأرادوا أنْ يرفعوا الصحابة إلى تلك الدرجة العليّة وغفلوا عن أنّ الله سبحانه أمر المسلمين وعلى رأسهم الصحابة أجمعين أن يُصلّوا على محمد وعلي وفاطمة والحسنين ومن لم يصلّ عليهم فصلاته مردودة لا يقبلها الله إذا إقتصرت على محمّد وحده كما هو ثابت في صحيح البخاري ومسلم .

وإذا قلنا بأنّه غلوّ في الصحابة ذلكَ لأن أهل السنّة يتعدّون حدود المنطق

---

(1) صحيح البخاري ج 1 ص 9 (باب حب الرسول من الإيمان) .
صحيح مسلم ج 1 ص 49 (باب وجوب محبة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين) وكذلك في صحيح الترمذي .

عندما يقولون بعد التهم أجمعين وقد شهد الله ورسوله بأنّ فيهم الفاسقين والمارقين والقاسطين والمنافقين .

والغلوّ ظاهر عندما يقولون بأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يُخطىء ويصوّبه صحابي . أو أنّ الشيطان يلعبُ ويمرحُ بحضرة النبي ولكنّه يهربُ من عمر ، والغلوّ واضح في قولهم لو أصاب الله المسلمين بمصيبة بما فيهم رسول الله ، لم يكن ينجُ منها إلاّ ابن الخطّاب ، والغلوّ أوضح في إلغائهم لسنّة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم واتباع سنّة الصحابة وبالخصوص الخلفاء الراشدين وقد أوقفناك على البعض من ذلك وإذا أردت المزيد فعليك بالبحث والتأمل للوقوف على مزيدٍ من هذه المفارقات .

وهو أيضاً من المواضيع التي يشنّع بها أهل السنّة والجماعة على الشيعة . وذهب البعض منهم إلى حدّ السخرية والإستهزاء ، إذ أنهم يستبعدون أو قل يعتقدون إستحالة أن يبقى بشر طيلة إثني عشر قرناً حيّاً ومخفيّاً عن أنظار النّاس . حتّى قال بعض الكُتّاب المعاصرين « بأنّ الشيعة اختلقوا فكرة الإمام الغائب الذي سيُنقذُهم وذلك لكثرة ما لا قوة من ظلم الحكّام وجورهم على مرّ الأزمان ، فسلّوا أنفسهم بأمنية المهدي المنتظر الذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً وينتقم لهم من أعدائهم » .

وقد كثُر الحديث في السنوات الأخيرة وبعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران عن المهدي المنتظر فأصبح المسلمون وبالخصوص الشباب المثقف في كل مكان يتساءلون عن حقيقة المهدي ، وهل هي حقيقة وله وجود في العقائد الإسلامية أم هو من مختلقات الشيعة ؟

ورغم ما كتبه علماء الشيعة قديماً وحديثاً[1] بخصوص المهدي من موسوعات وأبحاث ، ورغم إتصال كثير من السنّيين بإخوانهم من الشيعة في مؤتمرات عديدة ومحادثاتهم في شتّى المواضيع العقائدية ، يبقى هذا الموضوع من

---

(1) كالشهيد محمد باقر الصدر في كتابه « بحث حول المهدي » .

الألغاز عند الكثير منهم ، لأنهم ما تعوّدوا سماع أمثال هذه الروايات .

فما هي حقيقة المهدي المنتظر في العقائد الإسلامية ؟ والبحث في هذا الموضوع ينقسم إلى قسمين : -

القسم الأول يتعلّق بالبحث عن المهدي من خلال الكتاب والسنّة .

والقسم الثاني يتعلّق بالبحث عن حياته وغيبته وظهوره .

أما في البحث الأول : فالشيعة والسنّة متّفقون على أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بشّرَ به وأعلم أصحابه بأنّه سيظهره الله سبحانه وتعالى في آخر الزمان ، وقد أخرج أحاديث المهدي عليه السلام كلٌّ من الشيعة والسنّة في صحاحهم ومسانيدهم .

وأنا بدوري وكالعادة حسبما تعهّدتُ به في كل أبحاث الكتاب لا أستدلّ إلاّ بما هو ثابتٌ وصحيح عند أهل السنّة والجماعة .

فقد جاء في سنن أبي داود[1] .

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم :

« لو لم يبق من الدنيا إلاّ يومٌ واحد لطوّلَ الله ذلك اليوم حتّى يبعث رجلاً من أهل بيتي يواطيء إسمه إسمي ، وإسم أبيه إسم أبي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئتْ ظلماً وجوراً » .

وجاء في سنن ابن ماجة [2] :

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم :

« إنّا أهل بيت إختار الله لنا الآخرة على الدنيا ، وإنّ أهل بيتي سيلقون بعدي بلاءً شديداً ، وتطريداً ، حتّى يأتي قومٌ من قبل المشرق معهم راياتٌ

---

(1) سنن أبي داود ج 2 ص 422 .

(2) سنن ابن ماجة ج 2 رقم الحديث 4082 و 4087 .

سودٌ فيسألون الخير فلا يعطونه فيقاتلون فينتصرون ، فيعطون ما سألوا : فلا يقبلونه ، حتى يدفعونها إلى رجل من أهل بيتي فيملؤها قسطاً كما مُلئتْ جوراً » .

وقال ابن ماجة في سننه :

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم :

« المهدي منّا أهل البيت ، المهدي من ولد فاطمة » .

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم :

« يكون في أمّتي المهدي ، إن قصر فسبع ، وإلاّ فتسع تنعم فيها أمّتي نعمة لم تنعم مثلها قط تأتي أكلها ، ولا تدّخر منه شيئاً ، والمال يومئذ كدوس ، فيقوم الرجل فيقول : يا مهدي أعطني فيقول : خذ »[1] .

وجاء في صحيح الترمذي[2] :

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم :

« يلي رجل من أهل بيتي يواطيء إسمه إسمي ، ولو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم واحدٌ لطوّل الله ذلك ليوم حتى يلي » .

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم :

« لا تذهبُ الدنيا حتى يملك العرب رجلٌ من أهل بيتي يواطىء إسمه إسمي » .

وأخرج الإمام البخاري في صحيحه[3] .

قال : حدّثنا بن بكير حدّثنا الليثُ عن يونس عن ابن شهاب عن نافع

---

(1) سنن ابن ماجة ج 2 رقم الحديث 4086 .

(2) الجامع الصحيح للترمذي ج 9 ص 74 ـ 75 .

(3) صحيح البخاري ج 4 ص 143 (باب نزول عيسى بن مريم) .

مولى أبي قتادة الأنصاري أنّ أبا هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم .

وقال صاحب غاية المأمول : إشتهر بين العلماء سلفاً وخلفاً أنّه لا بدّ من ظهور رجل من أهل البيت في آخر الزمان يُسمّى **المهدي** ، وقد روي أحاديث المهدي جماعة من خيار الصحابة وخرّجها أكابر المحدّثين : كأبي داود ، والترمذي ، وابن ماجة والطبراني وأبي يعلى ، والبزّاز ، والإمام أحمد بن حنبل ، والحاكم رضي الله عنهم أجمعين ، ولقد أخطأ من ضعّف أحاديث المهدي كلّها .

قال الحافظ في فتح الباري : تواترتْ الأخبار بأنّ المهدي من هذه الأمّة وأنّ عيسى بن مريم سينزل ويُصلّي خلفه » [1] .

وقال ابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة : والأحاديث التي جاء فيها ذكر ظهور المهدي كثيرة متواترة [2] .

وقال الشوكاني في رسالة المسمّاة « التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجّال والمسيح » وبعد سرده أحاديث المهدي قال : « وجميع ما سُقناه بالغ حدّ التواتر كما لا يخفى على من له فضل إطلاع » .

وقال الشيخ عبد الحق في اللّمعات :

« قد تظافرت الأحاديث البالغة حدّ التواتر في كون المهدي من أهل البيت من أولاد فاطمة » [3] .

وقال الصبّان في كتابه إسعاف الرّاغبين :

« وقد تواترتْ الأخبار عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بخروجه وأنّه من

---

(1) فتح الباري ج 5 ص 362 .
(2) الصواعق المحرقة لابن حجر ج 2 ص 211 .
(3) حاشية صحيح الترمذي ج 2 ص 46 .

أهل البيت ، وأنه يملأ الأرض عدْلاً »[1] .

وقال السويدي في كتابه المسمّى « سبائك الذهب » :

« الذي إتفق عليه العلماء أنّ المهدي هو القائم في آخر الوقت وأنّه يملأ الأرض عدْلاً ، والأحاديث في ظهوره كثيرة »[2] .

وقال ابن خلدون في مقدّمته :

« إعلمْ أنّ المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممرّ الأعصار أنّه لا بدّ في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدّين ويظهر العدل ويسمّى بالمهدي »[3] .

كما أخرج أحاديث المهدي من المعاصرين مُفتي الإخوان المسلمين السيد سابق في كتابه « العقائد الإسلامية » واعتبر أنّ فكرة المهدي من العقائد الإسلامية التي يجب التصديقُ بها .

وكتب الشيعة أيضاً أخرجت أحاديث المهدي على كثرتها حتّى قيل أنّه لم يُروَ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أكثر ممّا رُويَ عنه في أحاديث المهدي .

وقد إستخرج الباحث لطف الله الصّافي في موسوعته « منتخب الأثر » أحاديث المهدي عليه السلام من أكثر من ستّين مصدراً من كتب أهل السنّة والجماعة من ضمنها الصحاح الستّة وأكثر من تسعين مصدراً من كتب الشيعة من ضمنها الكتب الأربعة .

أما بخصوص البحث الثاني والذي يتعلّق بولادة المهدي وحياته وغيبته وعدم وفاته عليه السلام فهذا القسم أيضاً لم ينكره بعض علماء أهل السنّة الذين لا يستهانُ بهم ، والذين يعتقدون بأنّ المهدي هو محمد بن الحسن العسكري

---

(1) إسعاف الرّاغبين ج 2 ص 140 .

(2) سبائك الذهب ص 78 .

(3) مقدمة ابن خلدون ص 367 .

الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت ، وُلِدَ ، وأنّه لا يزال حيّاً وسيظهَرُ في آخر الزمان فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً وينصر الله به دينه ، وهم بذلك يوافقون أقوال الشيعة الإمامية ، ومن هؤلاء :

1 ـ محي الدّين بن العربي في فتوحاته المكّية .
2 ـ سبط ابن الجوزي في كتابه تذكرة الخواص .
3 ـ عبد الوهاب الشعراني في كتابه عقائد الأكابر .
4 ـ إبن الخشّاب في كتابه تواريخ مواليد الأئمة ووفياتهم .
5 ـ محمد البخاري الحنفي في كتابه فصل الخطاب .
6 ـ أحمد بن إبراهيم البلاذري في كتابه الحديث المتسلسل .
7 ـ ابن الصبّاغ المالكي في كتابه الفصول المهمة .
8 ـ العارف عبد الرحمن في كتابه مرآة الأسرار .
9 ـ كمال الدّين بن طلحة في كتابه مطالب السؤول في مناقب آل الرسول .
10 ـ القندوزي الحنفي في كتابه ينابيع المودّة .

ولو تتبّع الباحث لوجد في علماء السنّة والجماعة أضعاف من ذكرنا يقولون بولادة المهدي وبقائه حيّاً حتّى يظهره الله تعالى .

وبعد هذا لم يبق معنا من أهل السنّة والجماعة إلاّ المنكرون لولادته وبقائه حيّاً ، بعد اعترافهم بصحة الأحاديث . وهؤلاء ليسوا حجّةً على غيرهم من القائلين بها .

والقرآن الكريم لا ينفي مثل هذا الإفتراض ، وكم ضرب الله من مثل على ذلك لأهل العقول الجامدة لكي يتحرّروا ويطلقوا العنان لأفكارهم وعقولهم حتّى تستيقن وتُسلّم بأنّ الله سبحانه قادر على كل شيء .

لذا فإن المسلم الذي ملأ الإيمان قلبَهُ فلا يستغربُ أنْ يميتَ الله عزيراً مائة عام ، ثم يبعثه فينظر إلى طعامه وشرابه لم يتسنّه ، وإلى حماره كيف ينشز الله عظامه ويكسوها لحماً فيرجع كما كان بعد أن كانت عظامه رميماً فلمّا تبيّن له قال :

أعلم أنّ الله على كل شيء قديرٌ . سبحان الله ما أسرع تحوّله ، بينما قبل الحادثة إستغرب واستبعد عند مروره على قرية خاوية على عروشها . قال أنّى يحيي الله هذه بعد موتها ؟؟

والمسلم الذي يصدّقُ القرآن الكريم لا يستغرب أنْ يقطّع سيدُنا إبراهيم الطيّر ويبعثر أجزاءه وأشلاءه على الجبال ثم يدعوهنّ فيأتينه سعياً .

والمسلم لا يستغربُ أن تصبح النارُ باردة فلا تحرق ولا تؤذي سيدنا إبراهيم عندما ألقي فيها فقال لها الله يا نار كوني برداً وسلاماً

والمسلم لا يستغرب بأن سيدنا عيسى وُلد من غير نطفة الذكر أي من غير أب . وأنه حي لم يمتْ وسيعود إلى الأرض .

والمسلم لا يستغرب بأنّ سيدنا عيسى كان يحيي الموتى ويبرىء الأكمه والأبرص والأعمى ولا يستغرب أن ينغلق البحر لسيدنا موسى ولبني إسرائيل فيمشوا فيه بدون بلَل وتنقلبُ عصاه ثعباناً ويحوّل ماء النّيل إلى دم .

كذلك فإن المسلم لا يستغرب أن سيدنا سليمان كان يتكلّم مع الطير ومع الجن ومع النّمل ويُحمَلُ عرشه على بساط الريح . ويستقيم عرش بلقيس في لحظات .

ولا يُستغرب بأنّ الله أَمَاتَ أصحاب الكهف ثلاثة قرون وازدادوا تسعاً ثم بعثهم فكان حفيد الحفيد أكبر سنّاً من جدّ الجدّ .

ولا يستغربُ بأنّ سيدنا الخضر عليه السلام حيٌّ لم يمتْ وقد إلتقى مع سيدنا موسى عليه السلام .

ولا يستغربُ بأن إبليس لعنه الله حيٌّ لم يمتْ وهو مخلوق قبل آدم عليه السلام ، وما زال يواكب مسيرة البشر من أوّل خلقته إلى يوم فنائه ، ومع ذلك فهو مخفيٌّ لم ولن يراه أحد رغم أعماله الشنيعة وأفعاله الذميمة ، وهو يرى كلّ النّاس .

إن المسلم يؤمن بكل هذا ولا يستغرب وقوعه ، أفيستغرب وجود المهدي مخفياً لفترة من الزمّان لحكمة يريدها الله سبحانه

فكل ما ذكره القرآن وهو أضعاف ما ذكرنا في هذه العجالة ليس هو مما جرت به العادة ولا هو معهود لدى النّاس ، ولا يقدرون عليه ولو إجتمعوا له .

وإنّما هو من صنع الله الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السّماء ، ويصدّق به المسلمون لأنهم آمنوا بكل ما جاء في القرآن الكريم وبدون إستثناء وبدون تحفّظ .

على أنّ الشيعة هم أدرى بأمور المهدي عليه السلام لأنّه إمامهم وقد عاصروه وعاشوا معه ومع آبائه ، وأهل مكة أدرى بشعابها .

والشيعة يحترمون أئمتهم ويعظّمونهم وقد إتخذوا لأئمة أهل البيت قبوراً شيّدوها والتزموا بزيارتها والتبرّك بها ، فلو كان الإمام الثاني عشر وهو المهدي سلام الله عليه قد تُوفّي لكان له قبرٌ معروف ، ولأمكنهم أن يقولوا بجواز بعثه بعد الموت ما دام هذا الأمر ممكناً كما ذكره القرآن الكريم وخاصّة أنّهم يقولون « بالرجعة » .

بل تراهم يصرّون على أنّ المهدي سلام الله عليه حيٌّ يُرزق وهو مخفي لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى قد يعرفها الرّاسخون في العلم وأولياءهم .

وهم يدعُون في صلواتهم أنْ يعجّل الله فرجه الشريف لأنّ في ظهوره عزّ المسلمين وسعادتهم وانتصارهم ولأنّ به يتمّ الله نوره ولو كره الكافرون .

على أنّ الخلاف بين السنّة والشيعة في أمر المهدي عليه السلام ليس هو خلاف جوهري ما داموا يعتقدون بظهوره في آخر الزمان ، وأن عيسى عليه السلام يصلّي خلفه ، وأنه سيملأ الأرض قسْطاً وعدلاً كما مُلئتْ ظُلماً وجوراً ، ويملك المسلمون الأرض كلها في زمانه ويعمّ الرّخاء حتّى لا يبقى فقير .

ويبقى الخلاف فقط في قول الشيعة بولادته وفي قول السنّة بأنه سيُولد ،

ويجتمع قول الفريقين على ظهوره آخر الزمان ـ

فليتوحد السنّة والشيعة على كلمة الحق وعلى جمع شمل الأمّة الممزّقة ولمّ شتاتها وليدعوا الله جميعاً مخلصين في دعائهم وفي كل صلواتهم بأنْ يعجّل ظهوره لأنّ في ظهوره الفرج والنصر لأمة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ومولانا محمّد وعلى آله الطيبين الطاهرين .

محمد التيجاني السماوي

المصادر

كتب التفسير

١ ـ القرآن الكريم
٢ ـ تفسير الطبري
٣ ـ تفسير ابن كثير
٤ ـ تفسير القرطبي
٥ ـ تفسير الجلالين
٦ـ التفسير الكبير للفخر الرازي
٧ ـ تفسير المنار محمد عبدة
٨ ـ تفسير النّسفي
٩ ـ تفسير الخازن
١٠ ـ تفسير الكشّاف للزمخشري
١١ ـ تفسير الحاكم الحسكاني
١٢ ـ تفسير النيسابوري
١٣ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي
١٤ ـ زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي
١٥ ـ شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني
١٦ ـ تفسير الفتح القدير للشوكاني

١٧ ـ التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي
١٨ ـ أسباب النزول للإمام الواحدي
١٩ ـ أحكام القرآن للجصّاص
٢٠ ـ التفسير الكبير للثعلبي
٢١ ـ نزول القرآن للحافظ أبو نعيم
٢٢ ـ ما نزل من القرآن في علي أبو نعيم الإصبهاني
٢٣ ـ مقدّمة أصول التفسير لابن تيمية
٢٤ ـ تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي

كتب الحديث

١ ـ صحيح البخاري
٢ ـ صحيح مسلم
٣ ـ صحيح الترمزي
٤ ـ صحيح ابن ماجة
٥ ـ سنن أبي داود
٦ ـ سنن النسائي
٧ ـ مسند الإمام أحمد
٨ ـ موطأ الإمام مالك
٩ ـ مستدرك الحاكم
١٠ ـ كنز العمّال
١١ ـ سنن الدّارمي
١٢ ـ سنن البيهقي
١٣ ـ الجمع بين الصحاح الستّة .
١٤ ـ سنن الدارقطني
١٥ ـ جمع الجوامع للسيوطي
١٦ ـ منهاج السنّة لابن تيمية

١٧ ـ مجمع الزوائد للهيثمي
١٨ ـ كنوز الحقائق للمناوي
١٩ ـ جامع الأصول لابن الأثير
٢٠ ـ فتح الباري في شرح البخاري

كتب التاريخ

١ ـ تاريخ الأمم والملوك للطبري
٢ ـ تاريخ الخلفاء للسيوطي
٣ ـ تاريخ الكامل لابن الأثير
٤ ـ تاريخ دمشق لابن عساكر
٥ ـ تاريخ المسعودي (مروج الذهب)
٦ ـ تاريخ اليعقوبي
٧ ـ تاريخ الخلفاء للسيوطي
٨ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي
٩ ـ تاريخ أبي الفداء
١٠ ـ تاريخ ابن الشحنة
١١ ـ تاريخ ابن كثير
١٢ ـ التاريخ الكبير لمحمد البخاري
١٣ ـ الإمامة والسياسة لابن قتيبة
١٤ ـ العقد الفريد لابن عبد ربّه
١٥ ـ الطبقات الكبرى لابن سعد
١٦ ـ تاريخ ابن خلدون
17 ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد

كتب السيرة

١ ـ سيرة ابن هشام

٢ ـ الإصابة في تميز الصحابة
٣ ـ السيرة الحلبية
٤ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة
٥ ـ السيرة الدحلانية
٦ ـ الرياض النضرة للطبري
٧ ـ الإستيعاب
٨ ـ حياة محمد لمحمد حسين هيكل
٩ ـ المعارف لابن قتيبة
١٠ ـ أنساب الأشراف للبلاذري
١١ ـ حلية الأولياء لأبي نعيم
١٢ ـ الفتنة الكبرى لطه حسين

كتب مختلفة

١ ـ الصواعق المحرقة لابن حجر
٢ ـ الفتوحات المكية لابن عربي
٣ ـ الصلة بين التصوف والتشيع للشيبي
٤ ـ عقائد الأكابر للشعواني
٥ ـ خصائص أمير المؤمنين للنسائي
٦ ـ تواريخ مواليد الأئمة لابن الخشاب
٧ ـ الملل والنحل للشهرستاني
٨ ـ فصل الخطاب محمد البخاري
٩ ـ دلائل الإمامة للطبري
١٠ ـ الحديث المتسلسل البلاذري
١١ ـ بلاغات النساء لابن طيغور
١٢ ـ مرآة الأسرار العارف عبد الرحمن
١٣ ـ أعلام النساء لعمر رضا كحّالة

١٤ ـ إحقاق الحق للتستري
١٥ ـ كفاية الطالب للكنجي الشافعي
١٦ ـ شرح المواهب للزرقاني
١٧ ـ الإزدهار في ما عقده الشعراء من الأشعار للسيوطي
١٨ ـ سير أعلام النبلاء للذهبي
١٩ ـ الولاية لابن جرير الطبري
٢٠ ـ سرّ العالمين لأبي حامد الغزالي
٢١ ـ تذكرة الخواص لابن الجوزي
22 ـ إحياء علوم الدين للغزالي
٢٣ ـ تذكرة السبط لابن الجوزي
٢٤ ـ مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي
٢٥ ـ إرشاد الساري للقسطلاني
٢٦ ـ ينابيع المودة للقندوزي الحنفي
٢٧ ـ نور الإبصار للشبلنجي
٢٨ ـ فضائل الخمسة من الصحاح الستّة
٢٩ ـ ربيع الأبرار للزمخشري
٣٠ ـ الفصول المهمّة لابن الصبّاغ
٣١ ـ شرح نهج البلاغة للشيخ محمد عبده
٣٢ ـ التلخيص للذهبي
٣٣ ـ المعجم الصغير والمعجم الكبير للطبراني
٣٤ ـ الجامع الصغير والجامع الكبير للسيوطي
٣٥ ـ البداية والنهاية لابن كثير
٣٦ ـ إسعاف الرّاغبين
٣٧ ـ مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي

المحتويات